سبتمبر
٢٠٠١
العدد
١٩٣

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

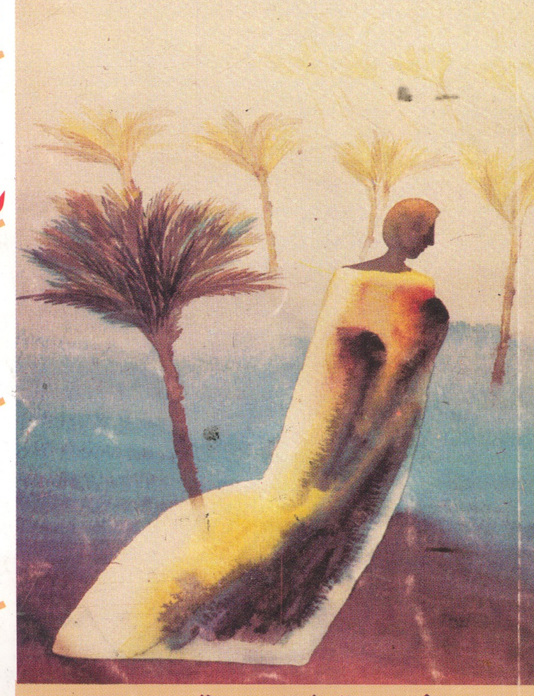
علمنة الفكر الإسلامى

النبوة: بين الآلهة والتاريخ

نصر أبو زيد: الفزع من الإسلام

الأقباط فى الحياة السياسية المصرية

بهجورى ورزق الله: بين سيرتين



- مفكرة إفريقى.. ميت
- المسرح التجريبى: حلو ومر
- ديڤيد هير والمسرح اليسارى



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
تأسست عام ١٩٨٤ /السنة السابعة عشر/ العدد ١٩٣ / سبتمبر ٢٠٠١

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهالي
القاهرة / هاتف ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

أعمال الصف والتوضيب

نسرين سعيد إبراهيم

الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها

البلاد العــربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

يمكن إرسـال الأعمـال على العنـوان البريدي أو البريد الالكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: **adabwanaqd.4t.com**

أدب ونقد

في هــذا العدد

الغلاف الأول بريشة الفنان عدلي رزق الله / الغلاف الأخير لوحتان للفنان أحمد عبد الكريم
الرسوم الداخلية بريشة الفنان جورج البهجوري والفنانة لطيفة يوسف (فلسطين)

أدب ونقد

أول الكتابة

أول الكتابة .. آخر الكتابة .. ماجدوى الكتابة .. تلاحقت هذه الكلمات فى داخلى كطلقات دون أن ينطق بها لسانى حين سمعت النبأ الفاجع .

فما أن تأهبت لكتابة الإفتتاحية حتى جاء خبر إستشهاد المناضل الفلسطينى " أبو على مصطفى " الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ،أحد مؤسسى منظمة التحرير الفلسطينية الذى اغتالته إسرائيل فى مكتبة " برام الله" وكان قد عاد إليها من الشتات قبل عامين ،وبعد إنتخابه أمينا عاما للجبهة تتويجا لنضال طويل استمر قرابة نصف قرن بدأه عاملا بسيطا ثقف نفسه بنفسه وعلمته الثورة وصلبته وعورة الطريق.

كنت أشعر أننى محظوظة حين تعرفت إليه عن قرب والتقيت به عدة مرات منذ عام ١٩٨٦ فى كل من " دمشق " و" عمان" ،" بيروت" و" الجزائر" وطالما فكرت أن أكتب عنه كتابة حميمة كما سبق أن كتبت فى مجلة" اليسار " عن الدكتور جورج حبش" الحكيم كما يلقبه الفلسطينيون كافة ، وهو أول أمين عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وها أنا قد أفلتت منى فرصة الكتابة عن أبو على مصطفى حيا لأقدمه بعد استشهاده نموذجا راقيا للانسان الثورى البسيط العميق فى أن القابض على مبادئه ومثله العليا كالقابض على الجمر وكمقاتل جسور ، والمرن مرونة العارف بالتحولات الأليمة فى الوضع العالمى والعربى معرفة دقيقة شاملة ويومية كسياسى من طراز رفيع طالما ألهم المناضلين الشباب الذين تعلموا منه أن

مامن وطن حصل على حريته دون ثمن ، فكانوا ومايزالون مثله يدفعون هذا الثمن بسخاء سائرين على نفس طريق العمل فى أوساط الجماهير الكادحة فى الوطن وفى مخيمات الشتات يمهدون الأرض جيلا بعد جيل لفلسطين الحرة المستقلة التى تخوض معركة تحررلها فى ظل أسوأ الأوضا ع التى عرفتها المنطقة والعالم. حين دخل إلى فلسطين عندما سنحت له الفرصة ترك أبو على مصطفى أسرته الصغيرة فى عمان حتى يتفرغ كلية لعمله النضالى قائدا للجبهة ،وعلما من أعلام شعبه الذين يفخر بهم ويتمثل مسيرتهم ويطمئن لحكمتهم وصحة موقفهم واستقامتهم وكونهم نموذجا للتطابق بين الأقوال والأفعال. سوف تدفن أشلاء " أبو على مصطفى" التى جمعها أحباؤه قطعة قطعة من مكتبه بعد أن قصفته الطائرات الإسرائيلية – أمريكية الصنع – بصاروخين ، فى أرض فلسطين ، فقد مات حيث أراد أن يموت فى وطنه ، وسوف تنبت هذه الأرض مجددا أشجار زيتون وورودا وقمحا وكروما فى نسغها ماء الحياة ليحيا عليها مجددا هؤلاء الشهداء وهم يضعون ذاكرة لفلسطين والأمة العربية وكل الأحرار فى هذا العالم عنوانها القدرة على الصمود فى زمن التراجع العام والبذل بسخاء من أجل النصر.

يسأل كل منا نفسه ماالعمل ؟

وبوسعنا أن نجد إجابات كثيرة تعفينا من المسئولية لكننا سنبقى مسئولين وعلينا أن نحاسب أنفسنا كم خطوة ولو صغيرة خطوناها فى اتجاه دعم الانتفاضة ولو بطريق غير مباشر، إن الإسهام فى تغيير الأوضاع البائسة فى الوطن العربى كله يشكل مساندة مباشرة للانتفاضة ، ذلك أن نقطة الضعف الرئيسية الآن هى الوضع العربى العاجز المتهالك المرهون للإرادة الأمريكية والصهيونية بالتالى.

وبناء الوعى النقدى أساس لاغنى عنه لتغيير الواقع القائم فى أحد مرتكزاته على تعليم الإذعان ونفى الأسئلة وتقديم الإجابات الجاهزة والتعتيم على بعض المناطق وتحريمها على البحث ، وتبين لنا تجارب القمع التاريخية للفكر والأسئلة النقدية أنها كانت فى الغالب الأعم ستارا كثيفا لحماية الاستبداد وتحصينه ضد الغضب الشعبى.

يحفل عددنا هذا بمواد متنوعة حول النبوة وعلاقتها بالتاريخ أى بتفاعل العوامل السياسية الاقتصادية الاجتماعية فى زمن النبوة ، فيزيل خليل عبد الكريم اللبس بين دين الآباء وبين ماعبده هؤلاء الآباء قبل الاسلام من أوثان ، ذلك أن دين الآباء هو تقاليدهم وماسنوه فعلا قبل البعثة المحمدية ، وقد أخذ الدين الجديد ببعض هذه التقاليد وترك الآخر، فقد سن " عبد المطلب " الجد المباشر للرسول على سبيل المثال صوم رمضان والتعبد فى غار حراء وتحريم الخمر، وهى ممارسات دخلت بعد ذلك فى صلب الاسلام الذى انتصر كدين جديد حين وضع التاريخ فى حسابه ولم يعانده فيندثر.

ويقدم لنا الباحث الشاب " أيمن عبد الرسول " قراءة نقدية لكتاب الدكتور " على مبروك" المفكر النقدى الصارم عن " النبوة من علم العقائد الى فلسفة التاريخ : محاولة فى إعادة بناء العقائد" ولكن أيمن يختار عنوانا آخر لموضوعه هو " النبوة بين تسلطية الأشاعرة وليبرالية

المعتزلة " لأنه يختار التركيز على الصراع الفكرى بينهما ودلالاته الأيديولوجية والتاريخية فى سياق عرضه للكتاب باعتباره من أهم الكتابات التى نجحت فى تطبيق البنيوية على تراث الأشاعرة . والتاريخ هو مرة أخرى عامل الانتقال من صورية النسق إلى إظهار الفاعلية الإنسانية التى تحكمه ، وحيث النبوة هى توسط بين الله والانسان ، ويمثل الأنبياء وعيا فرديا متقدما متميزا عن الوعى الجماعى لأممهم " وكأن النبوة لاتجد مطمحها فى الوعى الخامل البليد .. ويبين" مبروك" عبر بحث دؤوب كيف " يختفى الانسانى الواقعى التاريخى تحت أبنية نظرية مجردة" وهو بذلك يكشف عن إمكانيات الباحث المفكر الذى يحاول بناء فضائه الخاص وسط ركام من إعادة الإنتاج والصياغة ...

ولن نعجب كثيرا إذا عرفنا أن " على مبروك " يتعرض لمضايقات وضغوط بسبب إضافات المفكر فى عمله كله الذى ينجزه فى هدوء لكنه يظل يغضب أصحاب الإجابات الجاهزة سواء فى الأوساط الأكاديمية أو الثقافية ، وهى الإجابات التى سبق أن رفضها " نصر حامد أبو زيد " وكان عقابه تطليقه من زوجته ونفيه واقعيا خارج البلاد .. فهل ياترى سنتقدم خطوة إلى الأمام مع على مبروك "؟ ويقترح علينا الدكتور " عاطف أحمد" استراتيجية تأويل أو عملية بناء مفهوم للنص القرآنى قد تساهم فى خلق وتطوير اتجاه فكرى إسلامى علمانى طالما أن سلطة القرآن لم ولن توضع أبدا محل تساؤل . وتقوم هذه المحاولة شأن بحث على مبروك ونصر من قبل على نتائج التطورات الحديثة التى أدخلت اللسانيات المعاصرة جنبا إلى جنب التحليل الاجتماعى التاريخى فى فهم النص القرآنى وفى محاولة للتمييز بين الأفكار الدينية – الرئيسية والأمور الخارجية التى تعتمد على البيئة التاريخية . ولعل حركة الاسلام السياسى فى بلادنا أن تكون أشد ضراوة فى مواجهة هذا المسعى لعلمنة الفكر الاسلامى منها فى أى معركة أخرى مثل تحرير المرأة مثلا، لأن انتشار مثل هذا التوجه وقدرته على كسب الأنصار سوف ينزع منها ماتعتبره تفويضا لها من الله سبحانه وتعالى لإقامة دولتها الدينية وإدعائها بأنها تمثل جماعة المسلمين كافة وتحتكر الاجتهاد لنفسها وهى تنشر التعصب وتخاصم التسامح وتشوه الصراع الاجتماعى باكسابه طابعا دينيا طائفيا ،فمهما كانت قوة النفى الذى قدمه بعض قادة جماعة الإخوان المسلمين لتصريح قاله نائب المرشد العام الشيخ مصطفى مشهور قبل سنوات أكد فيه على أنهم حين يصلون إلى السلطة سوف يفرضون الجزية على الأقباط ، فانه قد حفر جرحا عميقا فى نفوس الأقباط الذين نزع عنهم الشيخ حق المواطنة باسم الدين .. والمواطنة هى أساس من أسس الحداثة – حيث أن الحد الأدنى للدولة المعاصرة والذى يفصلها عن دولة القرون الوسطى أن لادين لها وأنها دولة كل مواطنيها .

" وإنما يشوه الدين أولئك الذين يريدونه كيدا وتضليلا ، وقيدا للعقول والقلوب ثقيلا " كما يقول الشيخ الدكتور مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق وأستاذ الفلسفة الاسلامية والمثقف الديمقراطى وهو يتحدث بحب عن افتتانه بكنيسة " نوتردام دى لاجارد" فى مرسيليا ليقول أليس الدين جميلا فى إخلاصه ويقينه ، وجميلا فيما يمسح من آلام البشر بيمينه " .. انه لم يقل الاسلام بل قال الدين.

وهو الشيخ والأستاذ المسلم يتحدث عن الدين ، عن مطلق الدين، بعيدا عن التعصب والطائفية فيلتقط هذا المعنى العظيم فى شوق الانسان الواحد لتجاوز العالم القائم متشبثا بكعبة رجاء متطلعا إلى الله الواحد الذى يتساوى - البشر جميعا بين يديه دون تفرقة بين أسود وأبيض أو غنى وفقير أو رجل وامرأة أو مسلم وغير مسلم.

إن استخلاص المثل العليا والقيم الكبرى فى كل الديانات وتمثلها لابد أن يجعل الانسان السوى ينفر من التعصب بل ويحول نفوره هذا إلى فعل إيجابى ليقف ضد كل أشكال نفى الآخر أو مصادرته أو تكفيره وصولا لقتله ، كما حدث فى تاريخنا منذ الحلاج لفرج فوده .وليس فى الإبداع حرج كما يدلل ويبرهن الشاعر" حلمى سالم" الذى يجعلنا نستحضر تراث علمائنا الأجلاء فحين قال الجرجانى قبل ألف عام " الشعر بمعزل عن الدين" كان يرسى قاعدة نقدية كبرى ، بل ويسهم فى وضع قانون عام تبلور عبر التاريخ فى الإبداع والتفكير عامة، هو الاستقلال النسبى لكل حقل من الحقول المعرفية ، هذا الاستقلال الذى يؤسس لتطورها الداخلى الذاتى بحكم تفاعل قواها الداخلية وصراعها وتناقضاتها ، وبينما يغلق اليقين الدينى الطريق على الأسئلة ، فان الفن يفتح باب القلق على مصراعيه ويفجر الأسئلة ، وهكذا بالنسبة لحقل العلم الذى يختلف بدوره كلية عن الدين لأن الأخير قائم على الإيمان والتسليم والأول قائم على الشك والتجريب وهكذا .. ان من يتابع بعض الكتابات الرائجة الآن فى صحفنا وأقوال الدعاة فى أجهزة الاعلام والمساجد سوف يلاحظ مجددا ذلك السعى العقيم الذى ثبت فشله للبرهنة على قدرة الدين على تفسير العلم.

وقد أفضت المحاولات الدائبة لإخضاع الفن للدين والتى قامت بها سلطات ثقافية وسياسية ودينية بدوافع شتى إلى تعطيل مواهب كان بوسعها أن تزدهر وتنتج أكثر وأعمق ، بل وإلى تخويف الفنانين والكتاب ودفعهم دفعا لوضع رقيب ذاتى فى داخلهم ، وهاهو الفنان التشكيلى عدلى رزق الله يقول فى سيرته " تجنبت الكتابة عن المرأة فى حياتى رغم أهمية دورها خوفا وهلعا من مناخ النشر فى عالمنا العربى".

فها ياترى يمكن لمثل هذا المناخ أن يساعد فنانا على الوصول إلى حده الأقصى فى الفن كما هو حلم حياة " عدلى" ، وهل سيستطيع " مارسيل خليفه " بعد محاكمته باسم الدين أن يختار بحرية من عيون الشعر العربى قصائد ليضع لها ألحانا ويغنيها .وهل .. وهل. إن الإجابة على هذا السؤال هى للأسف الشديد .. لا .. ولا

إن مصيبتنا هى فينا ، فى وضع الحريات البائس فى عالمنا العربى ولن يجدى شيئا أن تختفى وراء التبرير السهل والقول بالمؤامرة الغربية على الإسلام . و" يحلل نصر حامد أبو زيد " فى مقالته جذور الصراع ومستوياته بين الاسلام والغرب معتبرا أن مدخلنا الأساسى للخروج من نفق الاستبداد المظلم الذى دخلنا فيه هو التكوين النقدى أولا لأن الانسان المنتج للعلم والتكنولوجيا هو الانسان الذى تم تكوينه معرفيا منذ مرحلة الطفولة بتربيته على أهمية إثارة الأسئلة .. إنه منهج الشك والمراجعة وإعادة النظر لامنهج اليقين والطاعة والتقليد.

ويكتب لنا الباحث العراقى " ميثم الجنابى " دراسة هامة عن الحضارة الإسلامية

كامبراطورية ثقافة ، وهو يرى فى سيادة الفقه الشافعى والمالكى والحنبلى والحنفى والجعفرى فى حياة المسلمين الآن تعبيرا عن جمود الاجتهاد الإسلامى وضعف الروح الثقافى للحضارة الاسلامية، إذ لم يسع أى من الفقهاء العظام إلى تقنين اجتهاداته فى مواقف وأحكام ثابتة نهائيا (وهل هناك أبدا ماهو ثابت ونهائى) لهذا عارضوا جميعا فى حياتهم الخضوع للسلطة ، ورفضوا استلام مناصب رسمية فيها بينما استمروا فى الاجتهاد من خارج السلطة لمصلحة الدولة والأمة.

ونتوقع أن تثير مقالات الجنابى التى سننشرها تباعا جدلا واسعا فى أوساط المفكرين والباحثين فى التراث خاصة إذ أنه يتحدث عن " أمة إسلامية" وليس ثقافة فقط وكأنه يعيد طرح موضوع الأمة للنقاش إذ يؤسسها مجددا على أساس من الدين والثقافة، ولانعرف كيف يمكن أن ينتمى الهنود المسلمون أو المسلمون فى أندونيسيا وأمريكا وروسيا إلى أمة واحدة لمجرد أنهم يدينون بالإسلام ؟ وهو سؤال بديهى جرى الرد عليه بالنفى منذ قرن من الزمان فى سياق تعريف الأمة بعد تجربة نشوئها التاريخية.

فالأمة تتشكل فى وحدة الروابط الاقتصادية والأرض واللغة كما هو حال الأمة العربية التى نشأت بينها نتيجة لذلك كله وحدة الحياة الروحية وبروز الخصوصية القومية والتكوين النفسى والثقافة والوعى بالمصالح المشتركة وتشابه التقاليد، ومن الطبيعى أن تنشأ دولتها على أساس المواطنة لا الدين . وقد لعبت أديان الوحى الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام دورا فى تشكيل الحياة الروحية لهذه الأمة . أما تحويل الدين إلى قومية كما يفعل " ميثم" فيعيدنا إلى الوراء قرونا بل وبدون وعى يقر بشرعية تاريخية للقومية الإسرائيلية القائمة على الدين اليهودى والأسطورة التوراتية .والقول بأمة إسلامية هو تراجع على صعيد كل من الفكر والتاريخ فضلا عن أنه تبرير سهل لهؤلاء الذين ينزعون عن صراعنا مع إسرائيل صفته الأساسية كصراع من أجل التحرر من الامبريالية والعنصرية ليصبح صراعا دينيا، وهو ماتقول به بعض القوى الدينية حتى تلك المنخرطة فى الصراع ضد إسرائيل ، فضلا عن أن القول بأمة إسلامية يخرج غير المسلمين من الأمة العربية .واقعيا.

وسوف نفرد فى أعداد قادمة ، وبعد أن ننشر كل مقالات " ميثم" مساحات لنقاش واسع حول القومية والأمة والثقافة فى كل من الفكر البورجوازى والفكر الاشتراكى والنقدى ، ونعرض أمهات الكتب فى هذه الميادين لتجليه المسألة وصقل أدواتنا كأمة فى مواجهة المشروع العنصرى الصهيونى.

وسوف يصلكم هذا العدد بينما تنعقد الدورة الثالثة عشر لمهرجان المسرح التجريبى وقد رأينا أن نجرى تحقيقا قام به الزميل " خالد سليمان" عن حصاد المهرجان ، وبينما أجمع المشاركون فى التحقيق على أن المهرجان قد أحدث حركة لايمكن إنكارها فى الوسط المسرحى فان أبرز سلبياته تتمثل فى زيادة كم العروض على حساب نوعيتها جنبا إلى جنب فكرة التسابق الغريبة على مهرجان تجريبى ، وتبقى حقيقة أساسية لم يغير وجود المهرجان منها عبر السنين شيئا وهى تدهور حال المسرح المصرى يوما بعد يوم ..

ولعلنا سوف نتساءل بعد أن نقرأ الدراسة الجميلة العميقة التى يقدمها لنا الناقد والفنان المسرحى د. محسن مصيلحى عن مؤلف مسرحى إنجليزى كبير هو " دافيد هير" ومأأسماه بتسييس الدراما السيكولوجية سوف نتساءل أين هذا العالم الشاسع الغنى من مسرحنا؟ بل أين هى نصوصه المترجمة الى لغتنا وحتى لو كانت موجودة لماذا لانراها على المسرح . وسوف تملأ الغصة حلوقنا إذا عرفنا أنه فى السبعينات من القرن العشرين كون مجموعة من الشباب فرقة " مسرح الشارع " نشأت وتدربت فى حزب التجمع ومكتب الكتاب والفنانين به وحين أرادت أن تقدم عروضها فى الأحياء المحرومة من المسرح كما فعل" هير" أوقفتها الرقابة وصادرت بالتالى إمكانية تطورها وتبعثر شبابها تماما كما مات المسرحى الشاب النابغ " منصور محمد" ميتة مهينة بعد أن ألقى ديكور مسرحه فى الشارع وكاد هو أن يجوع حين إحتجت سفارة عربية على عرض" اللعبة" المدهش الذى قدمه فى افتتاح إحدى دورات المسرح التجريبى وكانت مصادرته ذروة من ذرى الممارسات الرقابية ضد المسرح.

***

" مفكرة إفريقى ميت" رواية قصيرة ذات بلاغة إفريقية إذا جاز لى التعبير، ترجمتها لنا الزميلة " غادة نبيل" لتطل على عالم نيجيريا وإفريقيا الأدبى الآن ونتعرف على مستوى جديد لتطور الكتابة الأدبية التى تتخلق فى سياقها تقنيات خاصة جدا للعبث والسخرية ونسج العلاقات وابتكار البلاغة القائمة على التكثيف الشديد والتهكم . ورغم أن الإفريقى يموت من الجوع مما يجعلنا نستدعى مشاهد الموت الإفريقى الواقعية حيث المجاعة فى الصومال ، إلا أن السخرية الشاملة تجعل منه حياة وهو يتحول إلى كائن شره لايشبع " جلست أرقب جوعى وهو يلتهم إحساسى بالخزى" . وحين نواصل القراءة سوف نكتشف أن إيقاعا خاصا قد انبثق من هذا التعبير البسيط والمقبض " لجوماى"

– لكننى جائع

تثير هذه الرواية القصيرة أيضا أسئلة جمالية لعلنا نفرد لها مساحات من النقاش فى أعداد قادمة، سوف أتوقف أمام سؤال واحد هو ترى هل لابد أن يقترن التجديد فى الشكل بتخليق قيم جديدة تقدمية تلقائيا أم أن هذا التخليق للقيم يرتبط لا فحسب بشوق الفنان للخروج على الأطر القائمة وإنما أيضا برؤيته للعالم وبمستوى وعيه أى معرفته وثقافته وإختياره ..وسوف أقدم هنا نموذجا أدلل به على أن مستوى الوعى يلعب دورا مهما وهو يتخلل البناء بصورة مراوغة . يقول جوماى فى واحدة من الحالات الكثيرة التى قرصه فيها الجوع وضاقت به الدنيا.

" الشر قد سمم عقول الناس ، وفى أيامنا هذه الأخوة فقط هم من يأتون من نفس الرحم .." لكن الأخ الذى جاء من نفس الرحم يخذله خذلانا .. وسرعان مايتأكد جوماى من العكس حين يتكشف له أن أخوة الدم ليست إلا خرافة وأن هذه العلاقات الأولية قابلة للتبدل فى سياق التطور ونضج المشاعر الانسانية بصرف النظر عن الدم ، ولايسوق الراوى هذه القيمة الجديدة عفوا أو بشكل عابر بل إنه يغلفها بما يمكن أن يكون وعدا من الطبيعة كما يحررها

كلية من التهكم مثلها مثل لحظات الحقيقة فى شعر بريخت التى تدعونا للتوقف والانصات وفتح العيون والعقول على رسالتها المعلنة أو المضمرة.

" كانت الشمس قد سطعت جدا ومبكرا قبل أن يسمح لى الخزى أن أدخل بيت" ماكارو" رجوت " أرجوك هل يمكن أن أحصل على طبق لويكة " لم أكن قد فعلت ذلك أبدا من قبل.

نظرت إلى ، من عينيها عرفت أنها كانت خائفة من أن أبدأ فى البكاء فى حضورها . أسرعت إلى المطبخ لتأتى إلى ببعض الطعام .."

***

نبدأ هذا العدد بابا جديدا هو رسالة جامعية حتى نواكب ولو جزئيا حركة البحث العلمى الأكاديمى ، وفى هذا العدد نعرض " للتربية للتعايش : مدخل إعادة صياغة العلاقة مع الآخر الدينى " لخالد محمد عثمان" الذى يقلقه غياب العلاقة بين البحث العلمى والمجتمع واحتواء بعض الكتب الفقهية التى تدرس فى مدارس الأزهر على أراء متطرفة عن أهل الديانات الأخرى دون نقد . ويستخلص الباحث مجموعة من القيم التى يراها داعمة للوحدة الوطنية من تشريعات المسيحية والإسلام ودستور الدولة ، ويتوصل إلى أن أبرز تلك القيم هى قيم الكرامة الإنسانية والمساواة والعدل فى المعاملة والتسامح وحب الآخرين والإخاء والسلام الاجتماعى . وقد كنت أتمنى أن لايلجأ الباحث لاستخدام هذا المصطلح الأخير أى السلام الاجتماعى الذى طالما كان أداة من أدوات الدعاية السياسية اليمينية ضد التحركات الجماهيرية للعمال والفلاحين والتجار والمهنيين من أجل العدالة والمساواة واحتجاجا على الاستغلال وإهدار الكرامة ، فضلا عن أن مصطلح السلام الاجتماعى يتناقض جذريا مع قيمتى المساواة والعدل ويعتبر إهدارهما مشروعا بحجة أن التقسيم القائم للثروات بين تركيز شديد للغنى وتركيز شديد للفقر لايجوز المساس به باسم هذا السلام .. وأظن أن أحد المرتكزات الأولية للعلم هو تدقيق المصطلحات ومعانيها .

***

وأخيرا لعلكم لاحظتم أن العدد الماضى تضمن تغييرا فنيا فى غلاف المجلة ، وفى هذا العدد يقدم لنا الشاعر الفنان" أشرف أبو اليزيد " الذى شرفنا بالانضمام إلينا سكرتيرا للتحرير الفنى تصوره الكامل وإضافاته الجميلة التى نحن على ثقة من أنها ستزداد ألقا وتكاملا مع الأعداد القادمة ، وفى سياق خطتنا لتطوير المجلة فى حدود الإمكانيات المتاحة كمطبوعة فقيرة وجميلة مثلها مثل مصر، كما سبق أن قال الفنان حلمى التونى .. فمرحبا بأشرف أبو اليزيد شاعرا وفنانا وصديقا .

المحررة

دراســـة



الحضارة الإسلامية: إمبراطورية ثقافة

ميثم الجنابي

الإسلام والخلافة الثقافية

إن قدر الحضارة في مصيرها التاريخي . كما أن قدر المرء في مصيره الفردي. والمجهول فيهما هو الفردانية التاريخية(للإنسان والحضارة على السواء). باعتبارها التوليفة القادرة على شحن التأويل الفكري بمختلف مستوياته وميادينه بموضوعاته المتجددة. فالفردانية التاريخية بهذا المعنى هي التوليفة التي تحوي في ذاتها أحد المصادر الكبرى لتعميق وعي الذات الثقافي (القومي والإنساني).

فالفردانية التاريخية تحوي ليس فقط على أصالة الحضارة، بل واستمرارها أيضا. والاستمرار هو التأويل الدائم في مستوياته العلمية والعملية. أي في كيفية تمثل الإنجازات الثقافية للحضارة. لان التأويل هو استمرار التاريخ في الرؤية الفعالة والواجبة للأجيال. فمن الناحية التاريخية لا يعني وجود الحضارات سوى"متحجراتها" الباقية في الآثار. بينما لا تعني فرادتها سوى قدرتها على الانصهار والاندماج وسريانها المتجدد واستعادتها الذاتية الحية. ولا تخلو حضارة من هذه الكيفيات. إلا أن هذه الكيفيات متوقفة على فرادة الحضارة نفسها. أو على "روحها الثقافي".

فالمصير التاريخي للحضارات يتجلى إما في زوالها أو اندثارها في بقايا الذاكرة والأطلال. وإما بانصهارها في العناصر المتجددة لعلوم وأعمال الحضارات اللاحقة كما هي الحال بالنسبة للحضارات السومرية والبابلية والفينيقية والمصرية. حيث جرى تغلغلها في صيرورة الحضارات الفارسية واليونانية والرومانية وتنظيماتها الإدارية وعلومها الطبيعية وصناعاتها وفنونها وحقوقها. وكذلك في التصورات الماوراطبيعية والتكوينية "للعهد القديم" ووصاياه الأخلاقية وأغانيه. ذلك يعني أن مصيرها التاريخي يكشف عن أن قدرها التاريخي يقوم فيما أرادت فعله لا فيما أرادت قوله.

أما من هو قادر منها على السريان الحي. كما هي الحال بالنسبة للحضارة اليونانية والرومانية. فانه يتجدد في الاستلهام المبدع لنماذجها المثلى المادية والروحية. لهذا كان بإمكانها أن تشكل مصدرا لاستلهام رجال عصر النهضة (الأوربية المعاصرة) في العلوم والفنون والسياسة ونمط الحياة والدولة. بينما يتلاشى مع الزمن نمطها الوجودي ويصبح لباسها ولسانها وتاريخها مسرحا وفيلماً وصالونا وديكورا. ذلك يعني أن مصيرها التاريخي يكشف عن أن قدرها فيما أرادت قوله لا فيما أرادت فعله. وهو الأمر الذي أعطى لها قدرة "التطوّع" لا النظام. الحرية لا العدالة. من هنا "أوربة" الثقافة الإغريقية رغم يونانيتها. كما سبق وأن جرى "أسلمتها" رغم وثنيتها.

أما الحضارة الإسلامية. فإنها من النوع القادر على الاستعادة الحية بذاتها ولذاتها. وذلك بفعل توحيدها الفرداني للقول والفعل في مجرى التفتح التلقائي(التاريخي) لعقيدتها التوحيدية. باعتبارها عقيدة النظام والعدل الشامل. وهو الأمر الذي يجعل من الصعب. على سبيل المثال. "عصرنتها" حسب منطق المصالح العابرة والنزوات الماكرة أيا كان باعثها. فلا يمكن مركنتلة الحج فيها رغم "ريعه" الهائل كما هي الحال بالنسبة لمركنتلة الألعاب الأولمبية. ولا يمكن تحويل الصلاة فيها إلى بهرجة زائفة رغم كل "حركاتها المنضبطة" وحشودها الكبيرة. وكل فعل من هذا القبيل سوف يواجه بمعارضة تضطره في نهاية المطاف للهزيمة.

لهذا كان بإمكان الحضارة الإسلامية التأثير الهائل في صيرورة التاريخ العالمي والبقاء في نفس الوقت ضمن روحها الثقافي الخاص باعتباره مصدرا للتأويل والاستلهام. وقد حدد ذلك قيمة المجهول فيها. والذي أدركته الثقافة نفسها بمعاييرها لا باعتباره شيئا ما غائما وراء وجودها التاريخي. بل باعتباره مصدرا وباعثا لتكاملها الدائم (أو فرادتها). وأعطت لهذا المجهول تسمية الغيب. ومحورته في "الآفاق والأنفس". أي في كل وجود طبيعي وماوراطبيعي. وجعلت منه بعد أن ربطته بمطلق إسلامها مصدر الإلهام والخيال المبدع لعوالم وجودها الطبيعي والماوراطبيعي. ومن ثم وجدت فيه السّر(والمعنى) وراء كل ظهور وفناء. مما أعطى لكل ما أرادت قوله وفعله أبعادا ماوراطبيعية ووجودية وأخلاقية. وليس مصادفة أن يصل الفكر الإسلامي المنظومي بمختلف ميادينه واختصاصاته من فقه وأدب وكلام وفلسفة وتصوف إلى اعتبار الوجود (والكون) "كتابا مسطورا" و"مرقوما" و"رقا منشورا". ذلك يعني أن الحضارة بلغت

للمسلمين الأوائل نماذج الكسروية والقيصرية والملوكية. إلا انهم سنوا لأنفسهم نموذجا لنظام الأمة وقيادتها. باعتباره استخلافا لسنة(سياسة) الرسول. وهو استخلاف احتوى بذاته على إدراك جديد لوجود الأمة الناشئة. لقد جعلت الأمة . من وجودها استخلافا مستمرا للرسالة النبوية والحق الإلهي . لأن مرجعية الخلافة هي مرجعية الأمة. ومرجعية استخلافها تقوم في تمسكها الدائم بأصول القرآن والسنة بوصفهما مصدرين لشريعة وجودها الخاص. مما يكشف بدوره عن وحدة الكيان السلطوي والحقوقي للأمة في المرجعيات المتسامية لوجودها واجتهادها باعتباره توليفا ثقافيا للعقل(القياس) والإجماع.

وقد طبع ذلك حياة الدولة والمجتمع والفرد. فالنموذج المتسامي للرؤية الإسلامية عن الدولة والمجتمع والفرد يفترض توحيد الجميع على أسس الإسلام ومبادئه الكبرى. ومن ثم كان تحول القرآن والسنة إلى أصلين عامين للكل الإسلامي. وتحول العقل والإجماع إلى أصلين مكملين ومتممين لهما. ما هو إلا الصيغة الثقافية لوحدة الطبيعي والماوراطبيعي في الأصول. مما حدد بدوره صيرورة الثنويات المرجعية للثقافة في الحياة المادية والروحية.

فوحدة القرآن والسّنة هي وحدة الإلهي(المطلق) والتاريخي. وهي ووحدة معقولة بتجارب الأمة في مجرى ظهور الضرورة والحاجة والمصلحة. وشأن كل عملية لم تكن معزولة عن الصراعات الفكرية والسياسية العنفية والسلمية. من هنا تشعب رؤاها ومدارسها في ميدان الفقه(الحقوق). أما سيادة الفقه الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي والجعفري فهو تعبير عن جمود الاجتهاد الإسلامي وضعف الروح الثقافي للحضارة الإسلامية. إذ لم يسع أي من أئمة الفقهاء العظام إلى تقنين اجتهاداته في مواقف وأحكام ثابتة نهائية. لهذا عارضوا جميعا في حياتهم الخضوع للسلطة، ورفضوا استلام مناصب رسمية فيها. بينما استمروا في الاجتهاد من خارج السلطة لمصلحة الدولة والأمة.

انطلاقا من المبادئ العقدية الجوهرية للإسلام حرر الفقه الإسلامي نفسه عن السلطة "المتحررة" من مسئوليتها أمام المجتمع. فالمصدر الجوهري بالنسبة للفقه الإسلامي هما القرآن والسنّة وليس السلطة(كما تجسدت في الخلافة). ومن ثم فان الاجتهاد فيما لا سلطان للسلطة(الحكومية) عليه أصبح الباعث الأكبر في استثارة الاجتهاد العقلي(من حيث تقديم الحلول لمختلف المشاكل) والبقاء في حيز الأبعاد الروحية — الأخلاقية. لهذا نعثر فيه على تشعب مثير يتناول مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في وحدتها المادية والروحية. فالطبري يورد على سبيل المثال سبعة وعشرين اختلافا بين أئمة الفقه حول مسألة واحدة هي مسألة الضمان الكفالة والحوالة ، حيث تناولوا في خلافاتهم جوانبها المتعددة مثل الكفالة بالمال إلى الآجال، والجماعة يضمنون عن رجل الكفالة بالنفس ، وكفالة رجل بنفس رجل آخر لرجل، وكفالة أهل الذمة، وكفالة المرتد، وكفالة المريض، والكفالة عن مجهول لمجهول وغيرها من الجوانب. وينطبق هذا على مئات وآلاف من

المشاكل والقضايا المتعلقة بمختلف جوانب الحياة. وهو أمر طبيعي بالنسبة لكل فقه. غير أن خصوصيته في الإسلام تقوم في استناده إلى مرجعية النظام والعدل، باعتبارها مرجعية مطلقة، ذات أبعاد وجودية وميتافيزيقية. مما جعل من الفقه الإسلامي علما عن متغيرات الحاجات والضرورات في نظام العدل. أي أن الفقه ليس فقط إدراك وتأسيس قيمة الحق بالارتباط مع الحاجات والضرورات المتغيرة، بل والثبات فيها للحق والنظام. إذ الحرية فيه، بوصفها اجتهادا ـ خاضعة لإدراك الضرورة ، أما الثبات فيها (الحرية) فهو خضوعها للحق بوصفه توحيدا للعدل والنظام . من هنا سيادة القيم المتغيرة عن الأصلح والأحسن والمباح والمندوب وثبات الواجب فيها.

أبدعت وحدة النظام والحرية أو الحق والاجتهاد في صراعات الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية والمدارس الفلسفية والاتجاهات السياسية أسلوب الإجماع. وحولته لاحقا إلى مؤسسة لا مرئية. وبغض النظر عن الملابسات التاريخية والفكرية للإجماع، إلا أن الجوهري فيه هو تعبيره الحقوقي عن وحدانية الإسلام. فالإجماع تاريخيا هو الحصيلة المتراكمة في تجاوز عقبات التضاد والصراع والخلاف. انه يحتوي في ذاته على آلية اختزال المفارقات الأولية إلى بديهيات معقولة. ومن ثم فان كل خطوة في ميدان الحرية هي خطوة في النظام. فعندما استدرجت الحضارة الإسلامية، على سبيل المثال، في مسارها خطوات الحقوق الإنسانية، فإنها تكلمت عن "حقوق المسلم". أنها لم تتكلم عن حقوق مجردة عن الثقافة الخاصة، بل عن حقوق الإنسان ضمن قيودها. لقد حررها ذلك من المداهنة والمكر وأجبرها على قطع إمكانية استعمال المتسامي للأغراض الرذيلة. وخلصها من رذيلة الاستعلاء والاستكبار، وحرر نفسها من غرور فرض نموذجها على الآخرين. إذ جعلت من نموذجها ملزما ضمن حدودها فقط. أي ربطت مثاليته بحدود العلم والعمل به. وهو أمر مرتبط بأولوية النظام فيها لا الحرية. فالحرية شئ مهلهل دون نظام. والنظام المتكامل هو الذي تتكامل فيه وحدة الظاهر والباطن. فهو التكامل الذي يذلل مكر "العقلانية" وازدواجية النفس الغضبية. لهذا كانت حقوق المسلم هي نفسها واجباته، وذلك لجوهرية النظام في روح الجماعة، وسيادة العدل في حوافزها. من هنا وضعها أسس الوجود الإنساني من خلال صياغة حقوق حفظ العرض والنفس والمال. وهو تدرج يعكس أولوية الروح والمعنى وترابط الطبيعي والماوراطبيعي، كما هو جلي في تشعب الحقوق والواجبات.

وضعت الثقافة الإسلامية الحق الجماعي(الاجتماعي) مقابل الحق الدولتي(الحكومي) وجعلت منه حقيقة الفقه. وأدرجت في الحق الجماعي كل ما يشمل علاقة الإنسان بالإنسان وبالجماعة. فعندما جمع الغزالي، على سبيل المثال، ما أسماه بحقوق المسلم، فانه ادرج فيها السلام عليه إذا لقاه، وأجابته إذا دعاه، وعودته إذا مرض وشهود جنازته إذا مات. وليست هذه "الحقوق" سوى

الصيغة العلمية الأخلاقية للجماعة في موقفها من نفسها ابتداء بالحياة وانتهاء بالموت. أي أن حقوق المسلم على المسلم لا تتناهى. وفي ديمومتها تعكس نظام الرؤية الأخلاقية. وهو نظام وجد انعكاسه في الأحكام والحكمة القائلة. بان "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى منه سائره بالحمى والسهر". و"إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". و"إن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". ومن هنا مطالبة المسلم بالتواضع والعفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعدم الهجران. ورفض الانتقام. ومعاملة الجميع بخلق حسن مثل ألاّ يقابل الجاهل بالعلم و لا الأمي بالفقه ولا العيي بالبيان. وتوقير المشايخ والرحمة بالصبيان. ومعاملة الناس حسب أقدارهم. وإصلاح ذات البين. وستر عورات المسلمين وعدم التجسس عليهم. وصيانة عرض ونفس ومال المسلم من ظلم غيره. ويرد عنه ويناضل دونه وينصره. والنصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه. واستتبع هذه الحقوق العامة بحقوق الجوار(بغض النظر عن الدين) والتي تتضمن إلى جانب حقوق المسلم المشار إليها آنفا. كف الأذى عنه. بل وتحمل الأذى منه. والرفق به. ومشاركته في السراء والضراء. والصفح عن زلاته وعدم مضايقته في شئ. ومن ثم "حقوق الأقارب والرحم". لان الرحم من الرحمة. وأخص الأقارب والرحم هم الوالد والولد. والبرّ بالوالدين في كل حال في الحياة والاستغفار لهما بعد الموت وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما. فطاعة الوالدين واجبة ورضاهما حتم. كما أن الإحسان إلى الأبناء وتأديبهم والرفق بهم واجب.

إن الثقافة الإسلامية لم تقنن حقوق الإنسان بمعايير الدين والدنيا فحسب، بل وقيدتها بقيم وقواعد الأخلاق الشاملة. إذ لا يعني تدرج الحقوق العامة (للمسلم) إلى حقوق الجوار ومنها إلى الأقارب والرحم سوى السلسلة المعنوية المكملة لأحكام القانون المتشعبة للمعاملات التي اجتهدت مذاهب الفقه في اشتقاقها.

ونفس الشيء يمكن قوله عن المجتمع. فمعيار الموقف منه حسب منطق الثقافة الإسلامية يقوم في إعلاء شأن الأمة وجوهرية الجماعة فيها. فالمجتمع بالنسبة لها هو وحدة الأمة — الجماعة الفاعلة. ذلك يعني أن الأمة والجماعة هما كالشكل والمضمون. فعلى قدر روح الجماعة تتكون معالم الأمة وملامحها. وليس روح الجماعة سوى النسبة المعقولة(المعتدلة) المتراكمة في تجارب الأمة لحل الإشكاليات الكبرى لوجودها المادي والروحي. مما أعطى للحرية المقيدة — بالحق – إمكانية انتظامها الدائم في قواعد متجددة. من هنا فاعلية "القواعد" المتنوعة في مختلف ميادين الحياة المادية والروحية ومستوياتها في العلوم النظرية والعملية وتجلياتها في السلوك الظاهري والباطني.

وتنوعت القواعد بقدر تنوع المدارس وعقائدها. ففي علم الكلام نعثر على اشتراك مدارس المعتزلة في أصولها(عقائدها) الخمسة(العدل. والتوحيد. والوعد والوعيد. والمنزلة بين المنزلتين. والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكـر). ووجـدوا في عقـائدهم هـذه "قواعـد" مثلـى لتوحيـد الأمـة وجمعيتـها الإسلامية. وتوسعوا في اجتهاداتهم ولكنهم اشتركوا بإقرارهم أن الله قديـم. ونفـوا الصفـات القديمـة عنه. وان كلامه محدث. ورفضوا رؤيته بالأنظار. ونفوا التشبيه عنـه مـن كـل وجـه. واعتـبروا أن الإنسان قادر. خالق لأفعاله خيرها وشرها. ومستحق على ما يفعله ثوابا وعقابـا في الآخـرة. وان الله منزّه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية. وان الله لا يفعل إلا الصلاح والخير. ويجب مـن حيث الحكمة رعايـة مصـالح العبـاد. وان أصـول المعرفـة وشـكر النعمـة واجبـة قبـل ورود السـمع. والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل. واعتناق الحسن واجتناب القبح واجــب. وورود التكـاليف ألطاف أرسلها الله إلى الناس بتوسط الأنبياء.

في حين جمع الاشعري ما اسماه بجملة "أقوال أصحاب الحديث وأهل السنة". وهي إقرارهم بالله وملائكته ورسله. وان الله إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبا ولا ولـدا. وإن محمـد عبـده ورسوله. وإن الجنة حـق. وإن النـار حـق. وإن السـاعة آتيـة لا ريـب فيـها. وإن الله يبعـث مـن في القبور. وأثبتوا صفات الله بلا كيفية. وانه لا يكون في الأرض من خير أو شر إلا ما شـاء الله. وانـه لا خـالق إلا الله. وإن أعمـال العبـاد يخلقـها الله وإن العبـاد لا يقـدرون أن يخلقـوا شـيئا. وإن الله وّفـق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين. وإن الخير والشر بقضاء الله وقدره. إن القران كلام الله غير مخلوق. والله لا يرى بالأبصار. وانهم لا يكفرّون أحدا ممـن أهـل القبلـة بذنـب يرتكبـه مـن الكبـائر(كالزنـا والسـرقة). والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبـه ورسـله. وبـالقدر خـيره وشـره. حلـوّه ومرّه. وإن ما اخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئـهم. والإسـلام هـو أن يشـهد أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله. وان الله مقلّب القلوب. يقرون بشفاعة الرسول يوم القيامة. ويقـرون بان الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وقالوا أن الأمر من ثواب وعقاب إلى الله. وأنكروا الجدل والمـراء في الدين. واعتقدوا أن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه. وأمر بالخير ولم يرض بالشـر وان كـان مريـدا له. يعرفـون حـق السـلف ويصدقـون بالأحـاديث النبويـة. ويـأخذ الكتـاب والسـنة. ويـرزن العيـد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر. ويثبتون فرض الجهاد للمشركين ويـرون الدعـاء لائمـة المسلمين بالصلاح. وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف. وأن لا يقاتلوا في الفتنة ويؤمنون بما بعد المـوت. ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم. وإن من مات مـات بأجلـه وكذلـك مـن قتل قتل بأجله. وإن الأرزاق من الله حلالها وحرامها. وجواز أن يخص الله الصـالحين بآيـات تظـهر عليهم. وأنن السنة لا تنسخ بالقران. وأن الأمور جميعا بيد الله و يرون الصبر على حكـم الله والأخـذ بما أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنـه وإخـلاص العمـل والنصيحـة للمسـلمين. ويدعـون بالنصيحـة

لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر(من الزنا وقول الزور والعصبية والفخر والكبر والعجب) ويرون مجانبة البدعة ويدعون إلى مكارم الأخلاق.

ووضع الجويني قواعد"أهل السنة والجماعة" في "لمع" تناولت الإشكاليات الكبرى للكلام الإسلامي المتعلقة بقضايا الغيب الماورائيات الدينية. والوجود الطبيعي. والإيمان والسياسة والأخلاق. حيث انطلق من الإقرار بأن العالم هو كل موجود سوى الله. والعالم ينقسم إلى جواهر وأعراض حادثة. وأن الخالق قديم الذات واحد عالم قادر حي. إرادته أزلية. واجب. واجب الوجود. والحوادث كلها مرادة لله نفعها وضرها. خيرها وشرها. الله يرى لأنه موجود. هو الخالق الوحيد وكل حادث فالله محدثه. والإنسان غير مجبر على أفعاله. بل و قادر عليها مكتسب لها. وانه لا يجب على الله شئ. يرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين والخلفاء الراشدون أربع. والخلافة ثلاثون عاما وما بعدها ملك. ولا يصلح للإمامة إلا من جمع شرائط منها أن يكون قريشيا. مجتهدا من أهل الفتوى. ذا نجدة وكفاية حرا ورعا في دينه.

في حين وضع الغزالي قواعد العقائد(الإيمانية) في أركان أربعة لكل منها عشرة أصول. الركن الأول في معرفة ذات الله وفيه عشرة أصول(الأول) معرفة وجود الله وأول طريق الاعتبار فيه ما ارشد إليه القران.(الثاني) العلم بان الله قديم لم يزل. (الثالث) انه مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر. فهو الأول والآخر. والظاهر والباطن. لان من ثبت قدمه استحال عدمه.(الرابع) انه ليس بجوهر متحيز.(الخامس) انه ليس بجسم مؤلف من جواهر. (السادس) انه ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل.(السابع) انه منزه الذات عن الاختصاص بالجهات.(الثامن) انه مستو على العرش بالمعنى الذي أراده الله بحيث لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث.(التاسع) مع تنزهه عن الصورة والجهة فهو مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة.(العاشر) انه واحد لا شريك له. فرد لا ند له. انفرد بالخلق والإبداع. أما أصول الركن الثاني(صفات الله) فهي كالآتي(الأول) إن الله صانع العالم قادر.(الثاني) عالم بجميع الموجودات.(الثالث) حي.(الرابع) مريد لأفعاله.(الخامس) سميع بصير لا يعزب عن رؤية هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير.(السادس) متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف.(السابع) وكلامه قديم وكذا جميع صفاته.(الثامن) علمه قديم(التاسع) إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بأحداث الحوادث في أوقاتها.(العاشر) انه عالم بعلم. حي بحياة. قادر بقدرة. مريد بإرادة. متكلم بكلام. سميع بسمع. بصير ببصر. أما أصول الركن الثالث(أفعال الله) فهي(الأول) إن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه.(الثاني) إن انفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب. ببل الله خلق القدرة

والمقدور جميعا. وخلق الاختيار والمختار جميعا. (الثالث) إن فعل العبد وإن كان مكتسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله. (الرابع) إن الله متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد. ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه. (الخامس) يجوز على الله أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه. (السادس) إن لله إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق. (السابع) إن الله يفعل في عباده ما يشاء. فلا يجب عليه رعاية الاصلح. (الثامن) إن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله وشرعه لا بالعقل. (التاسع) انه ليس يستحيل بعث الله للأنبياء. (العاشر) إن الله أرسل محمدا خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من الشرائع. أما أصول الركن الرابع(السمعيات) (فالأول) هو الاعتراف بالحشر والنشر. (الثاني) وسؤال منكر ونكير. (الثالث) وعذاب القبر. (الرابع) الميزان وهو حق. (الخامس) الصراط. (السادس) إن الجنة والنار مخلوقتان. (السابع)الإمام الحق بعد النبي الخلفاء الراشدون على التوالي. ولم يكن نص رسول الله على إمام أصلا. (الثامن) فضل الصحابة عل ترتيبهم في الخلافة. (التاسع) إن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة وهي الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش وفي حال اتصاف اكثر من واحد بها فالإمامة لمن له البيعة من اكثر الخلق. (العاشر) لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفة إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته.

وتنوعت اتجاهات التشيع في إبداع قواعد العقائد ما بين غلاة واثني عشرية وإسماعيلية. وكذلك الحال بالنسبة للخوارج من قبلهم. والحركات الاجتماعية — السياسية — الفلسفية مثل إخوان الصفا وغيرهم. وبغض النظر عن تباين طروحاتهم وآرائهم واختلافاتهم(بالأخص في مجال الرؤية السياسية) إلا انهم تقاسموا جميعا. كما هي الحال بالنسبة للاتجاهات "السنية" حركة الاجتهاد الفكرية. إذ كان اجتهادهم مساهمة جوهرية في تعميق الهموم الموحدة. وكذلك في ترسيخ وتعميق وحدة الأمة وتنوع أرواحها الجماعية. وهي أرواح تتجلى في كل شئ بما في ذلك في الوصايا.

فالوصايا هي ليست استعلاء الرؤية وشموخها الاستاذي. بل الصيغة العقلانية لوجدان التجربة الثقافية. فهي تحتوي في أعماقها على حصيلة العقل والوجدان وإعادة إنتاجهما في تربية الأفراد والجماعة. لهذا نعثر فيها على نماذج دينية ولاهوتية وفلسفية وصوفية وأدبية يعكس كل منها رؤية خاصة للنفس والعالم.

وشأن كل جوانب الإبداع الكبرى في الحضارة الإسلامية استند فن الوصايا في تحقيقه لمعنى الوصية إلى القرآن. فقد صاغت الثقافة الإسلامية مواقفها من الوصية استنادا إلى الأفكار القرآنية القائلة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)، و(إن الله يأمر بالعدل والإحسان)، و(لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر). إذ

جعلت الثقافة من الوصية "جند من جنود الله" و"مثلها مثل الطين يضرب به على الحائط. إن استمسك نفع وإن وقع أثر". ووضعت للموعظة صيغا ومعايير متنوعة مثل "عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك" و"الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير".

وتحول وعظ النفس والآخرين إلى ولع اشترك فيه الخلفاء والدهماء والعلماء والوزراء والرجال والنساء. وهو "ولع" له مصادره الخاصة في قيمة الكلمة ومعناها ومغزاها وأثرها في الروح الاجتماعي والأخلاقي. أي في كل ما استند إلى إدراك قيمة النصيحة والمشاورة. من هنا الحكمة القائلة "ما خاب من استخار. ولا ندم من استشار". و"من اعجب برأيه ضل. ومن استغنى بعقله زل". مما جعل أحدهم يقول في مدحه رجلا بالعبارة التالية "له وجه فيه ألف عين. وفم فيه ألف لسان. وصدر فيه ألف قلب". فهي الألوف المؤلفة لتنوع الرؤية والسماع والوجدان ووحدتهم في الحكمة والموعظة الحسنة.

رفعت الثقافة الإسلامية النصيحة إلى مصاف السنة النبوية. وأسست لها من خلال الفكرة القائلة بأن "النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين". ووضعت هذه الفكرة في حديث يقول "إن الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم. والمقصود بالنصح لله هو وصفه بما هو أهل له وتنزيهه عما هو ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا. والمقصود بالنصيحة لكتابه إقامته في التلاوة وتحسنه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحدثين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين. والمقصود بالنصيحة للرسول إحياء سنته بالطلب لها وإحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالأخلاق الطاهرة. والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا به بتنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية. والنصيحة لعامة المسلمين تعني الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقي ما شغل خواطرهم.

وجرى تخصيص هذه الفكرة العامة عن النصيحة في تجارب الاتجاهات الفكرية والسياسية. والذي يعكس إدراك هذه الاتجاهات نفسها لقيمة الوصية وغايتها. فالوصية هي الخيط الوجداني لنسيج الثقافة العقلي. من هنا قيمتها بالنسبة "لقواعد" التربية الوجدانية والسلوكية(الأخلاقية والحياتية) وذلك لاحتوائها على شعور الانتماء الوجداني والإدراك العقلي للثقافة. وليس مصادفة أن تتجوهر في اختصاصات واتجاهات الثقافة الإسلامية جميعا.

لقد تمثلت النصيحة إحدى المرجعيات الكبرى للثقافة الإسلامية. ألا وهي وحدة العقل والوجدان. من هنا قيمتها العلمية والعملية بالنسبة للباطن والظاهر. إننا نعثر على النصيحة في

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. في أقوال السلف الصالح والحكم والمأثورات الداعية للتقوى والصلاح والخير والعفو والمغفرة والتسامح والسموّ والمحبة والجهاد والدعوة للوحدة والجماعة والاعتدال والحق. ونعثر عليها في مخاطبة الخلفاء للرعية وعلاقتهم بالأمة بوصفها وصاية عليهم بحكم القران. أي بحكم الحق. وهي فكرة تحتوي في أعماقها على ما يمكن دعوته بالوصية الباطنية على الإنسان والمجتمع. باعتبارها التزاما معقولا وأدبيا في الانتماء للكل الإسلامي. ونعثر عليها في وصية الفقهاء والمتكلمين والأدباء والشعراء والفلاسفة لاتباعهم وللإنسان والجماعة والأمة. ونصائح الرجال للرجال وللأطفال. ونصائح النساء للنساء والأطفال. وأبدع كل اتجاه فكري كبير نصائحه الخاصة لأتباعه وللمجتمع. ففي إحدى وصاياهم. خاطب إخوان الصفا المرء والمجتمع قائلين بضرورة تأمل الأمور الدنيوية. ثم الاعتبار بتصاريفها في أهلها. ثم الاقتداء عملا وسلوكا بالأنبياء والأولياء بحيث لا يرضى المرء أن يكون لنفسه درجة دونها. ثم العلم انه ليس بين الله وبين أحد قرابة. وان اكرم الناس اتقاهم وأطوعهم له و أكثرهم ذكراً إياه واكيسهم في الأمور وأشدهم اجتهادا. وان يعلم بأن خير مناقب الإنسان العقل. وافضل خصاله العلم. ولكل شئ خاصية. وخاصية العقل التمييز ومعرفة الحقائق والسيرة العادلة وحسن الاختيار. وان يعلم بأن الأفضل والاتم في الإنسان هو سموة الأخلاقي بحيث يتبين له الرشد من الغي. والضلالة من الهدى. والصواب من الخطأ. والحق من الباطل.

وهي وصية مكثفة تعكس الاتجاه العام لوصاياهم العديدة تجاه الوجود وتجلياته الهائلة من خلال سلسلة الله (المطلق) — الروح القدس(مصدر المعرفة العقلية — الوجدانية) والاعتبار بالوجود (الطبيعي والإنساني) والاهتداء بالنماذج المثلى(للطبيعة والإنسان والروح) والاجتهاد الشخصي(الفردي) استنادا إلى وحدة العقل والوجدان.

الوصية في التقاليد الإسلامية هي عبارة الروح والجسد الثقافيين في استنطاقهما حقيقة المبادئ المتسامية. بمعنى احتواؤها على وحدة الطبيعي والماوراطبيعي في "العبارة الخالدة". إذ العبارة تاريخ وطبيعة. والخالد فيها هو حدس الثقافة نفسها(روحها والماوراطبيعي فيها). وليس مصادفة أن يتمثل التشيع والتصوف اكثر من غيرهما في تقاليد الإسلام فكرة الوصية والوصاية عبر أنسنتها في الإمام والشيخ و"تقنينها" في القواعد والسلوك بوصفه الأسلوب المناسب لترسيخ وتعميق الانتماء الواعي والوجداني للعواصم فيها. فقد رفع التشيع فكرة الوصية إلى الوصاية. وطابقها مع "الحكمة الخالدة". إذ ليست الوصاية في نهاية المطاف سوى سريان "النور الإلهي" في أبدان(وجود) الأئمة باعتبارهم أوصياء الله في أرضه(كما عند الخطابية). وليس الإمام سوى تجلي المطلق الإسلامي. الذي جعل بعض الغلاة الشيعة يجدون فيه معيار الحق والحقيقة. والفضيلة والجمال كأضداد للخطأ

والخطيئة. والرذيلة والقبح كما هو الحال عند الحارثية). وعندما يقول البعض عن الكيسانية انه لا إمام لهم. وإنما ينتظرون الموتى. فليس موتاهم لا النماذج التي لا تموت في الزمن و لا تعيش في المكان. وهي المفارقة التي جعلت التشيع يؤسس في خياله المبدع لوحدة الظاهر والمستور. والصامت والناطق(كما هو الحال عند القرمطية). والغيبة والرجعة(كما هو الحال عند النميرية). ومن خلال هذه الوحدة جرى توليف فكرة الحجة(كما هو الحال عند الإمامية) بوصفها وحدة الظاهر – الباطن. والصامت – الناطق. والغائب — العائد للمثال المتسامي. أو الوصاية التي تمثل في وجودها المتنوع من ظهور وستور وصمت ونطق وغيبة ورجعة. الوصية الإلهية الخالدة. من هنا تحول الحجة إلى "صاحب الوقت". ثم إلى "حجة الزمان". من هنا محدودية العدد في الفرق الشيعية جميعا وعدم محدوديتها في الاستعادة. كما لو أنهم جسدوا الحكمة اللامرئية في ابتداء الأعداد بالواحد و"انتهائها" باللامتناهي. ولعل مثال السبعية(الإسماعيلية) والاثني عشرية(الإمامية) أحد النماذج المتميزة بهذا الصدد.

فقد نسب إلى الإمام السادس جعفر الصادق قوله عندما سألوه عن الإمام السابع(الإمام التالي): جعفر(نفسه) هو سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور" ومن ثم فان سابعهم هو قائمهم. إذ لا يعني سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور سوى الدورة اللامتناهية للثبات والتغير. بينما ابتدأت الاثني عشرية (الامامية) بالامام علي وانتهت "بالمنتظر". كما لو أنها أرادت أن تطوي في أعدادها المحدودة(الاثني عشر) لا محدودية الوصاية. وذلك من خلال تحويل الوصية إلى حجة دائمة. وتحويل الحجة الدائمة إلى مرجعية متسامية وجدت انعكاسها أيضا في كنى وألقاب الأئمة مثل المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والري والتقي والرضي والزكي والحجة والقائم والمنتظر. فالمنتظر أو الثاني عشر هو ممثل الدورة الخالدة للزمن(من شهور وأعوام) كما لو انه الرمز الذي يجسد في ذاته وحدة الثبات والتغير كالشهر والسنة. والأرض والشمس. والشيعة والأئمة. والإنسان والله. لان وجود الأئمة هو الوصية الدائمة للماضي والحاضر والمستقبل.

وتوصل التصوف أيضا إلى انفس النتيجة ولكن من خلال محورة وصاياه في سلوك الطريق(اللامتناهي). باعتباره وحدة الثبات والتغير في المقام والحال. والحقيقة والطريقة. والشيخ والمريد. والمطلق والصوفي. لهذا أشترك المتصوفة جميعا في صياغة الوصايا. فلكل شيخ وصاياه في المواقف والأعمال. بل التصوف كله وصية. فقد وضع القشيري وصاياه للمريدين انطلاقا من ضرورة القيام بها ومن أجل أن تكون حجة عليهم. باعتبارها متطلبات يفترضها الطريق نفسه. من هنا تأسيسه للوصايا وبناؤه إياها كما لو أنها بناءا واحدا وكيانا متماسكا. فوضع في مقدمة الوصايا أن

يكون منطلق المريد في الطريق الصدق. لأنه الأساس الصحيح لكل صحيح. ومن ثم وصيته بعدم الانتماء إلى مذهب من المذاهب المفترقة. إذ لا طريق إلا طريق التصوف. ومن بعدها التأدب على شيخ من شيوخ الطريقة. وبعدها وصية القيام بالتوبة الشاملة والابتداء بقطع العلائق والتفرغ للحق فقط. ثم التصحيح الدائم للعقد بينه وبين الله. وألا يخالف شيخه في شئ. كما لا ينبغي له أن يعتقد في الشيخ العصمة. ثم تخليص الإرادة والتمسك ظاهرا وباطنا بالأدب(الصوفي). وليست وصايا القشيري في الواقع سوى قواعد الطريق المثلى في تربية المريد والإرادة. والموضوعة بصيغة وصايا مستنبطة من تاريخ صنع الأنا الصوفية.

في حين وجد ابن عربي في الوصية "حكم الله في الأزل". انطلاقا من انه لولا الوصية كان الخلق في عمه. وبالوصية دار الملك في الدول. فهي تتضمن تجارب الأفراد والأمم والدول والثقافات. ووضع شأن القشيري في آخر "الفتوحات المكية" حصيلة آرائه ومواقفه في مائة وتسع "وصية حكمية". أطلق عليها تسمية "الوصايا النبوية". لكي ينتفع بها المريد السالك والواصل. أي للجميع. وادرج في الوصايا إقامة الدين "وهو شرع الوقت في كل زمان وملة". بحيث يكون مع الجماعة في ذاته ومعها. وأن "يحسن الظن بالرب". وان " يذكر الله في السر والعلن. وفي النفس والملأ". و"إتيان جميع القرب من الله جهد الاستطاعة في كل زمان وحال. بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال". لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض. والمرء هو أولا وقبل كل شئ خليفة الله في ارض بدنه وخليفة رعيته في جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة. و"إلزام النفس الحديث بعمل الخير وان لم تفعل". لأن التخلق بهذه الوصية يؤدي إلى معرفة النسبة بين النشأة الإنسانية والملائكية وأن الأصل واحد. و"المثابرة على كلمة الإسلام وهي القول لا اله إلا الله. فهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء. لان الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها وأثقلها وزنا. لأنه يماثل بها أضدادا كثيرة. فلا بد أن يكون هناك من القوة ما يقابل به كل ضد. و"عدم معاداة أهل لا اله إلا الله" و"ملازمة ما افترضه الله على الوجه المأمور به". و"مراعاة الأقوال كمراعاة الأفعال". و"عيادة المرضى لما فيها من الاعتبار". و"عدم ظلم العباد". و"استعمال العلم في الأدب مع عالم لا يعمل بعلمه". و"التجمل وحب الجمال في كل شئ بالحق". و"مراقبة الله فيما اخذ منك وفيما أعطاك". و"أداء الأوجب من حق الله. وهو أن لا تشرك به أحدا". و"الحذر من الغلو". و"الاغتسال في كل يوم جمعة". و"عدم الجدل في الدين". و"حسن الأخلاق وإتيان المكارم". و"الهجرة من دار الكفار. بمعنى مهاجرة كل خلق مذموم شرعا". و"استعمال العلم في كل السكنات والحركات". و"عدم الاكتراث بالرزايا والمصائب". و"تلاوة القرآن وتدبره". و"مجالسة من تنتفع بمجالسته". و"إقامة حدود الله في النفس". و"تأدية الفروض والنوافل في العبادات فهي الجهاد الأكبر". و"مراعاة المسلمين والمساواة بينهم". و"رحمة الخلق أيا كانوا".

و"العدل في الأحكام"، و"حفظ حق الجار"، و"أن لا تحتقر أحدا من خلق الله بشرا وحيوانا وجمادا". و"التخلص من الخيلاء". و"محبة الأنصار" إذ كل من نصر الحق فهو أنصاري. و"الصدق بالحديث وأداء الأمانة وصدق الوعد". و"الخشوشنة". بمعنى البساطة والتواضع في الحياة". و"النصيحة على الإطلاق للمسلمين ولغيرهم". و"إصلاح ذات البين". و"حفظ الجوارح". و"لا تبلغ ذا سلطانا حديثا". و"الحذر من الطعن بالإنسان". و"مراعاة حق الله وحق الإنسان في النكاح". و"عدم استعباد الأحرار". و"إياك والغدر"، و"عقوق الوالدين". و"تقديم الأمر بالبر على الأب". وإذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة فأبدأ بالطعام ثم الصلاة". و"العدل في الأمور كلها". و"حذر الميل من الحق. و"عليك بأفضل الصدقات". و"قول الحق في مجلس من يخاف ويرجى من الملوك". و"عمل البر". و"صلة الأهل بالود". و"معاملة الجميع بأحب المعاملة". و"تجنب الفتنة". و"الدفاع عن المؤمنين". و"عدم تعذيب كل ذى روح إذا كان في يديك حتى الأضحية. وذلك بدفع الألم عن كل من يتألم جهد الاستطاعة كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان". و"التمسك بالمرابطة والفقر والإخلاص". و"الحذر من الاستهزاء والسخرية بأهل الله". و"الحذر من شرار الناس ومن الشتيمة والسب لأي كان". و"ربط العلم بالعمل بالاجتهاد أن تكون وارثا للأنبياء". و"إكرام الضيف". و"عدم الشفاعة لأحد بحد من الحدود حال اقترافه جريمة". و"منع اللعب بالنرد وتجنب القمار وتصديق الكهان والاحتكار زمن القحط. تجنب الغضب على أي كان. وألا تضرب أحدا. تجنب مجالسة الملوك والأمراء. ولا تعارض الجماعة وعدم حمل السلاح في الحرم. وألا يرد طيب ولا عيش ولا وسادة إن قدمت إليك". و"ألا يقلد غيره في حال تمكنه من حصول الدليل". و"الحذر من التشدق بالكلام. ومن أن يستعبد من دون الله". و"الحذر من التكبر والجبروت والدعوة إلى عصبية. والحرص على المال". و"أن يكسب بعمله المال وطيب العيش". و"أن يكون غيورا لله والحذر من الغيرة الطبيعية الحيوانية". و"ألا يغش ولا يضمر سوءا لأي كان مسلمين وغيرهم. وان يعامل الجميع بالحق ظاهرا وباطنا. وسرا وعلانية. بحيث لا يخاصمه أحد يوم القيامة". و"عدم خيانة من خانك. ولا الاعتداء على من اعتدى عيك". و"كل لتعيش ولا تعيش لتأكل". و"معاملة كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته. فالله بالوفاء. والآيات بالنظر فيها. والرسل بالاقتداء. والملائكة بالطهارة. والشيطان بالمخالفة. والسفهاء بالحلم. والجهال بالسياسة. والأشرار ببسط الوجه. والحيوان بما يحتاج إليه. والأشجار والأحجار بعدم الفضول. والأرض بالصلاة عليها. والموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم. والأولاد بالإحسان والزوجة بحسن الخلق. والصلاة بالحظور. والصوم بالتنزه. والزكاة بسرعة الأداء. والتوحيد بالإخلاص. والمال بالبذل والأعداء بما تكف أذاهم. والناصح بالقبول. والمحدث بالإصغاء إلى حديثه. وعامل الموجودات كلها بالنصيحة".

أبدعت الثقافة إلى جانب النصيحة آداب السلوك. والى جانب آداب العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، وضعت أيضا آداب العادات من أكل وشرب وغسل ونوم وكلام ومعاشرة وصداقة. وتفننت فرق الإسلام ومدارسه في تدقيق وتهذيب هذه الآداب كل من زاويته، بحيث أدى في نهاية المطاف إلى تكوين نظام تقليدي — مرن قادر على إعادة إنتاج نفسه، بفعل احتوائه النموذجي على وحدة المادي والمعنوي، الحسي والعقلي، المصلحي والأخلاقي.

واستطاعت الثقافة استنادا إلى آداب العادات والعبادات بناء قواعد أدبها الأخلاقي. لهذا نظرت إلى الآداب بعيون الحكمة العلمية والعملية، ووضعتها بأقوال مأثورة هائلة، مثل "إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة والزمه القناعة وفقهه في الدين وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف. وإذا أراد به شرا حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه. فركب الفساد وظلم العباد". وان "من لم يكن من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ". ومن "أطاع هواه باع دينه بدنياه". كما جسدت الثقافة وحدة الديني والدنيوي، المادي والروحي، العقلي والوجداني في صياغتها لنماذج الأخلاق الحسنة والفضائل المثلى، بوصفها قواعد ملزمة. ففي موقفها من الشجاعة والجهاد، انطلقت الثقافة من أن القرآن أثنى على الصابرين في البأساء والضراء، ووصف المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص. وطابق الإسلام بين قطرة دم في سبيل الحق وبين دمعة عين في جوف الليل خشية. وطالبت الثقافة الإسلامية بان لا يغسل الشهيد من دمه، لأنها وجدت فيه نورا له يوم القيامة. ووضعت هذه الحصيلة في موقفها من الشجاعة، باعتبارها عماد الفضائل، واعتبرت فقدانها سببا يؤدي إلى عدم اكتمال الفضيلة عند المرء. وجعلت الثقافة من الصبر وقوة النفس وثبات القلب في المعارك والمصاعب والمصائب مؤشرات عليها. من هنا القول المأثور "المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين"، و"من أكرم الكرم الدفاع عن الحرم". وجعلت الثقافة من خصالها الشرف والسؤدد وعلو الهمة. واعتبرت السيد من "بذل معروفه وكف أذاه"، وهو "من يملأ العين جمالا والسمع مقالا"، ومن "يكون للأولياء كالغيث الغادي، وعلى الأعداء كالليث العادي". وأكملت ذلك بقواعد مبنية على قيم الحلم والصفح وكظم الغيظ . واستمدت هذه القيم من القرآن، لذي رفعها إلى مصاف الفضائل العليا، بحيث طالب المسلم "بالصفح الجميل"، الذي هو الرضا بلا عتب، و"بالصبر الجميل"، الذي هو من عزم الأمور.

وطالبت المرء بالحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح كما لو أنها أرادت أن تجعل من بدنه وروحه تجسيدا للملاك. لذا جعلت من الحياء شعبة من الإيمان. واعتقدت انه إذا لم يستح المرء فليفعل ما يشاء. وقالت "من كسا الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه". و"الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء". فقد طالب القران محمدا ومن خلاله الأمة بخفض الجناح للمؤمنين.

مؤكدا مرارا على أن الدار الآخرة لمن لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا. وقال النبي محمد بان افضل العبادة التواضع. لهذا طالب اتباعه قائلا لا تقولوا فيّ ما قالت النصارى بعيسى. فإن الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا! وكان يقول إن "التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله". وطبق ذلك على نفسه. فقد كان يخصف نعله ويخدم أهله. من هنا حكم الثقافة على من وضع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس. و"ما تاه إلا وضيع. ولا فاخر إلا لقيط. وكل من تواضع لله رفعه". وكذلك معارضتها الشديدة للعجب والكبر والخيلاء وما شابه ذلك لأنها صفات تسلب الفضائل. واستغربت الثقافة من تعجب المرء بنفسه. بحيث نسبت إلى أحدهم قوله "عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر". وكيف أن رجلا تقيا مر وبعض أبناء الأمراء يتبختر في مشيه. فقال له الشيخ:

-يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان بك أجمل!

-أو ما تعرفني؟!

-أعرفك معرفة جيدة! أولك نطفة مذرة. وأخرك جيفة قذرة. وأنت بين ذلك تحمل العذرة!

وكشفت عما في هذه الرذيلة من أبعاد سياسية أيضا وضعتها في فكرة تقول "لا يدوم الملك مع الكبر" و"حسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة".

وجعلت الثقافة من الجود والكرم مضمون أخلاقها وميدان تجلي حقيقة الأدب. وتوصلت إلى انه ليس كل معطي كريم ولا كل باذل سخي. واعتبرت أفضل الجود الإيثار الكامل بالمال والنفس للعام والخاص. وبلورت الثقافة حكمتها في قولها "منع الموجود سوء ظن بالمعبود". و"جاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل". بحيث جعل ذلك الثقافة تتوصل إلى أن لا تعدّ القرض معروفا. فعندما قيل لأحد "لا خير في السرف". أجاب "بل لا سرف في الخير".

وقدمت الثقافة نماذج عديدة عن البذل والجود. بحيث توصلت في وصفها للكريم إلى القول "كان أجود من الريح إذ عصفت. واسخى من البحر إذا زخر". من هنا معارضتها الشديدة للبخل والشح. فقد أدان القرآن البخل واعتبره رذيلة. لأنه وجد فيه أحد المصادر الأساسية للشرور الاجتماعية. وليس مصادفة أن يحرم الإسلام الربا. واعتقدت الثقافة بان في البخل سر هلاك الأمم السابقة، و"جامع المساوئ للقلوب". وينطبق ذلك أيضا على الموقف من الوفاء بالوعد وحفظ العهد. حيث شدد القرآن على ضرورة الوفاء بالعقود. وجعل من نقض الوعد والعقد والعهد خروجا من الإيمان. وتوصلت الثقافة إلى أن المنافق هو من إذا حدّث كذب. وإذا وعد اخلف. وإذا ائتمن خان. وقيل لهذا السبب "الوعد وجه والإنجاز محاسنه". و"الوعد سحابة والإنجاز مطرها".

ولم تهمل الثقافة جانباً من أعضاء الجسد الإنساني ولا خلجة من خلجات النفس إلا وتناولتها بالفحص والترتيب. لقد انتزعت من المسلم لحمه ودمه ولباسه، وأكسته لحمها ودمها ولباسها. وقدمت له نماذج معقولة ومقبولة وواجبة، ظاهرة وباطنة، عامة وخاصة، في مختلف ميادين وجودها. وحددت في ميدان انتمائه للإسلام، على سبيل المثال، مستويات الإسلام والإيمان ولكل منهما بعد ومستوى ظاهرى وباطنى ، عام وخاص. فالإسلام الظاهر والعام هو حد الانتماء الأدنى(المقيد) للجماعة، بينما الإيمان الباطني الخاص فهو حد الانتماء الأعلى(غير المتناهي) للجماعة. وينطبق هذا على كل ما له علاقة بالروح والجسد سواء في ميدان العقائد أم في ميادين الأخلاق والسياسة والاجتماع. وذلك بسبب جوهرية النظام.

فالثقافة الإسلامية هي ثقافة نظام. وكل ما يدخل فيها ينصهر في بوتقتها، ويتقولب بقوالبها، ويوزن بأوزانها. وهو نظام مبني في أساسه على نسب المعقول والمنقول المتراكمة في تجارب الأمة الإسلامية. من هنا استحالة تجزئة الثقافة الإسلامية. فقد صنعت الثقافة الإسلامية في مجرى تطورها نسبا متكافئة للمقومات الضرورية والواجبة لوجودها. مما انتزع منها "روح التضاد" والنزاع بين الدين والدنيا، والعلم والإيمان، والفرد والجماعة، والله والإنسان، والدولة والجماعة(شرح نماذج تحليلية للثنويات تكشف عن اضمحلال روح التضاد). وجعلت من هذه الثنويات المتسامية مصدرا ومعيارا لاجتهادها وجهادها. وكانت الحصيلة النهائية لروح النظام فيها هي واحديتها الثقافية.

***



علمنة

الفكر الإسلامى

د. عاطف أحمد

ترجمة: غادة الحلوانى

إن إحدى المشاكل الرئيسية التى تواجه التحديث الثقافى للمجتمعات العربية هى الموقف التقليدى المضاد للتضمينات الفكرية والأخلاقية للحداثة ،على أساس أن هذه التضمينات تقع موقع المعارضة المباشرة للقوانين الدينية للحياة الاجتماعية كما نص عليها بوضوح فى النص القرآنى.

فى هذه الورقة سأحاول أن أحلل بشكل نقدى هذا المفهوم ، مقترحا استراتيجية تأويل (عملية بناء مفهوم) للنص القرآنى قد تسهم فى حل المشكلة فى اتجاه فكر

إسلامي علماني.

من المعروف أن المؤمنين يعتبرون الكتاب المقدس الإسلامى (القرآن) الكلمة الحق لله كما أوحى للنبى محمد. فهم يبجلونه باعتباره السلطة الأساسية فى كل الأمور: شرعية ودينية ،وهم بصفة عامة ينظرون إليه باعتباره معصوما فى كل الأوجه.

وبغض النظر عن هذه الحقيقة فمن المعروف أيضا أنه على طول التاريخ الإسلامى كله لم يحز أى كتاب تأويلى على إجماع .على العكس هناك اختلاف هائل فى التفسير فى التاريخ الماضى والحديث على السواء.

ففيما يتعلق بالتفسير الكلاسيكى ،قد يكون من الأهمية مقارنة تفسير الطبرى(٨٣٩-٩٢٣) ،حيث نجد مجموعة موسوعية تلخص كل شئ حدث بخصوص هذا الأمر حتى وقته ،مع كشاف الزمخشرى (١٠٧٥-١١٤٣) الذى قرأ نظريات وأفكار المعتزلة فى كل مقطع قرآنى .ناهيك عن التأويلات المجازية الشيعية والصوفية.

من ناحية أخرى اكتسب التفسير القرآنى الحديث دلالة جديدة مع ظهور الحداثة فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى .كانت القاعدة هى العودة إلى إسلام «الأسلاف» النقى والأصيل .لقد اعتبرت تفسيرات المراجع الأقدم والأصلية للإسلام قسرية ،وبذلت المحاولات لتأسيس المبادئ الضرورية من أجل فهم صحيح للقرآن.

لقد اتهمت التفسيرات التقليدية إنها أدخلت الإسرائيليات والأحاديث النبوية المزيفة التى لا تمت بصلة للتعاليم الأصلية للنبى ،من ناحية أخرى، لم يحدث أبدا أن وضعت سلطة القرآن فى محل تساؤل إن محمد عبده ،الذى ألقى محاضرات تفسيرية للقرآن فى«المنار» (ومريده رشيد رضا) ، والتى نشرها ورضا بعد ذلك فى كتاب ،فى حين أنه يعتقد أن القرآن نص أوحى به حرفيا من الله لبنيه ،حاول أن يظهر أن نتائج العلوم الحديثة والعديد من الآراء الحديثة موجودة بالفعل فى القرآن ،وقد أظهر هذا عبر قراءة أفكار حديثة لا وجود لها فى كلمات القرآن (تأويل ملتو).

مع ذلك،فقد أظهرت تطورات لاحقة تيارات جديدة، فعلى سبيل المثال رأى مولانا أبو الكلام أزاد(١٨٨٨-١٩٥٨) أنه من المهم تفسير القرآن على أساس مراعاة الجذور الاجتماعية وغيرها للبيئة .لهذا فمن الضرورى دراسة ثقافات ولغات العربية القديمة والشعوب السامية الأخرى .فقد أشار إلى أن دراسة الظروف التاريخية التى أنزل فيها

القرآن تسهل فهم ما منحه(القرآن) لهؤلاء الذين تلقوا الوحى.

إضافة إلى ذلك ، حاولت التطورات الحديثة والمعاصرة أن تدخل اللسانيات المعاصرة ، مصاحبة بتحليل اجتماعى-تاريخى ، فى فهم النص القرآنى .(مثال نصر أبو زيد: مفهوم النص).

تشير كل هذه الاتجاهات الحديثة إلى استهلال أكثر من رؤية تاريخية للقرآن ،تلك التى تحاول أن تميز بين الأفكار الدينية الرئيسية، والأمور الخارجية التى تعتمد على البيئة التاريخية.

هذه الفكرة الأخيرة هى المفهوم المحورى لهذه الورقة. لذلك سأحاول أن أميز بين ما هو دينى وما هو دنيوى فى النص القرآنى عبر شرح ثلاث نقاط:

١- إن القرآن ليس مجرد كتاب بالمعنى المعتاد للكلمة لكنه يجسد عملية.

٢- هذه العملية تتضمن ديناميكيات معقدة ذات اعتبارين رئيسيين : دينى من جهة ، ودنيوى من جهة أخرى.

٣- إن الوجه الدينى هو المقدس (ذلك الموجه لكل البشر) فى حين أن الوجه الدنيوى هو ذلك الذى كان هدفه عند التأسيس داخل المجتمع العربى، إطاراً اجتماعياً- سياسياً لتخويل الوجه العقائدى أن يرسخ كواقع ملموس.

١-عملية أكثر من كونها كتاباً : باعتبار النقاط التالية:

الحقيقة الدافعة المعروفة للجميع هى إن الآيات القرآنية نزلت متفرقة عبر فترة بلغت أكثر من٢٠ عاما بقليل ، هذه الآيات المتفرقة كانت موجهة لأنواع مختلفة من المواقف واستجابة لأنواع مختلفة من الأسئلة أو المشاكل التى برزت فى المحيط الاجتماعى للمجتمع المسلم.

* يستجيب الوحى القرآنى بشكل ثابت وبصراحة فى الغالب للوضع التاريخى لمحمد، مانحاً إياه تشجيعاً فى أوقات الاضطهاد ،مجيباً عن أسئلة من قبل تابعية ومعارضيه ،ومعلقاً على الأحداث الجارية ،إلخ.

* تبدلت فى بعض الأحيان قوانين المجتمع الإسلامى لتناسب أحوالاً جديدة(سمى هذا «النسخ») ،وجدير بالذكر أنه فى حين يقدم القرآن قوانين مفصلة عن بعض الجوانب لسلوك المجتمع الإسلامى وتعليمات عامة عن جوانب أخرى ، فلا توجد مدونة

سلوك أو قائمة للواجبات المطلوبة . عادة يتم التعامل مع كل قضية بشكل منفصل حتى ولو فى أماكن مختلفة متعددة.

* هناك عدد من التلميحات للحالة الذاتية لمحمد فى مكة(مثل الاضطهاد الذى عانى منه ، الاتهامات التى وجهها إليه معارضوه ، حياته المبكرة ويتمه) وللمارسات الخاصة لأهل مكة.

* جمعت مقاطع فى تواريخ مختلفة مع بعضها البعض لتشكل «السور القرآنية» الحالية،واستخدمت وثائق مكتوبة ، وهناك دلالات على أن هذه المراجعة تمت تحت إشراف النبى محمد بالرغم من أن القرآن ككل لم يجمع خلال حياته.

هذه النقاط معاً تقود إلى إدراك أن القرآن هو محصلة آيات متفرقة (فى الزمان والمكان) موحاة من الله لمحمد ، داعما إياه فى تأدية مهمته النبوية فى محيط من الصراع القبلى العنيف.

هذه الآيات لم تكن من جانب واحد (تأتى على نحو منفرد فى جانب واحد بدون مشاركة الجانب الآخر) لكنها كانت حواراً دائماً بين الله والمجتمع العربى عبر النبى .وهذا يجسد حدثاً تاريخياً فريداً حيث كان الله موجودا بفعالية ومشاركاً فى تشكيل المجتمع المسلم. وبالرغم من أنه بعيد ومجرد بالمعنى المادى ، فسبحانه تعالى كان حاضراً طوال الوقت وعلى اتصال مباشر بشئون المجتمع الإسلامى .لهذا جاءت التشريعات والقوانين ذات الطبيعة غير الدينية مفهومة وذات صلة بالأحوال الاجتماعية الملموسة التى يتعاملون معها ،وكانوا يغيرون محتواها كلما نشأت مواقف جديدة.

لهذا يجسد القرآن محصلة عملية وجود الله ومشاركته فى المجتمع الإسلامى فى القرن السابع الميلادى.إنه ليس مجرد كتاب تعاليمى لابد من اطاعته من قبل أى مجتمع مجتمعاً مسلماً.

إن الأساس المنطقى لهذا هو أن التعاليم الإلهية لم تعد متاحة الآن بعد موت محمد فلا يوجد أى مصدر للتشريع ليتعامل مع الأحوال المتغيرة .إضافة إلى ذلك ،فقد حققت أهداف التشريع القرآنى للمجتمع الإسلامى وأنجزت فعليا عبر حياة النبى وحضور الله فى المجتمع.

٢- الدينى والدنيوى (المدنى)

لقد أتاح وجود الله عبر الوحى خلال حياة محمد للممارسات الدينية الإسلامية ، إمكانية أن تشحن بمحتوى اجتماعى- اقتصادى واضح.

لهذا السبب اكتسب الإسلام خلال فتراته الأولى (الحياة الاجتماعية للمدينة المنورة) روح الشعب المميزة كدين يوحد فى داخله الوجهين الدنيوى والروحانى على السواء للحياة ، ناشداً ليس فقط تنظيم علاقة الفرد بربه(عبر ضميره) بل والعلاقات الإنسانية فى وضع اجتماعى أيضا.

وكان لابد من إنجاز مهمة مزدوجة : دينية موصلة ومثبتة المحتوى والممارسات العقائدية فى المجتمع العربى ، ودنيوية هادفة إلى تأسيس إطار اجتماعى- سياسى وسط القبائل العربية.

اهتم الوجه الدينى بتثبيت الإيمان التوحيدى بالله ، فى عقل العرب متضمنا نظام القيم الأساسية التى تشكل أعمدة الإسلام ،والالتزام بالمحظورات الأخلاقية التى نص عليها عبر الوحى.

كانت المهام الدنيوية أمراً حتمياً بسبب الوضع الصراعى العنيف الذى ميز المجتمع العربى فى ذلك الحين .ففى الفترة المكية ،ركزت الممارسات (الأحاديث والسنن)حول جذب الموالين وإنشاء دين جديد باستخدام الأشكال الأعلى فى البلاغة الخطابية والتأثيرات المجازية ، فى حين أنه فى المدينة كان لابد من الأخذ بمعيار مزدوج :الأول ،تنظيم الشئون الداخلية للمجتمع الإسلامى وقواعد علاقتهم بالمجموعات القبلية فى المدينة: . الثانى :التجهيز لإدارة مشكلة خضوع القبائل غير الحليفة والعدائية (قريش فى مكة والقبائل البدوية فى الصحراء) للهيمنة الإسلامية .وقد تم تنفيذ هذا تقريبا عبر الغزوات العسكرية حيث كانت «بدر- ٦٢٤» نقطة تحول حقيقية فى تاريخ الإسلام.

من ناحية أخرى ، نتج عن الحوار المستمر بين الوحى والمجتمع العربى مدى واسع من التيمات / الأفكار /المواضيع التى تطلبت أنواعا مختلفة من الاستجابات .ولهذا تضمن النص القرآنى تنوعاً فى الأفكار غير العقائدية وأنماطا من الأساليب اللسانية مثل« السرود» (خاصة القصص النبوية والجزائية) و«المقاطع -العلامة » التى تتحدث عن ظواهر معينة للطبيعة والحياة الإنسانية كـ«علامات» «آيات» على قدرة الله الكلية والخير تجاه الإنسان، مطالبة بالامتنان وعبادة جلالته وحده .إضافة إلى ذلك ، هناك

العديد من المقاطع الموجهة إلى بعض الأمور الشخصية المتعلقة بالنبى وبعض الشخصيات الأخري المهمة.

بشكل عام ، قد يكون غرض الوحى، بعيداً عن الغرض الدينى الذى هو الغرض الأساسى ، هو غرض تعليمى ، وعظى ، بلاغى ، تشريعى وشروحا وتعقيبات شخصية.

٣- التمييز بين المقدس والدنيوى فى النص القرآنى.

أ-الخصائص العامة للدينى:

تتشارك كل الأديان فى بعض القواعد الأساسية العامة :تقدير الألوهى والروحانى والمقدس والفوقى.

لهذا سيعرف الدين إجرائيا هنا كمجموعة من المعتقدات والممارسات (الشعائر ، المحظورات الأخلاقية) تتعلق بالبعد الميتافزيقى للوجود الإنسانى (الدنيا والحياة) .إن الأساس المنطقى لهذا التعريب هو رؤية الدين باعتباره ناجما عن الخبرة الإنسانية للمقدس الذى هو شئ من الصعب اختزاله فى أى نوع من التفسير.

بالرغم من أن التمييز بين المقدس والدنيوى ،قد لا يكون صحيحاً كلية فهو يعد أقل إشكالية عندما يتم تطبيقه على دين محدد مثل الإسلام.

ويعود هذا إلى أن الوجه الدينى الإسلامى (المقدس) متطور تطوراً كبيراً أو محكماً .فهو يرتكز على:

١. الايمان بعظمة ووحدانية الله، إلى جانب مخلوقات معينة أدنى منه وذات طبيعة خارقة.

٢- صحة وحقيقة نبوة محمد وتلقيه للوحى من الله.

٣- نظام فى طقوس العبادة محدداً متعلق بأحكام بتذكر الله والخضوع لإرادته.

٤-الالتزام بمحظورات أخلاقية محدد تعمل ، ضمن وظائف أخرى ،كعلامة رمزية للمجتمع الإسلامى.

هذا الاعتقاد الأساسى يتميز بكونه روحانياً ،تجريدياً ،كليا وثابتاً ، بالإضافة إلى الطقوس والمحظورات التى هى ذات صلة قوية بالاعتقاد الأساسى سواء كان منطقياً أم ظيفياً ، تشكل الوجه الدينى والمقدس للإسلام.

ب-الخصائص العامة للروايات الدنيوية (المدنية) فى القرآن:

١- لا يمكن استنتاجها منطقياً أو ربطها وظيفيا بعقيدة الدين الأساسية .

٢- تتعامل مع أفكار هى بشكل إدراكى تندرج تحت مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية.

٣- أشتقت الآيات التشريعية فى الأساس من الأحداث الواقعية والمواقف التى وقعت بداخل المجتمع الإسلامى خلال حياة محمد.

إن مجال المواضيع ومحتوى أحكامها تزامن مع المحيط الاجتماعى- الثقافى ووجسد الإطار المفاهيمى لذلك العصر.

(القتال -الغنائم- السبايا- الرق-وأد البنات- الانصاب-الأزلام-القصاص -الدية).

٤- ينحو التعبير التشريعى فى بعض الأحيان إلى أن يكون تجريدياً أو ناقصاً حتى لا يفهم إلا من قبل الناس الموجه إليهم.

٥- لم تكن هناك مدونة كاملة أو قائمة بالقوانين التشريعية تغطى المدى الكلى للمواقف التى قد تنشأ فى المجتمع . إن القوانين التى صدرت كانت محددة على وجه الحصر بالمواقف التى أثارتها.

كل هذه النقاط تدل على أن الفقرات ذات الطبيعة غير العقائدية لم يكن المقصود بها أن تكون لا دينية ولا مقدسة ولا إلزامية للمسلمين القادمين ليعوها كتعاليم إلهية.

حاولت هنا أن أضع استراتيجية تفسير للنص القرآنى من منظور المقدس والدنيوى وآمل أن مثل هذه المقاربة ، بكونها متسقة مع المعلومات النصية- التاريخية ، ربما ، إذا قبلت بعقلانية ، أن تخول المفكرين الإسلاميين أن يكونوا ،جميعا وفى نفس الوقت : علمانيين ودينيين فى الوقت نفسه ،وعليه فقد تنفتح بشكل هائل احتمالية جديدة لتبنى القيم الثقافية للحداثة.

أدب ونقد

مقال



دين الآباء

خليل عبد الكريم

١

فهم الحقبة المعروفة بفجر الإسلام والتعرف على خوافيها وسبر أغوارها لا يتم إلا بدراسة الفترة السابقة عليها والتى يطلقون عليها الجاهلية(١).

إذ أن الكثير مما ساد خلالها يستحيل أن يختفى لأنها امتدت مئات الأعوام وعلم الاجتماع وتحديداً الدينى يؤكده.

إن التعرف على تقاليدها وعاداتها وقيمها وأنساقها على كافة الأصعدة ومن سائر النواحى يؤدى إلى فك شفرة ألغاز الأحداث وحل أسرار النوازل التى وقعت إبانها (فجر الاسلام) وما تلاها وليس مغالاة إذا قلنا بل حتى أيامنا هذه خاصة فيما يتصل بوشيجة حميمة بالجانب التيولوجى.



من أبز الأنساق الاجتماعية التى هيمنت وقت ذاك ما عرف ب «دين الآباء» والذى أسئ فهمه كثيرا بالانصراف إلى مدلول ما عبده الآباء.

وفى حالة قريش تأليه هبل واللات والعزى ومناة وآساف ونائلة والسجود والنحر والنذر لها..إلخ.

إنما هو التقاليد الرواسخ والقيم والمبادئ التى خلفها الآباء ذوو المكانة المحترمة ومنهم فى الفترة موضع البحث نكتفى منها باثنين على سبيل المثال:

أولهما عبد المطلب الجد المباشر ل «الحبيب المصطفى» عليه وعلى أله أزكى السلام وإذ أنه من الأحناف فقد سن صوم رمضان والتحنث فى غار حراء وتحريم الخمر ..إلخ

الآخر الوليد بن المغيرة والد خالد القائد العسكرى الشهير وهو شخصية مركبة فهو من طبقة المثقفين «الانتلجنسيا» فقد وصف القرآن المجيد وصفاً رائعا ما زال الوعاظ فى المساجد يرددونه حتى الآن رغم إصراره على الكفر ونفى عن«الصادق الأمين» التهم التى رماه بها سفهاء قريش مثل الجنون والسحر والكهانة والشعر وطرح أدلة أثبتت أن لديه مخزوناً معرفياً وفيراً.

ومن بين ما أسس عرف قطع يد السارق فهو من ناحية لحام ومن أخرى ذو ثروة وسيعة فطغت عليه موجبات عمالته فاستغلها لحماية ماله الوفير.

الذى شهد له به القرآن المجيد «ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدواً ٧٤/١١ ومن ساعتها غدا قطع يد السارق سنة متبعة فى قرية القداسة «مكة»» وبظهور الإسلام أصبح حداً أى عقوبة جنائية أو جزائية «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »٥/٣٨.



لا أدل على أن« دين الآباء» لا يعنى عبادة الأصنام.

بل تقاليد الآباء العظام «البطاركة» هو ما تفوه به أبو طالب عم« المعصوم» –س– وهو على فراش الموت.

(فقال رسول الله– ص : يا عماه قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال

أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية -وكانا حاضرين- يا أبا طالب أترغب «تترك» عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله -ص- يعرضها عليه ويعيد تلك المقالة حتى قال له أبو طالب آخر ما كلمهم :هو على ملة عبد المطلب)(٢).

وفى معاجم اللغة -الملة هى الدين فعلى ملة عبد المطلب أى على دين عبد المطلب .

فلماذا قال أبو طالب وأبو جهل وعبد الله بن أبى أمية «والأخيران من المرازبة الجحاجح أى الصناديد» على ملة عبد المطلب ولم يقولوا أو أى واحد منهم: بل على عبادة هبل واللات والعزى.

لم تأت هذه الجملة على ألسنتهم اعتباطا أو خبط عشواء أو رمية من غير رام.

كلا بل لها مضمون سوف نكشف عنه سنة سنة(٣) ونحن نمضى فى تحرير هذا المقال.



عندما حقق القرشيون انتصاراً ساحقا فى غزوة أحد اغتبط يهود أثرب وملأ الفرح قلوبهم.

فذهب اثنان من متنفذيهم على رأس وفد من سبعين (٤) راكبا يهنؤنهم.

هذا من رجانب ومن جانب آخر يحرشونهم على «صاحب المقام المحمود» محمد عليه وعلى آله السلام» وتبيعه ويعقدون معهم حلفا هجوميا يستأصل شأفتهم فهم عدوهم المشترك:

(.. عن مكرمة قال : جاء حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب والعلم القديم فأخبرونا عنا وعن محمد ،فقالوا : ما أنتم وما محمد؟.

قالوا: نحن ننحر الكوماء(٥) ونسقى اللبن على الماء ونفك العانى ونصل الرحم، وديننا القديم ودين محمد الحديث ، قالا بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا) (٦) هنا نجد أن زعماء قريش لم يذكروا عبادة الأوثان والأصنام بل عددوا ما ورثوه من تقاليد عن الآباء ونلاحظ أنها تدخل من بوابة الأخلاق لا العقيدة.

فلم فعلوا ذلك؟

لا لأنهم ظنوا أنهم لو وضعوا أوثانهم مقابل التوحيد الذى يدعو إليه« من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً أى محمد عليه وآله السلام» لخذلهم اليهود لأنهم أيضا موحدون(٧)

إنما من المرجح من وجهة نظرنا أن تمسكهم بـ« دين الآباء» يرجع لأسباب اجتماعية ونفسية إذ يعتقدون -وكذا سائر القبائل -أنه الحزام أو المدماك الذى يشد وحدة القبيلة ويمنعها من الذوبان فى غيرها وخاصة إذا اقترن الدين الحديث بتأسيس دولة تنصهر القبيلة فيها وذلك لاختلاف النظام القبلى عن نظام المؤسسات التى تمترس عليه الدولة.



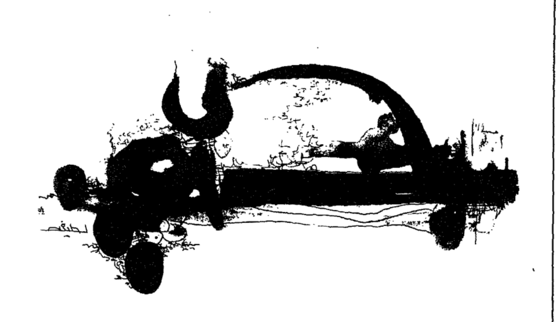
إن تناول أسباب التحاضيض «الدوافع» التى تحث على الحرص على« دين الآباء» سوف يخرجنا عن صلب السياق إذ أن المهم لدينا الآن هو أن هذا النسق قديم وقد سجله القرآن العظيم فى آيات كثيرة منها.

«قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا» ٣١/٥١ «إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على أثارهم مقتدون ٤٣/٢٣ .وما زال سارى المفعول ومستمرا حتى يومنا فكلما ظهر فكر أو رأى أو تفسير أو تنظير ..حديث(٨) قاومه أصحاب «دين الآباء» بشراسة وحاربوه بعنف وقاتلوه بضراوة .بيد أن المنادين به «الحديث» يعرفون جماعه بل وتوقعوه وحسبوا له حسابه ووطنوا أنفسهم على تحمل نتائجه.

إن حملة شعار «دين الآباء» يتوهمون أنهم أقوياء مثلما ظن أسلافهم سادة قريش- ويصدقهم الكثيرون ومنهم من يشيرون على رجال «الحديث» بالتراجع والانهزام والتسليم وأن هذا عين الحكمة. ومحض الصواب

فى حين أنهم يرون العكس ويردون أنها ليست قوة وإن اتخذت مظهرها وأن أربابها فى قرارة نفوسهم يعرفون. لانهم طالعوا أقاصيص سابقيهم أوسلفهم وعلموا أنهم فى نهاية الشوط مهزومون وفى آخر المطاف مخذولون وعند آخر محطة فى المضمار سوف يتهاوون.

وان الفوز والظفر دائما وحتما ل دعاة «الحديث» كما انتصر «الهادى البشير عليه وآله السلام» على أئمة الكفر وصناديد الشرك العاضين بالنواجد عليدين الآباء».



ولا عــجب «فلق تجــد لسنة الله تبــديلا» ٦٢/٣٢، «ولن تجــد لسنة الله تحويلا»،٤٣/٣٥.

الهوامش

١- فى كتابات لنا سوابق أوضحنا أنها مواصفة أيديولوجية قصد منها التنظير والتبغيض.

٢- (السيرة النبوية) ل ابن اسحق -المجلد الأول- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخر -ص٣١٠ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ -طبعة أخبار اليوم.

٣- عربية فصيحة.

٤- السبعون عشرة أضعاف السبعة وهو العدد المقدس فى الديانات الإبراهيمية الثلاث وهذه انتقشته من الديانات السامية القديمة.

٥- الناقة اللحيمة ذات السنام الضخم وهى أغلى النوق ثمناً.

٦- (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى -ص١٠٢ -الطبعة ١٣٦٨ هـ/ ١٩٦٨ مؤسسة الحلبى ب مصر.

٧- واضح من عجز الخبر أن اليهود فضلوا دين قريش كيما يستميلوهم ل صفهم ولعقد الحلف معهم.

٨- نذكر هنا بوصف القرشيين ل دين محمد- عليه وآله السلام-بأنه دين «حديث».

إن الاعتراف الكامل بالإسلام دينا وبمحمد عليه السلام نبيا يهدم البناء اللاهوتى للكنيسة من أساسه، هذا هو السبب «الكامن» وراء ما يبدو انحيازا غير مفهوم ضد الإسلام والمسلمين . لكن علينا ألا نفصل «اللاهوت» عن السياسة والاقتصاد، أى عن التاريخ والمصالح من منطلق هذا التاريخ وعلى أرض المصالح أمكن للفاتيكان أن يميز بين يهود اليوم ويهود «الناصرة» زمن المسيح عليه السلام ، فبرأ يهود« اليوم» من دم المسيح عليه السلام وأصدر وثيقته بذلك. لكنه ومن على أرض المصالح ، التى تجمع تاريخ الكنيسة والفاتيكان بتاريخ الاستعمار منذ القرن الثامن عشر، لم يفصل بين يهود «اليوم» ويهود التاريخ، فأصبح الحق التاريخى لليهود فى فلسطين عامة وفى «القدس» خاصة قضية مسلما بها .هل نطالب «الفاتيكان» بالاتساق مع نفسه فإما أن يلغى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وإما أن يعلن أن يهود اليوم- الذين لم يقتلوا المسيح- لاحق تاريخياً لهم ولاحق سياسياً ولا دينياً لا فى فلسطين ولا فى القدس؟.

الفزع من الإسلام .الحقيقة والأيديولوجيا

د. نصر حامد أبو زيد

تعلمون إن موضوع «الفزع من الإسلام» يغرى إغراء لا يقاوم بتركيز النقد على «الغرب» وعلى إعلامه لما يحرص عليه من إبراز الصورة السلبية لا للإسلام والمسلمين فقط، بل لكل ما هو عربى بصفة خاصة .واسمحوا لى أن أصارحكم بأننى أحس أن من الواجب علىّ أن أقاوم هذا الإغراء . إن نقد« الموقف الإعلامى الغربى من العرب والمسلمين عموما هو فرض عين ، ولكن مكانه يجب أن يكون الإعلام الغربى ذاته .أما وأنا أتحدث إلى جمعكم هذا ،فمصارحة النفس ونقد الذات أولى بنا. فلا أحب أن ينطبق علينا قول السيد المسيح عليه السلام:

إن أحدكم ليرى القشة فى عين أخيه ولا يرى الخشبة فى عين نفسه.

لهذا سأبدأ بالإشارة السريعة إلى وجود قوى اجتماعية وسياسية فى العالم

الإسلامى تسعى للسلطة مستخدمة فزاعة «الإسلام» ورافعة شعاره .ومن المؤسف أن وصم الإسلام بصفة الإرهاب بدأ هنا فى عالمنا العربى :فعل ذلك من يمارسون باسم«الإسلام» وصاية على العقول والقلوب، وفعله بالمثل من أرادوا مقاومة تلك الوصاية بالتهوين من شأن العقائد والأديان فى الحياة الاجتماعية والسياسية .وفى هذا السياق المرتبك اختلط الحابل بالنابل ، وصارت المطالبة بالفصل بين « الدين» و«السلطة» -فصل السلطات- تفهم بوصفها دعوة لإقصاء الدين عن الحياة ، وشتان بين الأمرين .الأخطر من ذلك أنه لم يعد ثمة مجال مفتوح لمناقشات فكرية حرة تتناول تاريخ الفكر الدينى تناولا نقديا ،ولا كيفية تكون مدارسه واتجاهاته فى السياق التاريخى والاجتماعى بطريقة تثرى واقعنا الفكرى المهترئ إلى أبعد الحدود، خاصة فى مجال الأفكار والمفاهيم والتصورات ،حيث تحولت بعض التصورات والأفكار التاريخية للأسف الشديد إلى ثوابت لا يجوز الاقتراب منها.. لا أريد أن أفتح الجروح بذكر الأمثلة ،إذ تكفينى فى هذا المجال الاشارة .

طالت هذه المقدمة ، ولكننى أراها ضرورية للانتقال إلى تحليل خوف «الغرب» من الإسلام ، راجيا ألاّ أسقط فى هوة المبالغات التى تغرى الكثيرين بالسقوط فيها. لقد أتاحت لى ظروف الإقامة فى الغرب خلال السنوات الست الأخيرة القدرة على النظر من بعيد ،وما تفضى إليه من رؤية الصورة كاملة .هذا بالإضافة إلى القدرة على إدراك التفاصيل فى هذا« الغرب» الذى يحتوينى مكانيا .لذا أجد من الضرورى التمييز فى« الغرب» بين مفهومين : مفهوم «الحضارة» ، التى ننسبها للغرب ، وبين مفهوم «الغرب السياسى» .يشير المفهوم الأول -الحضارة- إلى مجموعة من المنظومات- لا منظومة واحدة فقط -الفلسفية والفكرية والثقافية والسياسية ،بالاضافة إلى المنظومات-مرة أخرى بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد -الجمالية المعمارية والفنية والأدبية. أما المفهوم الثانى ،مفهوم «الغرب السياسى» ،فيشير إلى مجموعة النظم السياسية والأيديولوجيات الحاكمة فى بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .وهى نظم وأيديولوجيات لا تمثل بالضرورة قيم الحضارة الحديثة ،كما أن السياسات التى تتبعها تلك النظم السياسية قد لا تعكس فى أدائها وتوجهاتها مقتضيات السلوك الحضارى المثلى.

ولاشك أن مواقف «الغرب السياسى» تحكمه علاقات المصالح ، التى هى امتداد

لمرحلة الأطماع الاستعمارية فى سياق جديد هو سياق «السوق العالمية الموحدة» . يتجلى هذا فى عمليات الاعتداء على حدود السيادة الوطنية، والتى بلغت ذروتها فى زرع الكيان الصهيونى فى أرض فلسطين ومحاولات تفريغها من أصحابها الأصليين وما يزال مسلسل الاعتداءات مستمرا ضد شعب العراق وأطفاله وهذا يعنى أن عداءنا لذلك «الغرب السياسى» ليس أمراً نختاره أو نرفضه ، بل إن الرفض والإدانة يمثلان أضعف الإيمان فى سلوكنا الوطنى ومن مهام المثقف الوطنى ألا يكتفى بإدانة هذا الغرب «السياسى» بكل الوسائل والأدوات المتاحة لديه ،ومن خلال كل المنابر الفكرية والثقافية والإعلامية شرقية وغربية، بل عليه أن يعلن وبكل وضوح كذلك إدانته لأنظمة الحكم العربية التى تتحمل نفس الدرجة من المسئولية عن هذا الوضع المتردى. ليس من الحكمة أن نعلق الجرس فى رقبة« الغرب السياسى» ، مبرئين من المسئولية حكامنا الذين يقهرون الشعوب، فيغلقون أبواب التصدى الشعبى للعدوان ومقاومته إغلاقا تاما.

بعد هذا التوضيح وتحرير المفاهيم والمصطلحات لا أظن أننى فى حاجة إلى تأكيد أن موقفنا من«الحضارة الحديثة» يجب أن يكون موقف التفاعل النقدى الخلاق وهو موقف لا يقوم على التعامل معها من منظور براجماتى يعتمد على استيراد المنتج التكنولوجى ،مع تجاهل أساسه العلمى والمعرفى ،كما أنه لا يقوم على استيراد «النظريات» العلمية والمعرفية ومحاولة فرضها بطريقة ميكانيكية آلية فى بيئة ومناخ ومجالات مغايرة للبيئات والمجالات التى أنتجتها .لقد تم تطبيق نهج «الاستيراد» خلال عقود طويلة -فى القرنين التاسع عشر والعشرين -ولم ينجح لا فى تأسيس مجتمع علمى ،ولا فى خلق مناخ للتفكير العلمى .والعلة فى تقديرى أننا نظرنا إلى تفوق «الغرب» طوال هذين القرنين بوصفه تفوقا فى العلم والتكنولوجيا وحدهما ، دون مجال الفكر والفلسفة والثقافة والفنون ، أى دون مجال النشاط الروحى الذى تصورنا أن رصيدنا التراثى منه يتفوق على إنجاز الحضارة الحديثة فيه. وما تزال دعوات «النهوض» و«التقدم» التى تتردد الآن وبقوة تركز على قضايا «العلم» و«التكنولوجيا» بمعزل عن تطوير علومنا الإنسانية بالتفاعل مع إنجازات مناهج الإنسانيات فى الحضارة الحديثة.

إن الإنسان المنتج للعلم والتكنولوجيا هو الإنسان الذى تم تكوينه معرفيا منذ مرحلة الطفولة بتدريبه على أهمية إثارة الأسئلة ،وتقليب الاحتمالات الممكنة ،والتفكير فى الأجوبة قبل اختيار أحدها ،والاستعداد للتخلى عن قناعته إذا ثبت له عدم دقتها ،والأهم من ذلك كله عدم قبول الرأى الشائع دون فحص ونقد .إنه منهج« الشك» والمراجعة ، وإعادة النظر ، لا منهج «الإيمان» الأعمى« واليقين» الزائف و«الطاعة» و«التقليد» .كم نحتاج للتعلم؟ سؤال لا ينبغى أن نخجل من إثارته ،فلو لم يتعلم «الغرب» ممن سبقوه فى مضمار الحضارة ما استطاع أن يكون ما هو عليه الآن.

والعجيب أننا ، رغم كراهيتنا للغرب السياسى بحكم ممارساته العدوانية ضد مصالح شعوبنا ، مشغولون دائما أشد الانشغال بصورتنا فى عيون إعلام هذا الغرب ،وهذا أمر يصيبنى بدهشة تصل أحيانا إلى حد« السخرية» ،إذ يجب أن يكون شاغلنا الأساسى وهمنا الأول تكوين صورة صحيحة عن أنفسنا وعن أحوالنا . ويثير هذا فى نفسى سؤالا يصعب أن أكتمه :لماذا لا ينشغل الغربيون بصورتهم عندنا ، ولا يهتمون قليلا ولا كثيرا بتصوراتنا عنهم ونظرتنا إليهم؟ أليس فى هذا «الوسواس» داخلنا ما يعد عرضا من أعراض مرض عضال ، لا أدرى له اسما فى«علم النفس الاجتماعى» ؟ إننا مثل الحبيب «المهجور» المشغول أبدا بما يفكر فيه الحبيب الذى هجره ، وهى صورة تمثيلية تشخص إشكالية علاقتنا التاريخية بالغرب فى القرنين الأخيرين : إنه المعلم المتقدم الذى يتحتم أن نتعلم منه من جهة ،وهو كذلك العدو المعتدى الغاشم الذى يتحتم أن نحاربه ، وإن بنفس سلاحه ،من جهة أخرى.

لقد وصلت نظرية «المؤامرة»» إلى حد أن صارت « المفسرة» ،التى تحمى الذات من تحمل أية مسئولية بإلقاء التبعة كلها على الآخر ، فتم تصوير الغرب باحثا عن عدو استراتيجى بديل عن الشيوعية ،فوجد عدوه هذا فى«الإسلام» .والحقيقة أن نظرة الغرب للإسلام ليست نظرة استاتيكية جامدة كما يتوهم البعض، فهناك من جهة أولى الاختلاف بين النظرة «الأوربية» فى مجملها وبين النظرة «الأمريكية» للإسلام . بدأ الاهتمام الأمريكى السياسى الإعلامى بالإسلام مع نجاح الثورة الإسلامية فى إيران، وما قارنه من احتلال السفارة الأمريكية فى طهران واحتجاز عدد من الرهائن ،وفشل المحاولات العسكرية الأمريكية لتخليص الرهائن وتحرير السفارة .لذلك من السهل أن

يلاحظ الباحث أن الهاجس السياسى هو العامل المسيطر فى الرؤية الأمريكية للإسلام ،وهو الهاجس الذى أثمر نظرية «صدام الحضارات» ،وهى نظرية انزعجت منها الدوائر الأوربية بنفس القدر الذى أزعج المسلمين مع اختلاف أسباب الانزعاج ، هذا الهاجس السياسى يجعل السياسة الأمريكية لا تهتم كثيرا بطبيعة الأنظمة التى تتعامل معها وتساندها ،مهما كانت راديكاليتها الإسلامية،ما دامت لا تهدد مصالحها . ولا بأس فى هذه السياسة من التعاون مع«عمر عبد الرحمن » أو «أسامة بن لادن» أو غيرهما من القيادات فى لحظة معينة، ثم طلب «الرقاب» -حيا أو ميتا-فى لحظة أخرى ،وفى جميع اللحظات يبقى خط الاتصال مفتوحا مع بعض القيادات والتنظيمات تحسبا لاحتمالات مفاجئة ،مهما كانت مستبعدة. هذا من جهة ،ومن جهة أخرى يقوم خط الاتصال المفتوح هذا- بين دوائر صنع القرار فى أمريكا وبين القيادات الإسلامية الراديكالية ،بل والإرهابية -بدور «الفزاعة» لتهديد للأنظمة السياسية فى العالمين العربى والإسلامى لضمان استمرار سيرها على النظام الأمريكى المستقيم .إنه نفس الدور الذى يقوم به «فى إبقاء الوضع الحالى فى الخليج »، ولو كان الثمن هو القضاء على العراق بأكمله شعبا وتاريخا وتراثا وحضارة.

أما نظرة «أوروبا » للإسلام فهى ، وإن بدأت سياسية استعمارية منذ الحروب الصليبية ، قد بدأت تتخذ الآن مسارات متعددة إعلاميا وسياسيا وأكاديميا .من الناحية الإعلامية من الضرورى ألا ننسى أن الإعلام ، مرئيا كان أم مسموعا أم مقروءا ، أكثر اهتماما بالرجل الذى «يعقر» الكلب منه بالكلب الذى يعقر الرجل . لهذا يجب أن نتفهم أن«قنبلة » تنفجر أو «سائحا» يقتل ، أو «قبطيا» يهاجم ، أو طفلة تختن ، أو حكما قضائيا يصدر ضد كاتب أو فنان ،أمر يثير شهية الإعلام فى كل مكان للتحليل والتعليق واستدعاء الخبراء للإدلاء بارائهم إلخ. هناك بالقطع مبالغات وتضخيم فى عرض الحدث أو الواقعة ، لكن أصل الحدث أو الواقعة من صنعنا نحن، ومن نتاج واقع لا نتأمله تأملاً نقديا كافيا .الصورة الإعلامية ، المبالغ فى إضافة الرتوش اللونية لها، ليست فى نهاية المطاف اختلاقا من عدم .هل يمكن أن يتحمل المسئولية كاملة ناقل الخبر ، مهما بالغ فى تصويره وإبراز جوانبه السلبية وتضخيمها ، دون الفاعل الأصلى والمجرم الحقيقى ؟هل صنع الإعلام الغربى كل هذا الجنون والحماقات التى تمارسها

«طالبان» ضد المرأة والفنون باسم«الإسلام»؟.

هذا عن الإعلام الغربى ،فإذا انتقلنا للسياسة ،فعلينا أن ندرك أن النظرة السياسية الأوربية للإسلام تختلف من بلد إلى بلد ،خاصة فى سياق تزايد أعداد المهاجرين المسلمين ، لأسباب متباينة ، فى بلدان أوروبا .هناك «مخاوف» ، بعضها مشروع وبعضها مبالغ فيه (فرنسا وألمانيا على سبيل المثال)، كما هناك محاولات للفهم الهادئ والتعامل مع الحقائق (هولندا وإنجلترا أخيراً) .أما النظرة الأكاديمية فى المؤسسات والجامعات الأوربية فهى فى مجملها تقدم خدمة للإسلام وتاريخه وتراثه تستحق لا التقدير والاحترام فقط ، بل تستدعى التعاون بإرسال المبعوثين وتبادل الأساتذة. هل أقول إن مؤسساتنا العلمية تحتاج فى مجال الدراسات الإسلامية إلى أن تعود إلى تقاليدها فى بداية القرن، الذى شهد تفاعلا أنتج لنا علماء من طراز «مصطفى عبد الرازق» و«أمين الخولى»و«شلتوت» و«دراز» و«عبد الحليم محمود» .وهو القرن الذى شهد ترجمات لأهم أعمال المستشرقين فى مجال الدراسات الإسلامية ،فضلا عن مشروع ترجمة «الموسوعة الإسلامية» .عما قريب ستصدر «الموسوعة القرآنية» أيضا، وفى مجلس تحريرها ثلاثة من المتخصصين العرب ، منهم كاتب هذه السطور ، فهل تترجم أم تهمل كما أهملت الطبعة الحديثة من« الموسوعة الإسلامية» التى وصلت إلى حرف T فى مجلدها العاشر؟.

ليس معنى ما أقول إن«التعصب» الذى حلله تحليلا علميا رصينا «إدوارد سعيد» فى كتبه العديدة ، قد صار من تراث الماضى .فما يزال التعصب يحتل مساحات فى المؤسسات الأكاديمية والإعلامية وفى دوائر صنع القرار . لكن علينا أن نقرر بشجاعة أن«التعصب » سمة مشتركة بيننا وبينهم .على المستوى الفكرى دافع رجال الدين عندنا– الإسلامى والمسيحى معاً– عن الاضطهاد الذى تعرض له المفكر الفرنسى «روجيه جارودى» حيث حاكمته المحاكم الفرنسية بسبب كتاب أصدره. إزاء هذه المحاكمة نهض رجال الدين عندنا دفاعا عن حرية الفكر والتعبير ، والمفارقة أنهم فى أحسن أحوالهم صامتون صمت الموت إذا كان مثل ذلك يحدث عندنا. نفس المفارقة لمستها هنا فى الدوائر الأكاديمية الغربية، صمت غير حكيم إزاء محاكمة «جارودى» وصخب غير عادى إزاء «مصادرة» كتاب أو أغنية أو محاكمة كاتب فى العالم لإسلامى

وحين اقترحت على الزملاء فى جامعة ليدن» أن نقوم بتنظيم «ندوة حوار» ندعو إليها كلاً من «جارودى» و«إدوارد سعيد» وأحد حاخامات اليهود الهولنديين لم يجد اقتراحى آذانا صاغية .همس بعض الزملاء أن ذلك قد يحدث رد فعل شعبياً جماهيرياً لا تحتمل عواقبه ضد الجامعة . لم أتردد أن زقول :عليكم إذن أن تتواضعوا فى الادعاء بأن « الحرية» الأكاديمية فى الغرب أحسن حالا منها فى العالم الإسلامى.

ومن واجبى أيضا أن أنبه من خلال منبركم هذا إلى أن نقد الغرب لا يجب أبدا أن يكون تكئة لتبرئة الذات وتمجيدها تمجيداً زائفا ،كما هى الحال فى خطابنا الإعلامى واسمحوا لى أن أختم مشاركتى -التى طالت أكثر مما أريد- ببيان ما أتصوره أهمية أن تتصدى الأديان جميعا لمواجهة خطر الدين الجديد المسمى «عولمة».

إن وصف قوانين السوق فى إطار «العولمة» بأنها قوانين يفرضها إله جديد اسمه «السوق» ليس مجرد تعبير مجازى من صياغتى الشخصية، بقدر ما هو« وصف» كاشف للمستور والمسكوت عنه فى خطاب «العولمة» السياسى والثقاقى .فى الخطاب السياسى بشرنا البعض- أعنى «فوكاياما» -بنهاية التاريخ وانتهاء التاريخ وانتهاء عصر الأيديولوجيات ومفهوم «نهاية التاريخ» مفهوم دينى بامتياز ، بمعنى أن كل الأديان فى مرحلة انبثاقها على الأقل تنطلق من الزعم بأنها البشارة الأخيرة بخلاص البشر من عذابهم ومعاناتهم. هكذا يبشرنا «فوكوياما» بأن التاريخ قد وصل إلى رحلته الأخيرة واستقر ، ولم يعد أمام البشر- كل البشر- من سبيل إلا الراحة فى جنة «الرأسمالية» والتمتع بنعيم« الديمقراطية» على النمط «الأمريكى» . لكن بشارة «فوكوياما» ظلت فى إطار «الأيديولوجيا» ولم ترق أبدا إلى مستوى «اليوتوبيا» الدينية وما يرتبط بها من مفاهيم مثل اقتراب يوم«الدينونة والحساب» ،الذى فيه يتحقق العدل المطلق تعويضا لمن أصابهم الضيم والظلم فى هذه الحياة .ليس فى دين «العولمة» تعويض قادم فى عالم آخر، ليس فيه أى عزاء ولو محتمل للضعفاء والمنكسرين ولأن «الأيديولوجيا» لا تكف عن إعادة إنتاج نفسها فقد تطورت «بشارة» فوكوياما ، التى تبدو على السطح متفائلة، إلى«نبوءة» سوداوية متشائمة عند« هانتجتون» فى مفهوم «صراع الحضارات» . لكن أية حضارات تلك التى تتنبأ «هانتجتون» أن الصراع بينها

سيكون سمة القرن الحادى والعشرين؟ إنها كل الحضارات القديمة التى حلت محلها حضارة« الغرب» الحديثة، إنها حضارات «آسيا» -الصين واليابان على وجه الخصوص- و«أفريقيا» و«الإسلام» تحديدا .لم يقل «هانتجتون» شيئا عن «الأصولية المسيحية» فى أمريكا نفسها ،ولم يذكر كلمة واحدة عن«الأصولية اليهودية» فى«إسرائيل» ،وكلتا الأصوليتين تستعيدان بهاءهما ومجدهما فى عداء واضح لقيم «الحداثة» وعلمانيتها .لم يذكر «هانتجتون» شيئا من تفاصيل المشهد ،لأنه كان مشغولا بأمر واحد محدد :خلق عدو «جديد» ،يحل محل« الشيطان الأحمر» ، وليكن «العدو الجديد» شيطانا «أصفر» أو «أخضر» أو شيطانا بلا لون ،فالمهم أن يقوم «الشيطان» بدور «القناع» الدينى لإبراز وجه «المخلص» الأمريكى خصوصا و«الغربى» على وجه العموم.

هكذا تطرح« العولمة » نفسها سياسيا وثقافيا وحضاريا بوصفها «الدين» الأخير، الدين الذى يمثل فيه« السوق» وشريعته الإله الجديد المسلح بأداة «القوة» التى لا تقهر أبدا ،ويستحيل على البشر مقاومتها أو التفكير -مجرد التفكير -فى التصدى لجبروتها .إنها قوة قادرة على كل شئ فسلاحها المال والعلم والسلاح ،إنها القوة التى تنتهك بسهولة فائقة كل الخصوصيات .أدوات هذا الدين للسيطرة هى« حرية التجارة وتدفق المعلومات »، ومواعظه هى:«الديمقراطية» و«حقوق الإنسان» على المقاس الغربى الأمريكى بصفة خاصة . أليس من الطبيعى ،وقد صارت «العولمة » دينا ،أن يسعى البشر لمقاومة هذا «الدين» الجديد ،والتصدى للاهوته المضمر ،باستدعاء «الدين» فى كل الثقافات بلا استثناء ،حتى داخل المجتمعات التى صنعت «الحداثة» ؟ أليست الأديان التى جربتها البشرية خيرا ألف مرة من هذا الدين الجديد ، دين العولمة ؟ إن آلهة الأديان التى عرفتها البشرية على امتداد تاريخها الطويل ليست فى قسوة وفظاظة إله «العولمة» -السوق -لأنها على الأقل تجمع بين صفات القوة والقسوة و«الجلال» من جهة ، وبين صفات «الجمال» والرحمة من جهة أخرى .على العكس من ذلك ليس فى صفات إله العولمة جمال أو رحمة ،إنه إله قد من قوانين صارمة صنعها الأقوياء ،إنه تجسيد سياسى واجتماعى واقتصادى وثقافى لأسطورة مصاص الدماء «دراكيولا» مع

فارق أساسى أن مصاص الدماء فى الأسطورة لا ينشط إلا ليلا ليتصيد ضحاياه ، بينما إله العولمة نشط أبدا على مدى الأربع وعشرين ساعة «الكونية»،حيث لا تمييز بين ليل أو نهار أو بين نوم أو يقظة .فارق آخر لابد من الإشارة إليه بين إله الأسطورة -مصاص الدماء- وبين مصاص الدماء العينى «إله السوق» .كان مجرد تركيز حزمة من الضوء أو رفع علامة« الصليب» كافيا لدفع مصاص الدماء فى الأسطورة للهرب. ولم يكن قتله يحتاج لأكثر من دق وتد خشبى فى صدره .مصاص «العولمة» ،على الجانب الآخر ، لا تخيفه كل أضواء العالم ولا تصيبه كل الصلبان بدوار ولو خفيف.لقد استوعب مصاص الدماء الجديد تجربة سلفه فى الأسطورة ، فصار هو صانع الأنوار ومنتج الصلبان فكيف يخاف منها؟ أكثر من ذلك أنه- إله العولمة- مثل سلفه قادر على إعادة إنتاج نفسه فى أشكال وصيغ وملامح لاتخلو من جاذبية .إنه «شيطان»لا تؤثر فيه التراتيل ولا عبارات الاستعاذة ولا الآيات القرآنية .وهكذا تصبح دعوات «العودة إلى الدين» فى كل الثقافات -مسيحية ويهودية وإسلامية وبوذية وكونفوشيوسية .. إلخ- أشبه بمحاولات استخدام« الصليب» أو تلاوة «التعاويذ» لمقاومة شر الشيطان الجديد، إله العولمة .إنها أسلحة قديمة تحصن الإله الجديد ضدها مستوعبا إياها فى بنية لاهوته .ليس معنى ذلك أنه لا سبيل لمناجزة الشيطان بأسلحة دينية ، بل إن سبيل المنازلة الممكن لا يكفى فيه استخدام الأسلحة الدينية التقليدية ، بل لابد من شحذ أسلحة دينية لم يتحصن ضدها إله «العولمة» بعد.

لا ينبغى أن ننخدع بالتطابق الذى سربّه «هانتجتون» فى خطابه بين«الأديان» و«الحضارات» ،فجعل من كل« دين » حضارة مستقلة متميزة ، بهدف إبراز حضارة الغرب، لا بوصفها بناء تركيبيا للحضارات الإنسانية ،ومجرد محطة من محطاتها أراد «هانتجتون» أن يجعل من حضارة الغرب «نهاية التاريخ» ، وأراد أن يجعل من «الثقافات» و«الأديان» -التى أصر على اعتبارها حضارات -خطرا على الإنسانية .وحين استبعد من تحليله الأصوليتين المسيحية واليهودية من دائرة «الأديان» الخطرة كشف عن« الأيديولوجيا » الدينية المقنعة بقناع سياسى .لا يختلف خطاب «هانتجتون» هنا عن خطاب المتعصبين المسلمين إلا فى بنيته السطحية فقط.

ماذا عن خطاب الكنيسة المسيحية الغربية ممثلة فى« الفاتيكان» ؟ وإلى أى مدى

يعتبر خطاب الفاتيكان الديني صدى لخطاب «العولمة» السياسي الثقافي» من اللافت للنظر والجدير بالإشارة أن الفاتيكان رغم اعترافه منذ الستينيات فى وثائقه البابوية الرسمية بالإسلام دينا إلهيا ،فإن الاعتراف بنبوة«محمد» أمر غائب تماما . لا يكاد اسم «محمد» عليه السلام يذكر فى الوثائق الرسمية للفاتيكان ولا فى الخطب البابوية الكثيرة . تعترف «المسيحية» باليهودية وتعترف بالقطع بنبوة «موسى» عليه السلام ،وهذا أمر تفرضه حقائق التاريخ الدينى ،ومن الطبيعى كذلك وقد اندمجت التوراة والأناجيل فى بنية «الكتاب المقدس» أن تصبح اليهودية جزءا من التراث المسيحى ،وهو اندماج من طرف واحد، أى أن اليهودية لا تقر بالمسيحية دينا ولا تعترف بنبوة عيسى عليه السلام .«الإسلام» هو الدين الجامع، أى الدين الذى لا يستبعد أيا من اليهودية أو المسيحية ، ويقر بنبوة «موسى» و«عيسى» عليهما السلام ويعتبر الاعتراف بهما وتوقيرهما واجبا دينيا على كل فرد مسلم. لنعترف إذن أن الدافع ليس تسامح المسلمين بقدر ما هو حقيقة أن الإسلام هو الدين التالى زمانيا ،وهو «خاتم» الأديان.

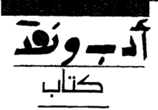
ورغم كل الصياغات النبيلة لحوار الأديان ،وحوار الحضارات ،فعلينا من منظور لاهوتى / سياسى ألا نتوقع من «الفاتيكان» أن يتعامل مع«الإسلام» كما يتعامل مع«اليهودية» ، ولا يجب أن تصيبنا حالة من«الفزع» حين يعتذر الفاتيكان لليهود عن الاضطهاد الذى أصابهم ولا يعتذر للمسلمين عن جرائم«الحروب الصليبية». إن الاعتراف الكامل بالإسلام دينا وبمحمد عليه السلام نبيا يهدم البناء اللاهوتى للكنيسة من أساسه، هذا هو السبب «الكامن» وراء ما يبدو انحيازا غير مفهوم ضد الإسلام والمسلمين . لكن علينا ألا نفصل «اللاهوت» عن السياسة والاقتصاد، أى عن التاريخ والمصالح .من منطلق هذا التاريخ وعلى أرض المصالح أمكن للفاتيكان أن يميز بين يهود اليوم ويهود «الناصرة» زمن المسيح عليه السلام ، فبرأ يهود« اليوم» من دم المسيح عليه السلام وأصدر وثيقته بذلك. لكنه ومن على أرض المصالح ، التى تجمع تاريخ الكنيسة والفاتيكان بتاريخ الاستعمار منذ القرن الثامن عشر، لم يفصل بين يهود «اليوم» ويهود التاريخ، فأصبح الحق التاريخى لليهود فى فلسطين عامة وفى «القدس» خاصة قضية مسلما بها .هل نطالب «الفاتيكان» بالاتساق مع نفسه ،فإما أن



يلغى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وإما أن يعلن أن يهود اليوم- الذين لم يقتلوا المسيح- لاحق تاريخياً لهم ولاحق سياسياً ولا دينياً لا فى فلسطين ولا فى القدس؟.

هل يمكن الآن أن نفهم أن للانحياز ضد المسلمين والعرب أسبابا أعمق من مجرد «الخوف من الإسلام» ؟ وهل آن الأوان أن ندرك أن« الفزع من الإسلام» حالة منشؤها العالم الإسلامى فى ارتباكه التاريخى ، لكنها حالة أعطت مبررا ليصوغ الغرب السياسى والإعلامى من خلال النفخ فيها بالتهويل والمبالغة أيديولوجية لتمرير دين «العولمة» بمباركة الكنيسة والفاتيكان .فى هذا الدين الجديد تحتل المسيحية الصهيونية موقعا ممتازاً وفى القلب من هذا الموقع تصبح الدولة الصهيونية -دولة الاستعمار الاستيطانى- طفل العالم المدلل .هل يصلح إسلام الأحكام العسكرية- إسلام قانون العقوبات و«الحدود» ومطاردة العقل واضطهاد المرأة والخوف من التساؤل-لمواجهة تلك الأخطار ؟ سؤال لابد من طرحه فى نهاية مداخلتى .أرجو لكم التوفيق والنجاح من أعماق قلبى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرسل د. نصر حامد أبو زيد هذه الكلمة إلى مؤتمر القاهرة «معا ضد العنصرية» الذى نظمه مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان فى الفترة من ١٩-٢٢ يوليو ٢٠٠١ وننشرها هنا بالاتفاق مع مركز القاهرة.





النبوة بين تسلطية الاشاعرة وليبرالية المعتزلة

أيمن عبد الرسول



فى دراسة لكاتب هذه السطور ، أشاد بكتاب (على مبروك) ووصف الكتاب بأنه من أهم الكتابات التى نجحت فى تطبيق البنيوية على تراث الاشاعرة والمعتزلة فيما يخص مسألة النبوة (١).

ولأن الدراسة المذكورة كانت بمثابة تمهيد ، لإشكالية المنهج فى التعامل مع التراث ،فها نحن نقف أمام نموذج تطبيقى ، يختص بدراسة مشروع فكرى طموح ، لباحث ومفكرمصرى، يدرس الفلسفة الإسلامية بآداب القاهرة، أصدر كتابين وعدة أبحاث

ودراسات نشرت فى مجلات علمية محكمة، ودوريات مهتمة بحياتنا الفكرية ، أما الكتاب الذى نحن بصدد الجدل معه، فعنوانه (النبوة ،من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ ،محاولة فى إعادة بناء العقائد) (٢) ،وهو يمثل بنية منهجية معقدة ، متشابكة ، تعقد الواقع ،وتشابك التاريخ ،والمثير للدهشة ، أن الكتاب المذكور مر مرور الكرام ،فلا أحد توقف عنده ، ولا أشار إليه ، رغم أنه –فيما نزعم – يمثل نقلة نوعية ،وكيفية ، فى الكتابات الفلسفية التى تصدت للتعامل مع التراث ، متحصنة بوعى علمى راق ،ولغة عربية تستوعب منجزات ما بعد الحداثة،وفى السطور القادمة ، لنا وقفة مع الكتاب ،لأنه يثير العديد من الإشكاليات ،ويحاول موضعة النبوة بوصفها فعلاً اتصاليا ،حوارياً، بين الإلهى والإنسانى ، فيتناولها كجدل صاعدا أولاً من الإنسان إلى الإله فى نبوات النسق الأسطورى ، ثم كجدل هابط من الله للإنسان فى نبوات النسق الدينى ، ثم كيف حولها علم العقائد إلى مجرد، نفى فيه الإنسان لصالح الإلهى ،والواقعى التاريخى ،لصالح الميتافيزيقى التجريدى ، رحلة طويلة يقطعها الكتاب بين الجدل الصاعد والهابط ، والنفى الجدلى للصعود والهبوط، لعلنا لا نظلمه بعرضنا له.



تمهيد وخمسة فصول، يتناول من خلالها مفكرنا، الذى يمكن أن نصفه بالباحث /المفكر كل ما يتعلق بتاريخية وبنيوية (النبوة) فى التاريخ، اللغة ، النسق الإنسانى الأسطورى، النسق الدينى الوحيى ،حاشداً كماً كبيراً من المراجع باللغتين العربية والإنجليزية ، يأخذنا فى جولة موغلة فى الجدة، والجدة ، تصنع فيها الهوامش ، متناً إضافيا ، لا غنى عنه لقارئ الكتاب إنها النبوة حين تنفلت من العقائد ، لتنحصر فى التاريخ والواقع الأرضى ، بتجلياتها المصرية، الاغريقية، الهندية، والصينية ،العبرية ، العربية قبل الإسلام ، ثم النبوات الوحيية ، فى الديانات التوحيدية الثلاث الكبرى.

فى التمهيد يشير الباحث إلى أهم ما زودنا به القرنان الفائتان من مفهومات منهجية وإجرائية ، تتمثل فى اللغة والتاريخ، وقد بدت هذه التوطئة فى اللغويات الفلسفية ذات أثر بالغ فى إسلاس قياد الباحث منذ البدء وأعنى أنها وجهته– منذ الوهلة الأولى– إلى رصد (الجوهرى والضرورى) القار خلف كل (مباشر) ،ومن هنا لم

يقنع الباحث- مثلا بـ بالقول أن معنى لفظ(النبوة) هو (النبى) من نبأ أو نبا ، أو بالقول بأن معنى لفظة (الرسول) هو(المرسل) من رسل ، ذلك المعنى المعجمى الفقير الذى يتبدى أمام الذهن مباشرة ، بل آثر تركيز الانتباه على« المعنى المحايث ، أو الباطن فى البناء اللغوى»(٣).

ويحتل مفهوم (النسق)عند الباحث مكانة محورية ، حيث تحيل اللغة إلى نسق وجودى شامل: يستدعى التحصن بالتاريخية ،وهكذا يؤول مفهوم النسق – وهو الخطوة التى لا غنى عنها لالتماس العلم وبنائه ..إلى ضرب من ضروب الميتافزيقيا المعادية للعلم ويبدو أن ذلك التناقض لن يفكه غير الالتجاء إلى مفهوم (التاريخ) الذى يكشف الآليات والشروط الإنسانية التى تتحكم فى عملية تكون النسق . وإذن فإن (التاريخ) هو عامل الانتقال من صورية النسق إلى إظهار الفاعلية الإنسانية التى تحكمه.

وهكذا تصنع الدراسة اللغوية فى مواجهة (نسق شامل) يطرح التاريخ (تحليلا تكوينيا) له، فينتقل به من (تجريد) الميتافزيقيا إلى(إنسانية) العلم، ومن هنا، فقط ، وجب الانتقال من بحث ما تعنيه النبوة إلى بحث تاريخها ، أو الانتقال –فى هذا الباب –من الفصل الأول–حيث معنى النبوة –إلى (الفصل الثانى)–حيث تاريخها(٤).

فى الكلمة وحدها.. فى اللغة وحدها تصبح الأشياء وتكون(هيدجر) .

تتصدر هذه المقولة ،الفصل الأول من كتاب (النبوة) حيث يتناول فيه الكاتب الدراسة اللغوية للنبوة ، وأختلاف المصادر اللغوية والكلامية حول مصدر لفظة (النبى) بين احتمالين، الأول من (نبأ) ، النبؤة ،النذير ،البشارة، أو من (نبا) أى علا وارتفع عن الأرض ،وكيف أثرت هذه الاختلافات اللغويةفى تشكيل النبوة كفكرة فى سياق أيديولوجى يختلف عن الآخر ، فيرى الاشاعرة أنها من (النبؤة) و(النبأ) ، ويرى المعتزلة أنها من (الرفعة) ،وهى مأخوذة من النبوة أو النباوة!!.

ولعل ثمة تساؤلاً ماكراً ألقيه الآن على المؤلف ،واختيار عنوان كتابه حيث النبوة فيه مشقة من النبواه المعتزلية ،وهل لذلك علاقة بالانتصار المبدئى للفكرة الاعتزالية عن النبوة، أم أن الأمر مجرد (عنونه) لا علاقة لها بهذا الانحياز المذهبى الذى يرى فيه الكاتب أن المعتزلة انحازوا للإنسانى والعقلانى ، مع العلم بأن كاتب هذه السطور يميل

إلى الاعتزال فى بنية النسق الإسلامى ، إلا أن ذلك لا علاقة له بأبحاثه، ولا ينحاز لمذهبه -أى الاعتزال -حين يدرس أمرا يفترض فيه الموضوعية!.

تلك مشاكسة جانبية لباحث محترم بحجم على مبروك.

- إن الاشتقاق اللغوى للنبوة بالفعل ، أثر تأثيرا كبيرا فى رؤية المعتزلة لإشكالية النبوة والرسالة ،حيث ترى المذاهب الاعتزالية أن النبوة جزاء على عمل ، وبالتالى يتدخل عنصر الاجتهاد البشرى فى تحصيل (النباواه) بينما فى النسق الأشعرى نجد أنها اصطفاء إلهى ،واختيار علوى لاناقة لبشر فيه ولا جمل!

ويأخذنا الباحث إلى المجال الدلالى للفظة(التى) والتطور الذى لحق بها ، منهمكاً فى تجلية البشرى /النسبى ،والمطلق /الغيبى فى المسألة ، إلى حيث تنخر المصادر الأشعرية بالتمييز بين النبى والرسول ، استناداً إلى النص الدينى الذى جاء فيه «ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى» الحج (٥) فيتناول -الباحث- بالتشريح الدقيق بناء لفظة النبوة، والنبى والرسول فى النسق الأشعرى والاعتزالى ، ثم متورطاً فى اللغة، يستعرض بناء لفظة النبى كلفظة أجنبية، من خلال اكتشافها فى اللغات العبرية ، الاغريقية ، اللاتينية ، والانجليزية ،ممهداً ، على نحو ما ذكرنا للفصل الثانى والحيوى ،والأهم ،والذى يعد أهم ابتكارات الكتاب- على كثرة مبتكراته- وهو(تاريخ النبوة).

٣

يصح القول عن النبوة إنها ظاهرة كلية عامة، غير مخصوصة بشعب دون آخر، أو بعصر دون عصر، فهى ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره ،منذ أقدم العصور، ولذلك لا يوجد شعب لم يعرف ، بشكل أو بآخر ،وحى الآلهة.فقد ظهر أناس ملهمون فى كل زمان ومكان تقريباً ، يؤمنون بأنهم وهبوا قوى روحية لم تتوافر لغيرهم(٥).

ومن خلال هذا الفصل يتكشف لنا البناء التاريخى للنبوة ،كما تشكلت عبر متعرجات الوعى البشرى ،ومنعطف مخيلته فى التاريخ والحضارة، من مصر القديمة ،حيث كان الكهنة هم الذين يقومون بالدور المهم فى توجيه الأقوال التى كان يدلى بها الآلهة. فالدور النبوى، منوط بالكاهن ، وإن كان دوراً تفسيريا أكثر منه نقلا حرفيا لما ينطق به الإله ،حيث لم تكن طبيعة الإله نفسها تسمح بغير ذلك، وقد ظل هذا النمط من

استشارة الآلهة عن طريق الوحى قائما فى مصر لمدة ألفى عام،ودون انقطاع ، وبأسلوب لم يتغير أبداً طوال هذه الفترة الطويلة .. ويبدو أن الإسلام نفسه أو وحده هو الذى وضع نهاية له.

أما نبوات الشرق القديم فقد أسهمت هى ونبوات الشرق الأقصى فى تأكيد مقولة عمومية النبوة، وإن كان دورها سلبياً ، أو (لا فاعل) فى الشرق الأقصى ، اعتمادا على باطنية الديانة (البراهيمية) حيث العودة بالإنسان إلى الروح الأولى ،وعلى هذا الأساس المعرفى للديانتين -الهندية والصينية -لم تكن ثمة حاجة إلى وسيط بشرى أو غيره ، فتطور الديانتين كشف عن غياب مفهومى الوحى والنبوة ، إتساقاً مع طبيعة تصورها للدين والألوهية.

بيد أن النبوة عند الإغريق اتخذت معانى مغايرة ، فالنبى بوصفه مفسراً لإرادة الإله ، يظهر لأول مرة ،عند هومر ، متمثلا فى صورة بدائية بسيطة ، عندما دعاهم أخيل- دعا الاغريق جميعا -لسؤال كاهن مقدس ، أو نبى، أو حتى حالم أحلام ،لأن الحلم يأتى من زيوس ، عن سر غضب الإله أبوللو، الذى تبدى فى انتشار وباء الطاعون(٦) وهكذا ترتبط النبوة بالعرافة والكهانة والتنبوء بالطالع فى النبوة الاغريقية ،حتى صنع الإغريق آلهة خاصة بالتنبوء (٧).

أما فيما يخص نصيب العرب من النبوة ، قبل الإسلام ،فيحاول مفكرنا حفروا ستكشاف نسق كامن وراء خلو الفكر العربى قبل الإسلام من أية ملامح تنظيرية داله، فيتناول بالتحليل البنيوى كل المظاهر التى يمكن أن تؤدى إلى النبوة، عند العرب ، من أنماط تحيل إليها مثل الكهانة ،والعرافة ، إلى (الزجر) وهى حالة من حالات محاولة التنبؤ (بزجر) الطيور ،إن تيمنت ،تفاءل الزاجر خيرا ، وإن تشاءمت ، (أى تياسرت) تشاؤم الزاجر مما هو مقدم عليه ،وهنا نصل إلى نبوات العرب قبل الإسلام تنتمى إلى ما أسماه الباحث(نبوات النسق الميثولوجى) الذى تتأسس فيه النبوة على(مبادرة إنسانية خالصة)، يكون(الرد الإلهى) جوابا مباشراً -أما (نبوات النسق) الدينى، فلا تعد كذلك، على العكس تعد مبادرة إلهية ، لا دخل للإنسان فيها ، فنبوات النسق الأسطورى تبدأ من الإنسان ، ويحشد الباحث عدداً كبيراً من الاستشهادات لتأصيل

مقولاته بهذا الصدد ، ليفرق بين نمطين من النبوة داخل النسق الأسطورى ،نمطى طبيعى متعلق بمرحلة الإحيائية والتعامل مع الطبيعة بشكل مؤنسن، ونمط ذاتى يتأسس على التجربة الفردية المستقلة ، بعد تجاوز الموقف الاحيائى (٨) ثم ينتقل بنا إلى نبوات النسق الدينى فى الأديان الوحيية.

٤

ولعل نبوات النسق الدينى ، هى الأكثر إثارة للجدل ،حيث تم تحويلها -فى التاريخ -إلى إنساق مجردة من بشريتها لصالح الإلهى ، ولكن عند حفر الباحث فى بنية الفكرة ، تم الكشف عن حزمة من الأفكار يمكن اعتبارها، على الإطلاق ،خصائص عامة للفعل النبوى ، نعرض لأهمها:

أولا: انبثقت النبوة من جدل (الخوف) و(الشجاعة) إذ لاح أنه لولا تكفل (الشجاعة) -شجاعة النبى- بقهر (خوف الجماعة) لما كانت النبوة قد خرجت إلى حيز الوجود ، ولهذا فإن(الخوف) ضياع للنبوة وإهدار- وهو كذلك بالنسبة للموجود ذاته-،فى حين أن(الشجاعة) تأكيد لها وإظهار -وهو فعلها للوجود أيضا- ولاشك أن ذلك يكشف عن الطابع الأخلاقى للنبوة، كما أنه يكشف -من حيث أن المسألة الأخلاقية المتعلقة بطبيعة الشجاعة تقود بطريقة لا مهرب منها إلى المسألة الانطولوجية للوجود الإنسانى ،فالقول بأن(النبوة) تنبثق عن(الشجاعة) يعنى باستدلال بسيط-إنه انبثاق عن محاولة لتأكيد الذات(لنفسها) ، وذلك بالرغم من وجود ذلك الذى يميل إلى الحيلولة بين الذات وبين تأكيد نفسها ، وهكذا يكشف الارتباط بين النبوة والشجاعة عن الطبيعة الأنطولوجية للنبوة، بوصفها محاولة لتأكيد الوجود لذاته ،فى مواجهة كل ما يحول دون ذلك.

ثانيا: أن النبوة ،وهى تنبثق من(شجاعة فرد) تنهض فى مواجهة (خشية شعب) ،تأكيداً على أن الأنبياء يمثلون وعيا فرديا متقدما متميزاً عن الوعى الجماعى لأممهم ، وإن كان (وعيهم) جزءا من هذا الوعى الجماعى فى ذات الوقت ، وهكذا تعكس (شجاعة النبى) تقدماً فى (وعيه) .فبدا وكأن النبوة لا تجد (مطمحها) فى الوعى الخامل أو الوجود البليد.

ثالثا: ليست النبوة فى جوهرها تنبوءاً ، بل (توسطاً) يؤسس (حواراً) بين الله

والإنسان ،والحق أن اللفظ العبرى(Nobi) ، لا ينطوى على دلالة أكثر من ذلك ، ولأن النبوة (توسط) يؤسس (حواراً) فإن كل محاولة لجعلها (صوتاً منفرداً) تعد عدوانا على جوهرها الأصيل.

رابعا: إذا كانت النبوة توسطاً ،يؤسس حواراً ، بين الله والإنسان ، يتصف طرفاه بالندية ،فإنه يحق للإنسان -من حيث هو طرف فى الحوار -أن يسهم بدور فى اختيار (الأداة) التى يتحقق عبرها الحوار، أعنى النبى. ولذا فإن اختيار النبى لمهمته ليس فقط عملاً إلهيا، بل هو عمل له أساسه فى الواقع الإنسانى(٩).

هذه الحزمة من الأفكار الحافة حول النبوة ، سوف تنجلى مرة أخرى عند عرض الباحث ،ومناقشته لأفكار الفرق الكلامية الإسلامية .

وتبدو النبوات الوحيية -المنزلة-كأنها بناء كلى شامل، يؤصل حواراً بين الله والنبى ، لصالح الإنسان ، مكوناً عدداً من النصوص المقدسة، التى نعترف بها حيناً وننكرها حيناً -إشارة إلى اتهام المصحف لكل من التوراة والانجيل بالتحريف -ثم إذا كان البناء الإنسانى العام للنبوة قد تكشف عن أصلها (العيانى)،فإنه يبدو وكأن بناها العقائدى الخاص لا يتكشف إلا عن مظهرها (المجرد) . فبينا النبوة -فى الأول -(حواراً) بين (الإلهى) و(الإنسانى) ،فإنها تبدو -فى الثانى-خطاباً (إلهياً) غاب شرطه الإنسانى فى الأغلب.

ويتفق ذلك بالطبع، مع الطبيعة الخاصة لأى علم عقائد ماثلة فى(اختزال) العيانى، ورؤية العالم بأسره من خلال المجرد، أى الله ، فقط ، وهكذا يبدو العلم فى جوهره ، تضحية (بالعيانى) فى سبيل (المجرد) ،ومن هنا، فإنه يتكشف فيما يتعلق بالنبوة -عن (المظهر المجرد) ، دون الأصل العيانى).

٥

أما الباب الثانى من الكتاب فيخصصه الباحث للحديث عن البناء العقائدى الخاص، بدءاً من نشأة البحث الاعتقادى فى النبوة بمنهج تحليلى ، يعنى برصد كيفية تحول(العيانى) إلى(المجرد) تاريخيا .وتصبح نقطة البدء فى هذا التحليل ، هى الوقائع ،وكيفية تحولها بسبب من التاريخ- لارغما عنه ، إلى أبنية نظرية مجردة.

وقد أظهر التحليل المبدئى ، أن التنظير فى العلم –علم العقائد –عموماً وليس النبوة فقط ، قد ابتدأ من (واقعة تاريخية) تتمثل فى الخلاف حول الحكم السياسى أو الإمامة . ثم عن هذا الخلاف تفرعت جميع مسائل العلم –حتى أكثرها تجريداً– وأستوت وبالرغم من أن هذا الاستواء والتجريد قد حدث بفضل التاريخ، لا رغما عنه ، إلا أنه قد تطور –فيما بعد –استنادا إلى آليات داخلية خاصة.

.وأما التحليل المعرفى ،فقد اختص به الفصلان الثانى والثالث من الباب الثانى . ويمضى هذا النوع من التحليل فى درب معاكس للأول –ذلك أن نقطة البدء، فيه ، هى (الأفكار) وكيفية ردها إلى (الوقائع) ، لا رداً (آليا) تكون فيه الأفكار مجرد مرآة عاكسة للوقائع ، بل رداً (جدلياً) تحتفظ فيه الأفكار بحياتها الباطنية وإمكانيات تطورها الخاص.

ويهدف هذا التحليل –فيما يرى الباحث– إلى رصد(الأفكار) لا فى تناثرها وتشتتها –الذى يتعارض لاشك مع وحدة الواقع الذى ترتد إليه –بل فى حالة من التآلف الباطنى والتلاحم الذى تكون معه كلية متجانسة من التصورات ، تتكشف –بضرب أخر من التحليل–عن بنية مجردة، أو مبدأ شارح بتنظيم الأفكار جميعا فى نسق واحد ، ويتولى تفسير كل العمليات الحادثة داخل النسق .وقد اختص الفصل الثانى برصد بنية النسق الأشعرى ، وتفسيرها بالوقائع ، بينما أختص الفصل الثالث ، برصد بنية النسق الاعتزالى(١٠).

وعبر فصلين كاملين يؤصل الباحث فكرة النبوة فى البناء العقائدى من خلال الحوار–الجدل بين المعرفى والأيديولوجى ، وقد يتبدى هذا الإجراء المنهجى ، عند قراءة الأنساق الكلامية ،عن أن كل الصياغات العقائدية (شيعية، أشعرية، معتزلية..إلخ) قد يتعذر فهمها ،على نحو حقيقى ، بمعزل عن إطار أيديولوجى معين .

ومن المثير أن تصوراً بلغ الغاية فى التجريد ، أعنى تصور (الله) ، يفلت أيضا من هذا المصير .إن تباين تصور(الله) –منزهاً عن الصفات أو موصوفاً بها إلى حد ما أو إلى حد التجسيم –لا يجد تفسيره إلا فى الانتماء إلى إطار إيديولوجى معين ،فإذا يرتبط التنزيه المعتزلى بايديولوجيا أدنى إلى أن تكون (ليبرالية) ، إن جازهذا التعبير

المعاصر ،فإن الوصف الاشعرى يرتبط بإيديولوجيا أدنى إلى أن تكون (تسلطية) ، وأما التجسيم عند بعض الشيعة الغلاه ،فإنه يرتبط -جوهريا -بايديولوجيا هيمنة الامام. وهكذا بدا وكأن الله ، حقا، مرأه العصر تعكس ما يعانيه الإنسان- أو حتى ما يريده على قول هيجل.

وبدوره فإن مفهوم (النبوة) قد تباينت صياغته فى جميع الأنساق الكلامية بدءاً من تباين الرؤى الأيديولوجية المهيمنة على هذه الأنساق لا شك .فإن تبدت الايديولوجيا الأشعرية أدنى إلى أن تكون تسلطية ، لا مكان فيها إلا لهيمنة المطلق(إلها فى المجرد) وحاكماً فى المتعين ،فإن النبوة باتت -تبعا لذلك -لا تفهم إلا على نحو مطلق ، أى بوصفها تتعلق بالإلهى فقط، ودون أدنى اعتبار للإنسانى .وعلى النقيض فإن اعتبار(الإنسانى) فى النبوة ، قد ارتبط عند المعتزلة بهيمنة أيديولوجيا أدنى إلى أن تكون (ليبرالية) ،وإذن فإن مجمل الصياغات العقائدية ، يستحيل فهمها حقاً -من حيث هى أبنية ابستمولوجية -إلا من خلال تضافرها البنيوى مع إطاراتها الأيديولوجية.

وعلى هذا فإن هذه الصياغات تعد- مهما تجردت- ذات طابع تاريخى وإنسانى معاً .ومن هنا فإن قابليتها للتجاوز ليست أبداً موضع إنكار، وهكذا فإن لكل(عصر) الحق فى أن تكون له قراءته ، بل وصياغته لمجمل التصورات العقائدية ، لم دامت مقاصده الأساسية ما تتحقق من خلال قراءات أو صياغات قديمة(١١).

وفى النهاية ، وبعد أن وضع الباحث يده على مفتاح من أهم مفاتيح قراءة التراث ،مفتاح التلاحم البنيوى بين المعرفى والعقائدى ، مستخدما آليات اللغة والتأريخ، وعدداً كبيراً من المراجع ، لا يعيبه عدم إثباتها فى نهاية الكتاب ،فإنه يقدم قراءة متجاوزة بحق، لكل من تسلطية الأشاعرة، وليبرالية المعتزلة، على ما فى مصطلحاته من مجانية ، إلا أنه يكشف لنا عبر صفحات كتابه كيف يختفى الإنسانى الواقعى التاريخى تحت أبنية نظرية مجردة، لا يمكن تجاوزها بعد تفكيكها .ولعلنا نتوقف مرة ثانية مع خطاب على مبروك ،ومنهجه ، للكشف عن إمكانيات الباحث المفكر، الذى يحاول بناء فضائه الخاص، وسط ركام من إعادة الانتاج والصياغة).



إشارات

(١) راجع دراستنا -تراث الوهم ،وهم التراث- أدب، ونقد ، عدد ١٨٨ -أبريل ٢٠٠١.

(٢) الكتاب صادر عن دار التنوير -ط أولى ١٩٩٣ ، بيروت لبنان.

(٣) على مبروك- النبوة ص١٣.

(٤) السابق ص٥٥.

(٦) بتصرف عن الكتاب السابق ٦٩.

(٧) السابق ص٧٢.

(٨) السابق ص٨٣.

(٩) السابق ص٩٠ -٩٢.

(١٠) السابق ص١١٣ -١١٤.

(١١) السابق ص٢٩٨-٢٩٩.



التربية للتعايش . مدخل

إعادة صياغة العلاقة مع الآخر الدينى

فاطمة فوزى

إن جريمة النشر التى ارتكبتها جريدة النبأ فى حق الأقباط ..لن تكون الأخيرة، ولا يكفى للتخفيف من حدتها القول بأنها تمس المصريين جميعاً .. بل يجب أن تكون المواجهة أعمق من ذلك، مواجهة بالبحث عن الجذور التاريخية من جهة، والبحث فى أسس التعايش النابعة من التاريخ والجغرافيا والمعتقدات الدينية ، ثم بلورة هذه الأسس فى قيم لتنشئة كل أبناء مصر عليها ..لتصبح جزءاً من مسلكهم اليومى الذى يسمح لهم بالتعايش معا ، للحفاظ على كيان كل فرد والحفاظ على كيان هذا الوطن.

وإذا قامت دراسة علمية بهذه المهمة الوطنية الجليلة فجدير بنا أن نلتفت إليها فى هذه الآونة.. وأن نعيد الالتفاف والتحلق حولها لقراءتها ونقدها والعمل بما فيها .وإذا

تكررت أزمات هذا الوطن بصور شتى حول ذات الموضوع، وكان لجهد أبنائه المخلصين كلمة فى مواجهة هذه الأزمات ،فمعنى ذلك أن القائمين على الأمر لم يلتفتوا إلى هذه الكلمة .وإذا ظل الأمر كذلك من افتقاد العلاقة بين البحث العلمى والمجتمع ..فلا ينبغى أن نلوم أحداً إلا أنفسنا ، وعلينا أن ننتظر مزيداً من الأزمات والتوترات.

ومن أجل تحمل تبعات هذا الوطن والمشاركة فى همومه أجرينا هذه الدراسة ،ومن أجل إبراء الذمة من السكوت عنها ، أحاول فى هذا المقال التعريف بها ..لأكون قد بلغت وعلى كل أن ينهض بدوره ومسئوليته بعد ذلك.

والدراسة أطروحة لنيل درجة الماجستير ،وهى بعنوان «**منظومة قيمية مقترحة لدعم الوحدة الوطنية**» ،وهى للطالب «خالد محمد عثمان» مدرس المواد الفقهية فى التعليم الإعدادى والثانوى فى المدارس الأزهرية ، وطالب الدراسات العليا فى قسم أصول التربية -كليةالتربية جامعة طنطا ،وقام بالاشراف العلمى على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور« حسن إبراهيم عبد العال» أستاذ ورئيس القسم، وعاونه فى الاشراف كاتبة هذه السطور «د. فاطمة فوزى عبد العاطى» مدرس أصول التربية بالقسم . وقام بمناقشة هذه الرسالة من داخل الكلية الأستاذ الدكتور المتفرع ورئيس القسم الأسبق «عبد الفتاح إبراهيم تركى» ،وشرفت جلسة المناقشة بالأستاذ الدكتور« ميلاد حنا» المفكر المعروف عضو المجلس الأعلى للثقافة والكاتب بالأهرام وصاحب الاهتمام الفكرى بقضية التعايش بين المصرين من خلال كتابه الرائد« قبول الآخر».

وقد دفع الباحث إلى إجراء هذه الدراسة ما لمسه فى الواقع التعليمى الذى يمارسه فى مدارس الأزهر من احتواء بعض الكتب الفقهية تجاه آراء متطرفة من أهل الديانات الأخرى ، منها ضرورة تمييزهم بشارات أو ملابس معينة ، وأن يشهر بهم.. وإذا كانت هذه الآراء نتاج أوقات معينة مثل فترات الحملات الصليبية ..فإن ذلك لا يعنى أن تستمر وتدرس فى وقتنا الحالى .وقد ربط الباحث بين هذه الآراء وبين ما يحدث فى الواقع فى منتصف التسعينيات وقت بدء التفكير فى موضوع البحث- واستنبط أن توترات علاقات المسلمين بالأقباط هى نتاج تصوراتنا ، تلك التصورات التى نكتسبها تدريجيا عبر التربية ، وإذا كان علينا أن نزيل هذه التوترات فلن يكون ذلك-حقا إلا بتربية تستهدف التعايش ،ومن هذه المقولة انطلق ليبدأ بحثه.

تقع الرسالة أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، تضم ستة فصول بخلاف الفصل التمهيدى الذى جاء فى مقدمة الدراسة لتوضيح أبعاد مشكلة الدراسة ،والنتائج والتوصيات التى جاءت فى نهاية الدراسة. ولقد تناول الفصل الأول مقومات دعم الوحدة الوطنية وهى :الجغرافيا الطبيعية ،والجغرافيا البشرية، واللغة المشتركة ،والحياة الاجتماعية المشتركة والتدين المشترك والتاريخ الوطنى المشترك، والعامل النفسى ،والمصير المشترك ،واستخلص الباحث فى الفصل الثانى القيم الداعمة للوحدة الوطنية من تشريعات المسيحية والإسلام ، ودستور الدولة، وتوصل إلى أن أبرز تلك القيم هى : الكرامة الإنسانية ،والمساواة ،والعدل فى المعاملة، والتسامح ، وحب الآخرين والإخاء ،والسلام الاجتماعى ،وقيمة المشاركة فى التعليم والعمل والتملك والانتفاع . وتوقف عند الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامى ليلقى الضوء على حكم التعامل مع الكتابى فى البيع والإجارة والوقف والوصية والشهادة والشفعة، واتخذ موقفا من قضية الجزية .كما اتخذ من وثيقة المدينة مرتكزاً للتحليل والتأكيد على أن التعايش مع الآخر الدينى فى الوطن الواحد فريضة دينية من المنظور الإسلامى للحفاظ على أمن المجتمع وأمانة ووحدته وتماسكه ضد أى عدوان خارجى أو تهديد داخلى ،كما ضمن ملاحق الدراسة هذه الوثيقة الأم. ووفق السير المنطقى للفكر العلمى فإن التساؤل المطروح فى هذا المنحى هو. إذا كانت كل هذه عوامل ارتباط فما للفكر العلمى فإن التساؤل وهو بعنوان «مظاهر وأسباب الإخلال بالوحدة الوطنية» ،وفى هذا الفصل تناول مظاهر الاخلال بالوحدة الوطنية من :أحداث عنف متبادل ،ونكات شعبية وكتابات بعض المفكرين . ثم تناول فى الفصل الثالث –أيضا –أسباب الاخلال بالوحدة الوطنية من حيث :جذور الظاهرة ،وموقف المسيحيين من الدولة الإسلامية الناشئة ،ونصوص فهمت على غير وجهها ، وظل على تتبعه للظاهرة خلال النصف الأخير من القرن العشرين من حيث الأسباب السياسية والأسباب الثقافية ،وتوقف عند تجاهل الظاهرة باعتباره من الأسباب التى أدت إلى تفاقمها.

وبعد أن وصل العمل العلمى إلى تلك النقطة التى اتضح فيها جانبا التناقض فى علاقة المسلمين بالمسيحيين فى المجتمع المصرى ،والتى تأكد تاريخيا وثقافيا أن حسن التعايش ضرورة دينية ووطنية ،ومن جهة أخرى فإن الواقع المعاش يشير إلى أن

التوترات حقيقة يومية.. عند هذا الحد أصبح علينا-فريق البحث- التوقف لتحديد دور التربية للعمل فى الاتجاه الأكثر رسوخا وهو بناء القيم المناسبة داخل الناشئة التى تترجمها سلوكياتهم بعد ذلك لإكساب التلاميذ منظومة القيم التى توصلت إليها الدراسة وهى نحو عشر قيم(المواطنة / المشاركة /المساواة / الكرامة الإنسانية / حرية الاعتقاد والتعبد / التسامح /الانتماء للوطن / السلام الاجتماعى / التكافل الاجتماعى / العدل فى المعاملة) وسعينا عند هذا الحد فى ثلاث اتجاهات:

أولها تحديد خصائص نمو التلاميذ الذين نود بث القيم فيهم من حيث الخصائص العقلية والوجدانية التى يتميزون بها والتى تتعامل معها التربية . ثم تحديد مفهوم القيمة وأهميتها والنسق القيمى ، وكيفية توظيفه فى موضوع الوحدة الوطنية وتحليل بعض الكتب الدراسية المقررة والتى تحمل بمضامين هذه القضية وهى كتب التاريخ واللغة العربية والتربية الدينية.

وفى الفصل السابع والأخير من الدراسة أصبح من الممكن العمل على تحديد الدور التربوى المتكامل إزاء إكساب التلاميذ كل قيمة من قيم المنظومة التى توصلت إليها الدراسة، وذلك من حيث مفهوم هذه القيمة ، وأهمية إكسابها للناشئة سواء كانت أهمية دينية أو أهمية وطنية، وكيفية إكسابها للتلاميذ من خلال المقررات الدراسية ،والأنشطة المدرسية من إذاعة ومجلات حائط ورحلات ،وموقف المعلمين من التلاميذ ،وموقف الادارة المدرسية من خلافات التلاميذ التى تأخذ المنحى العقائدى بين ذوى الديانات المختلفة.

وبهذا وصلت الأطروحة العلمية إلى هدفها النهائى بعد مدى زمنى يزيد على الخمس سنوات ويسعدنى أن أختتم هذا المقال بطرح أبرز النتائج والتوصيات التى توصلت إليها الدراسة.

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا: أن مصر تملك مجموعة من المقومات تؤثر وبشكل مباشر وفعال على ترابطها ككيان موحد وهذه المقومات هى: الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية واللغة المشتركة والحياة الاجتماعية المشتركة والتدين المشترك والتاريخ الوطنى المشترك والحالة السيكولوجية المشتركة والمصير المشترك ،وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بأن

تقوم المؤسسة التعليمية فى مصر خاصة مرحلة التعليم الاعدادى ووسائل الاعلام والثقافة والمساجد والكنائس بتقديم التوعية الشاملة بكل هذه المقومات . ذلك أن التوعية فى هذا الاطار تحقق دعماً مهماً للوحدة الوطنية، كما أن تعرف التلاميذ على أن جميع أبناء مصر المسلمين والمسيحيين يعيشون معا فى جماعات متداخلة لا يفصلهم فاصل منذ آلاف السنين ، وأنهم ينتمون منذ عهد الأسرات إلى أصل سلالى واحد، وأن لغتهم واحدة وأنهم يمتلكون نفس العادات والتقاليد الاجتماعية وأن ثمة مساحة كبرى من التدين تجمعهم ،وأنهم قد صنعوا عبر تاريخ طويل حافل الكيان المعروف الآن بمصر ، وأن مصير المسلمين والمسيحيين فى مصر مصير واحد سوف يحقق دعماً هاما لقضية الوحدة الوطنية فى مصر.

ثانيا:- كان للديانة المسيحية عبر بعض أبنائها كالنجاشى ملك الحبشة والراهب الذى حذر أبا طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم من قتل اليهود له إذا علموا بأمره وهو صغير وكان للديانة الإسلامية عند هزيمة الروم من قبل الفرس فى بدايات الدعوة الإسلامية وفى غير ذلك من المواقف عدة شواهد على المحبة والتسامح والرعاية بين الديانتين الكريمتين،وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بأن تقوم المؤسسة التعليمية المصرية وخاصة مرحلة التعليم الإعدادى ووسائل الإعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالتوعية بهذه المواقف المهمة ، ذلك أن التوعية فى هذا الإطار تحقق عائدا إيجابيا مهماً تجاه قضية الوحدة الوطنية فى مصر.

ثالثا: خلصت هذه الدراسة أيضا إلى أن المسيحية والإسلام والدستور المصرى قد اتفقت جميعا على مساحة كبيرة من القيم التى تدعم الوحدة الوطنية فى مصر، وفى هذا الإطار توصى هذه الدراسة بأن تقوم مرحلة التعليم الاعدادى ووسائل الإعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالكشف عن هذه القيم المشتركة بين الديانتين الكريمتين والدستور المصرى ،لأن الربط بين أجزاء هذه الثلاثية فى هذا الإطار- تحديداً- يكسب قضية الوحدة الوطنية فى نفوس كل المصريين أبعادا ،وجدانية وعقلية هامة يمكنها القيام بدور مهم فى إطاردعم الوحدة الوطنية فى مصر.

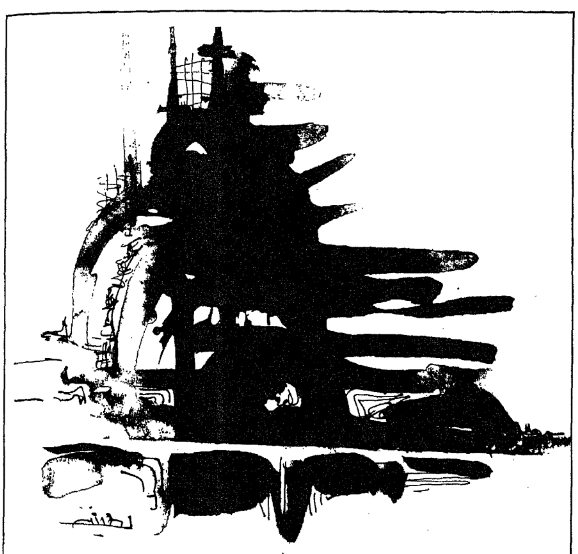
رابعا:إن انجلترا وفرنسا قد استخدمتا الوقيعة بين أبناء مصر المسلمين والمسيحيين كى تتمكن هاتان الدولتان من الاستمرار لمدة أطول فى احتلال مصر .كما توصلت هذه

الدراسة أيضا إلى أن أمريكا وإسرائيل تحاولان الآن القيام بنفس هذا الدور لتتحول مصر إلى بلد ضعيف مقهور تسهل السيطرة عليه وعلى الأقطار العربية من بعده .وفى هذا الإطار توصى هذه الدراسة بأن تقوم أجهزة التعليم والاعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالكشف الدائم عن هذا الدور حتى يعلم أبناء مصر المسلمين والمسيحيين حقيقة هذا الموقف.

خامسا: توصلت هذه الدراسة إلى أن هناك مجموعة من كتب التراث ما زالت حافلة بالآراء التى تؤثر بالسلب على قضية الوحدة الوطنية فى مصر- لأنها ظهرت فى ظروف تاريخية خاصة- .وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بالكشف عن الموقف الحقيقى المعاصر الذى يتخذه فقهاء المسيحية والإسلام المعاصرون من قضية الوحدة الوطنية ، وأن تقوم أجهزة التعليم والاعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالكشف عن الاجتهادات المعاصرة فى هذا الشأن .وفى هذا الإطار أيضا توصى هذه الدراسة بأن تعد دورات إرشادية لوعاظ الكنائس والمساجد حتى يتعرفوا بدقة على المواقف والآراء النافعة فى هذا الشأن.

سادسا: توصلت الدراسة إلى أنه كان للأحزاب السياسية القديمة فى مصر ولجماعة الإخوان المسلمين دور مؤثر فى تشكيل ملامح العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر . وإذا كانت الدراسة لم ترصد فى السنوات الأخيرة امتداداً لدور الأحزاب السياسية المصرية فى نفس الاتجاه السلبى السابق فإن الدراسة قد رصدت امتداداً حديثا لدور جماعة الاخوان المسلمين أثر بالسلب على الظاهرة موضوع الدراسة(١) وعلى ذلك توصى الدراسة بقيام وسائل التربية والإعلام والثقافة فى مصر بطرح الفكر الإسلامى الواعى المتعلق بهذه القضية وغيرها من القضايا الهامة الأخرى ، ذلك أن محاربة الفكر بالفكر وقرع الحجة بالحجة هى أفضل السبل للقضاء على كل من يتعامل مع القضايا الإسلامية المهمة بغير وعى أو بسوء نية.

سابعا: توصلت الدراسة إلى أن عدم وجود مشروع قومى كبير يستوعب قدرات وطموحات الشباب المصرى خلال سبعينيات هذا القرن كان سبباً من الأسباب التى أسهمت فى تشكيل ملامح العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر بالشكل الذى بدت عليه أثناء رصد«البحث» لمظاهر الإخلال بالوحدة الوطنية .وعلى ذلك توصى



الدراسة بإشراك الأجيال الجديدة من أبناء مصر المسلمين والمسيحيين في المشاريع الكبرى ، ذلك أن تربية هذه الأجيال على قواعد العمل الجمعي المنظم من شأنه أن يسهم في وضع أقدام هذه الأجيال على منهج التعايش عند الاختلاف.

ثامناً:- توصلت هذه الدراسة إلى أنه ليس ثمة استراتيجية تعليمية واضحة المعالم مكتملة النضج قد أعدت لمواجهة ما تعرضت له قضية الوحدة الوطنية في مصر في الفترة الأخيرة ، وأن هذه القضية قد تركت في مهب الريح على الرغم من كثرة الأبحاث والتوصيات التي أشارت إلى وجوب الاهتمام بها . وعلى ذلك توصي الدراسة بوضع استراتيجية تعليمية متكاملة تخدم هذه القضية.

قال مصطفى مشهور إنه حين يصل الإخوان المسلمون للسلطة سوف يفرضون الجزية على الأقباط.

أدب ونقد

تشكيل



جورج البهجوري وعدلي رزق الله:

بين سِيرتين!!

أشرف أبو اليزيد

تبدو أهمية قراءة كتب السيرة الذاتية التي صدرت للفنانين التشكيليين جورج البهجوري وعدلي رزق الله في أكثر من ناحية. فأدب السيرة الذاتية في عالمنا العربي شحيح في دفقاته، وهو قليل في عالم الأدب إن لم يكن نادرا، وغير موجود في عالم الفن في وطننا العربي. وهنا نقصد السير الذاتية التي تستحق التدوين؛ على طريق أيام طه حسين، وأصداء نجيب محفوظ، ورحلة فدوى طوقان الجبلية والصعبة، ومشارف خمسين صلاح عبدالصبور، ومذكرات طالب البعثة، وغيرها، وما أكثر كتابنا وفنانينا الذين غافلونا ومضوا دون أن يتركوا لنا مثل هذا الكنز الأدبي الرفيع.

ونضيف سببا ثانيا في هاتين السيرتين هو لغة الكتابة. فلم تكن السيرتان محض تدوين تسجيلي. أو يوميات وحسب. بل نسق قائم بذاته، تكاد تضع الفنانين في خانة الكتاب المتمرسين. وكذلك فإن البهجوري ورزق الله يمثلان مدرستين في الفن المصري والعربي المعاصر. لكل منهما أسلوبه الفريد الذي يجعل من قراءة سيرة أحدهما دخولا في متن التجربة التشكيلية التي تمتاز بالخصوصية والثراء. ويثبت تاريخهما العملي كذلك عظم الدور الذي اضطلعا به في الحياة الثقافية المصرية والعربية. ونجد رابع الأمور وليس آخرها. في تكريس (أدب ونقد) هذا العدد لقراءة مفهوم المواطنة في مجتمعنا المصري. ومن هنا فإن توظيف الجذور الدينية المسيحية للفنانين في متن التجربة الكتابية. يعد مبحثا هاما. خاصة وأن موقف السيرتين متباين تمامًا في الالحاح على هذه المسألة.

يتمثل رزق الله في سيرته الذاتية (الوصول إلى البداية في الفن وفي الحياة)، دور المتطهر، المتعفف عن ذكر ما يبغض منه غير الأصدقاء. وهو يوجه للقاريء خطابا افتتاحيا حول أهمية الكلمة بموازاة الصورة. ويختتم الخطاب الافتتاحي ببيان أسباب ما جعله يحجم عن ذكر الحقيقة كلها في الكتاب الذي بين يدينا. يقول: تجنبت الكتابة عن كثير من سلبيات وخطايا من سرقوا أياما من عمري، وصدقي إيماني. فلهذا يوم آخر وكتاب آخر. وتجنبت الكتابة عن المرأة في حياتي رغم أهمية دورها. خوفا وهلعا من مناخ النشر في واقعنا العربي. ..وكتبت فصلا آخر تحت عنوان الأصدقاء آثرت عدم نشره الآن خوفا من زيادة حجم الكتاب.

وكأن رزق الله. وهو على كرسي الاعتراف. يخشى أن يغضب أحدًا. مثلما يأبى أن يلمز من يستحقون الغضب. وهو يترك الباب مفتوحا. للظن. لقراءة ما وراء السطور. في كل حادثة يوردها في كتابه الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. (في ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير). بغلاف يحمل صورته باسما. سابحا مثل صوفي زاهد في فضاء من الحرف واللون.

نقرأ معه تراتيله الأولى تتصدر الكتاب. وكأنه يمهد لنا مواقفه ومخاطباته في الفن والحياة: أنا أعرف.. أعرف أني لا أعرف .. تعطيني وصيفاتك قطرات .. لكنك أنت وحدك تملكين المعرفة.. لولاك ستكون حياتي عبثا .. أتمنى ألا يصيبني الوهن قبل أن أصلك .. لتضميني ضمة المعرفة/ الموت. ويقول: باطل الأباطيل - الكل باطل . والفن ليس قبض الريح. ثم يقرر: كليب حيًّا مطلبي الفني. الوصول إلى حدي الأقصى حلم حياتي في الفن. ويعترف: الفن بداية أبدًا / الفنان على طريق البداية حتى موته الجسدي. والوصول خدعة. لو اعتقدها الفنان كان في هذا الاعتقاد نهايته. الفنان خارج

على قانون وخالق لقانون. فوضوي وملتزم في آن واحد! ! كيف؟ هذا هو سر جمال الفن. ورحلة رزق الله في سيرته محاولة لكشف هذه المتناقضات التي صدَّر بها سيرته.

نكتشف ونحن نعبر مع الفنان عدلي رزق الله فصول كتابه العشرين كيف تميزت حواسه منذ صغره. إنها الحواس التي فطر عليها فألهمته روح الفن. وحساسيته. رزق الله المولود في العام ١٩٣٩ بأبنوب الحمام. بأسيوط. في صعيد مصر. يحكي عن روائح قريته. ذلك الجزء الذي أعده مدخلا لتفهم لغة الكتاب مثلما أعتبر بابا للولوج لعالم الفنان: ما زلت أذكر روائح الصعيد الحادة والحريفة والمزاحمة لك أبدا في كل مكان. روث البهائم في الزرائب وفي البيوت وعلى حافة الغيطان. هي مركز خير للأرض الزراعية حيث هو سماد الأرض الطبيعية وبه تجود الزراعات. فكلما ازداد عفن الروث كلما أعطت الأرض حياة لنبتها. للغيط أيضا روائحه المختلفة. فرائحة الفول الحراتي غير رائحة البرسيم غير الذرة. غير وغير... النباتات المختلفة تجود بروائح عبقة. حريفة ومدغدغة للحواس بدرجات مختلفة وبدغدغات مختلفة أيضا. ولأننا ما زلنا في باب الروائح. فرائحة التراب تزكم الأنوف طوال الوقت وشتان ما بين تراب الجسر الناعم الجاف في عز الحر أو في القيلولة. ورائحة التراب بعد أن يبتل بأكواز الماء أمام المنازل حيث الشوارع الضيقة الرطبة والظليلة. لكن عن بلل غيطان الزراعة فحدث ولا حرج. عن احتفاء الأرض العطشى وبقللة الماء المتسرب بين شقوقها. ووشيش الأرض المستلقية لماء الحياة والروائح التي تجود بها بعد أن تبتل تماما. وحين تهب نسمات هواء تميل أذرع النباتات وتخرج روائح. هل أقول ذكية؟

يستطرد رزق الله. ونكف نحن عن الاستشهاد بالروائح. فبعدها يتحدث عن روائح كل شيء: النخيل. الأم. البيوت. الجدة.. ولا شك أن للفنان قصصا مع كل ما ومن ذكر. وسنعلم أن حادثة ما في طفولة الطفل عدلي تبقى معه ثلاثين عاما. تؤثر فيه. ككل شيء عاشه. إنها الذاكرة التي نحتفي بتوقدها. ذاكرة الفنان. لكننا سنحتفي كذلك بذاكرة الفنان جورج البهجوري الذي يبدو أنه يتذكر كل شيء. بداية من مقامه في رحم الأم! !

يبدأ البهجوري سطور سيرته الروائية بهذه السطور: تكورت داخل بطن أمي. لاصقت ما بين قدمي وبطني. التحم رأسي بركبتي. ضاعت يدي وسط أحشائي. رغم الغشاء الذي يحيطني هممت بالخروج. كلي فضول وشوق. لم أتنفس بعد. تنفسي مرتبط بتنفس أمي. تأتيني الحياة من خلال السرة التي تربطني بها. رئتاها ترتجفان. أرتجف أنا أيضا. تتنفس. أتنفس بدوري. تضحك

فأشعر برعشة تدغدغني . تأكل أو تشرب فأشعر بنشوة. فأندفع في هزة إلى الأمام وهـزة إلى الـوراء. أحيانا أصعد وأحيانا أهبط. لكني غالبا ما أكـون شـبه نـائم أو في غيبوبـة جميلـة. وتستيقظ حـواس بـهجوري وهو يصف رحلة بالقطار: نام القطار ونام المسافرون المتعبـون معـه.. لكـن عجلاتـه تحـت أفخاذهم وأقدامهم تعاود حركتها الدائمة ويصبح صوت القطار مع منتصف الليل الصوت الوحيـد مـع شخيرهم.. وتنعكس عشرات ومئات الأشجار من النافذة في اتجـاه ضـد اتجـاه القطـار دون أن يتطلـع إليها أحد حتى الولد حنا لا يتابعها لأنه ينام.. تتملمـل الأجسـاد وتبكـي طفلـة في نـهايـة العربـة. ويحلم فلتس بالقمر الأخضر وأنين ساقية منوف. بدأ الفجر باردا. ثم دافئـا قليـلا قليـلا. وتفتحـت شراعات نوافذ القطار بالتدريج وبدأت حالة ترقب الوصول إلى العاصمة. ولكن يبقى المسافرون كسـالى ما بين النعاس واليقظة. والمحطة المقبلة (الواسطه) يصيح فيها بائع الشاي الساخن المتنقل وملاعقـه تشخلل مع صوت الكوب الزجاجي. فيتلهفون إلى بخار الشاي ليوقظهم. فلا ينامون ويـهلل آخـرون من الصغار وبعض الكبار لفرحة اقترابهم ولقاءاتهم بالعاصمة.... ويختتم البهجوري المشهد الطويل بدخول القطار محطة مصر (كأنه ديناصور دخل حظيرته) ويردد: يا سلام مصر أم الدنيا.

وإذا كان رزق الله قد أراد لكتابه أن يكون سيرة حقيقية وكتابا احتفاليا به. وبفنه. حتى أنه أضـاف إلى متنه (نحو خمسين صفحة) من الكتابات النقدية الـتي تنـاولت إبداعـه. مثـل النقـاد الفرنسـيين كلود لافاي. وهربرت هيرو. ولوسـيت شـوليه. والنقـاد الشـعراء اللبنـانيين شـربل داغـر. وصـلاح ستيته. وكتاب مصر وفنانيها ونقادها بدر الديب. وبيكار. وشاكر عبد الحميـد. وزهـران سـلامة. وفاروق البقيلي. وإدوار الخراط. ومختار العطار. فإن جورج البهجوري أراد لما كتب أن يكون سيرة (روائية). وإبداعا خالصا. وفي الجزأين اللذين صدرا عن دار شرقيات أيقونة فلتس (٢٣٠ صفحة مـن القطع الصغير) وأيقونة الفن (١٩٠ صفحة من القطع الصغير) قدم لنا عمـلا روائيـا كـاملا. حتـى أنـه كمؤلف اختفى وراء قناع البطل شخصية فلتس الأيقونة الرمز لاسمه.

أما المقارنة الأكثر وضوحا فهي تلـك التهكميـة الـتي تشـع في عمـل البـهجوري. فـهو لا ينسـى أنـه السـاحر الأعظم. وأنـه رسام البورتريـهات الـتي تضـج بالمبالغـة. وإذا شـئنا أن نقتطـف مـن الأمثلـة فسيضيق المقام والمقال. فالبهجوري. بفضل حرية الحكي التي تمنحـها الصبغـة (الروائيـة) لعملـه. أعاد تركيب حياته من جديد. واضعا على هواه شخوصه تحت مشـرط اللغـة السـاخرة والنـافذة في آن

واحد. والأمر عكس رزق الله الذي يضع خطوطا عريضة بين ما حدث وما يصل إليه. وينبـهنا دائما إلى أنه فيلسوف الفن. والحق أن الحياة والأدب والفن تحتمل الوجهين معا ولا تستغني عنهما.
وإذا كان لنا أن نراهن على مقارنات أخرى. فسنجد أن البهجوري قد أعطى مساحة أكبر لطفولته وصباه. ونشأته. وأقاربه. ربما لأن مساحة المتخيل الروائية ستكون أكثر رحابة مما لو بذلها لمجايليه ومعاصريه. وهو عكس ما حدث لدى رزق الله الذي كرس آراء نقدية وتقييمية كثيرة تجعله شاهدا على عصره الفني والأدبي. ولم ينس أن يتجاوز التعليق على مجايليه من سنه. كنوع من المحاذير التي وضعها لنفسه. والقيم التي يفرضها بصرامة على قلمه حتى تصبح عادة فيه.
والمهم أن رزق الله والبهجوري اتفقا على كون الرحلة الباريسية قد جعلت مرحلة ق. ب (قبل باريس) غير المرحلة بعدها. لقد كانت باريس لكليهما بداية مختلفة. وميلادا جديدا. بعد أن وصل رزق الله إلى باريس وفي حوزته عشرون فرنكا. هي كل ما تبقى لديه من المائة فرنك و٣٣ دولارا المسموح بخروجها من مطار القاهرة. رسم الفنان ١٠٠ لوحة كولاج صغيرة. في ثلاثة أيام. ودعت صديقته نيكول إيتير الذي نزل ضيفا عليها. الأصدقاء لمشاهدة عدلي الذي حدثتهم كثيرا عنه. وذهلوا بجمال ما رسم عدلي. وجنوا أكثر عندما عرفوا أن السعر المطلوب للوحة هو ثلاث فرنكات فقط. وكانت البداية التي قادته من نجاح فني إلى نجاح على مستوى تسويق عمله. عمل الفنان يوميا وبشغف. وبهجة. كالمسحور المأخوذ يسأل نفسه: هل جاءني الفن أخير؟
أما رحلة بهجوري فقد كانت بدايتها مع رؤية الأعمال الخالدة على طبيعتها (بعد أن تعب من رؤيتها على صفحات الكتب التي كان يستعيرها من المكتبة ويعيدها مهلهلة فيعاقبه أمينها). وفي المقطع التالي من سيرة رزق الله نقرأ باريس من خلال الفنانين: كنت أسير أنا وصديقي جورج البهجوري بشارع سان جيرمان بالحي اللاتيني نتبادل الحديث. وفاجأني قائلا: أنا سعيد بك لأنك معنا الآن في باريس تبحث عن العالمية. أجبته ساخرا: صديقي جورج إن هذه الكلمة زائفة وهي لا تعنيني في قليل أو كثير. اشمأنط مني جورج قائلا: كيف لا تعنيك؟ قلت له صدقني إنها كذبة كبيرة يروج لها البعض عن عدم فهم. ويروج لها البعض الآخر عن سوء قصد. رأيت في عينيه أنني سببت له مشكلة وضيقا لم يكن يتوقعهما مني. مفاجئا قلت له: أنظ يا جورج الدم تحت قدميك. باغته كلامي فنظر تحت قدميه فلم يجد شيئا. قلت له صدقني إن دم "موديلياني" و"فان جوخ" و"سيزان" وقافلة كبيرة من الفنانين المخلصين قد أريقت على هذه الأرض ولكنها جفت الآن ولا نراها ولكنني

أحسها بقلبي... باريس ستخدعك كثيرا. إنها متحف كبير نعم. نحن فيها نرى ونشاهد ونهضم ونتعلم ثم نرحل وكفى.

عندما قرأت هذه المحاورة في سيرة رزق الله. تذكرت ما كتبه اللباد إلى جورج البهجوري مرة: كلنا نحب باريس. لكن باريس — يسأل — بتحب مين؟ لقد آمن رزق الله واللباد أن لدى العرب ما يقدمونه. وعملا على أن يكون مختلفا ومميزا. يقول رزق الله : أحببتك يا باريس لكن مصر هي القلب والنبض. فليكن ولتكن العودة واتخذت القرار.

تمثل البهجوري لأبيه عبد المسيح أستاذ اللغة الانجليزية جعله يفسح له صفحات كثيرة حتى لنكاد نؤمن بأنه المثال الذي وضع الكاتب على لسانه آرائه. يقول الأستاذ عبد المسيح لتلاميذه: سيأتي اليوم الذي ينبغ فيه أولاد مصر في أنحاء الكرة الأرضية. فتراثنا عريق. وذكاء الجيل القادم سيكون له شأن كبير في نشر هذا التراث. سيكون من أبنائكم العالم والمؤرخ والطبيب والمعلم والباحث والفنان. سينتشر أبناؤنا في أنحاء المعمورة يرفعون علم مصر في بلاد الفرنجة. فالمعدن المصري أصيل والاجتهاد والمثابرة موجودان؛ لذا أنصحكم بالاهتمام باللغة الاجنبيةهذه فهي سلاح جديد للنجاح في الحياة والتفوق فيها. وعند وفاة هذا الأب. وكأن الأمر جزء من فيلم مكتوب بعناية شديدة. يضع صبي صغير يده خلسة في سترة الأب الراقد وسط أفراد الأسرة. فينهره والده ولكنه يعثر في جيب السترة على قطعة طباشير بيضاء.

الفترتان اللتان يوليهما البهجوري اهتمامه. بعد طفولته وصباه. هما فترة دراسته بالكلية. وفترة عمله بمؤسسة روز اليوسف. وينتهز البهجوري الفرصة ليخرج قليلا من عباءة الراوي ويلبس ولو قليلا معطف السارد لهاتين المرحلتين. وفي المراحل الثلاثة يسهب البهجوري كثيرا في سرد كل ما له علاقة بالجنس. عن النساء اللائي رآهن خلسة وسواهن. وفي احتفالية التخرج على طريقة الأصدقاء الخاصة. يقررون اختبار الجنس تحريريا بعد أن كان طوال سنوات الفنون الجميلا شفاهيا. وحين يأتي دوره ويدخل غرفة نومها. لكنه لا يرتكب معها ما يشين. يكتفي بلحظته الأولى معها. فيتملص منها ويقبلها على الوجنتين شاكرا. لقد كرمه زملاؤه بدخوله قبلهم لكنه يتركها وكأنه يغسل يديه في ماء العفة..

المهم يبدأ التباين بين الكاتبين عندما يرد ما يشير إلى الجذور الدينية المسيحية. فرغم أنهما لا يفصلان بينها وبين ما لدى المجتمع المصري من صفات وملامح واعتقادات ايمانية وحياتية. نرى

تأكيد عدلي على مصريته قبل أي تصنيف آخر. وعندما قلت له في حوار هـاتفي لهـذا وضعـت صـورة زوجتك سـهير في جامع السلطان بمتن كتابك. أجابني بدهشة الطفل: هذا أحب المساجد إليّ. ووالله لم ألحظ ذلك الاختيار.

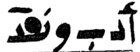
لا يوجد فن قبطي وآخر مسلم. هناك فن مصري. نعم، أنا ضد التصنيفـات، وحرصـت في سـيرتي أن أكون هكذا. هكذا يؤكد لي عدلي رزق الله على الهاتف. وفي مقطع من كتابـه وضـع لـه عنوانـا: حادثـة صغيرة. يقول: كانت ابنتي تمر على يدي وعمرها أربـع سـنوات حـين وصلنـا فجـرا مطـار القـاهرة ..ركبنا لموزين معا وفي ميـدان قصـر الطـاهرة جاءنـا صـوت مـؤذن الفجـر جميـلا. وهادئـا. ومؤمنـا. صرخت تمر بفرنسية رصينة. كانت لا تعرف وقتها العربية: بابا ما هذا المجنون. أنه يغني ليلا. رددت بالعربية التي لا تفهمها: عندي حق يا بنتي أرجع بيكـي. سـألني السـائق عمـا جـرى بينـي وبين ابنتي. ضحك عندما شرحت له. عندما أحكي لتمر الحكاية تضحك الآن من نفسـها فقـد عرفـت أنه مؤذن الفجر. واعتبرته فألا حسنا لعودتنا ومقابلة بها حس سماوي.

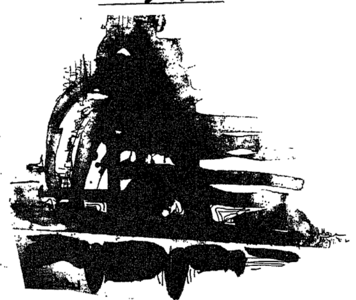
البهجوري يضع أقدامنا على بوابة عالم الأقباط في مصر. مؤكدا كلما أسعفته الحبكة والتفـاصيل علـى مصرية ما يكتب ويحيا وامتزاجهما. يقول: المجتمـع المصـري والقبطـي بشـكل خـاص يفـرض علـى المتزوج أن يتزوج شقيقها أيضا! ونلاحظ الربط بين أيقونات مصر في النيل والمعبد والمسجد والكنيسـة وكائنيه المسيحيين. يقول: بقي معبد الأقصر في حضن جامع قديم يطـل علـى النيـل. لم يكـن يعـرف عندما دعاها لدخول المعبد أن جدارا من النحت البارز يحكـي قصـة الالـه (من) إلـه النسـل... تلـك الليلة نامت في حضن الرجل الذي جمعتهما به الكنيسة في لقائـهما الأول. جـاءت معـه إلى الصعيـد. إلى بلدته الأقصر. تعطيه جسدها وهي تحلم بصورة الاله (من) في معبد الأقصر. وقد صهرتها أشـعة إله الاخصاب الشمس. فأصبح جسداهما قطعتين من الجمر.. تحت ضوؤ مصباح الجـاز الكبـير خلـف المشربية. ويقول: متابعة الصلاة. هكذا علمتنا أمنا منذ الصغر أن نكـون علـى علاقـة دائمـة بـالرب. ويسـرد البهجوري عن يوم الأحد في كنيسة عزبة الأقباط: يرتدي الصبية الصغار ملابـس الشماسـين المزركشة بصورة الصليب المكررة. يغنون وينشـدون باللغـة القبطيـة ألحانـا أصيلـة تعـود إلى أناشـيد الكهنة وملوك آلهة الأسرة الثالثة. أكثر من ألف عام قبل الميلاد. أما في أعياد الميلاد وأعياد الغطـاس فالطقوس القبطية القديمة تصبح مهاصرة ومحدودة. وفي أعياد الزعف السابقة لأعياد القيامـة يحمـل الصغار زعافات قلب النخيل الأبيض ويجلسون على النوافذ وعلى درج البوابات يجدلون منها أشكالا



جميلة تساعد على الحب والسلام والايمان. والأب عبد المسيح محبوب من الشيخ مختار (ليس لأنك تعطي دروسا لابني في لغة أهل الفرنجة. ولكن. لأن لك قلب مسلم... ويؤكد البهجوري في ثنايا حكاياته على أن حرص الأقباط على قربهم من بعضهم البعض. كان مجرد فكرة (تقليدية): كانت أمنية الصعايدة أمثالنا القادمين من قرى الجنوب. أن نحقق المسكن والاقامة في العاصمة والزواج منها. كما كان التفكير التقليدي هو اختيار ضاحية شبرا حيث يتجمع فيها أكبر عدد من أقباط مصر. ويقول أخيرا: الليلة هي ليلة المولد النبوي.. فلتس ينتظر بفرحة كبيرة شقيقه حنا للخروج إلى وسط البلد والاستمتاع بليلة العيد.. الأنوار في كل مكان والسرادقات والأفراح. يخرج فلتس عن صمته وهدوئه يهلل ويصفق في شوارع منوف وسط زفة المولد واقبال جوقة من مداحي الرسول بملابسهم الزاهية المزركشة والزحام حولهما يغرقان فيه وحبات المطر تطير فوق الرؤوس وتتساقط على الأرض.

في الخاتمة بقيت ملاحظة. هي ما لمسته فيما قرأت من الوفاء النادر للفنانين. كليهما. لكل من أضاف إليهما. أو علمهما. أو ساعدهما. ويبدو أن الاحتفاء بهذا الوفاء النادر أصبح واجبا. فيما تغوص أقدامنا في برك من القطيعة بين الأجيال. بل وبين أفراد الجيل الواحد. وبعد. فلم يكن القصد من وراء ما سردت مقارنة بين المبدعين. والعملين. فهي مقارنة لا تستوي –إن جرت– إلا على الورق. وإنما أردت المقال تحية للاصدارين. ودعوة لجميع الفنانين والكتاب لامتاعنا بسيرهم الذاتية. لأنهم ذاكرة مصر والأمة العربية.





ليس فى الإبداع حرج

حلمى سالم

« الحكم على الإبداع بمنظور دينى أخلاقى» هو القاسم المشترك الأعظم فى أغلب حالات كبت الرأى ومصادرة الإبداع ، التى وقعت فى حياتنا الثقافية المصرية والعربية فى الآونة الأخيرة ، بدءاً من محاكمة مارسيل خليفة وليلى العثمان وعالية شعيب ، ومروراً بمحاكمة إبراهيم نصر الله وحبس صلاح الدين محسن ، ومصادرة رواية حيدر حيدر «وليمة لأعشاب البحر» ومصادرة ثلاث روايات هى« قبل وبعد» لتوفيق عبد الرحمن و«أحلام محرمة» لمحمود حامد و«أبناء الخطأ الرومانسى» لياسر شعبان ،وانتهاء بفتوى تكفير حيدر حيدر ، ومصادرة كتب الشيعة وكتب أخرى من معرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الثالثة والثلاثين ،ومحاكمة د. نوال السعداوى والشيخ خليل عبد الكريم.

ولهذا فسوف تركز السطور القادمة على مناقشة ذلك المنظور الدينى فى مقاربة الفن والأدب . وينطلق هذا المنظور من ثلاثة أسس رئيسية :

الأساس الأول قانونى يستند على قانون– أو شبهة قانون –الحسبة ،الذى به حوكم كثير من الكتاب وأوقفت عروض مسرحية وسينمائية (مثل نصر أبو زيد ، وفيلم المهاجر ،وكتاب لويس عوض «مقدمة فى فقه اللغة العربية) . وهو القانون الذى استند إليه محمد عباس (كاتب جريدة الشعب) الذى فجر زوبعة «وليمة» حيدر ، والذى خشى فاروق حسنى ، وزير الثقافة المصرية ، من أن يعتمد عليه مقدم الاستجواب فى مجلس الشعب ،فقام بإجراءات العسف التى فجرت الأزمة ، والذى استند إليه رافعو الدعوى القضائية على د. نوال السعداوى بسبب آراء قالتها فى حديث صحفى حول عملية الحج من وجهة نظر التصوف ،وعلى خليل عبد الكريم بسبب كتابه «سنوات التكوين فى حياة الصادق الأمين».

والأساس الثانى فقهى فكرى يستند على محاكمة ألفاظ الأدب بألفاظ القرآن ،فيمنع أهل اللغة العربية من استخدام ألفاظ وردت فى القرآن المقدس ،حتى صارت الألفاظ مقدسة.

والأساس الثالث تاريخى ماضوى يستند إلى القول بمرجعية تراثية يلزم أن تكون هادينا الوحيد فى الحاضر والمستقبل.

****

«الحسبة» لا وجود لها في القانون الوضعى ،والأهم أنه لا وجود لها فى التشريع الإسلامى ، ويمكن مراجعة بحث المفكر الإسلامى المستنير د.أحمد صبحى منصور فى ذلك، حيث يقول فى دراسته «الحسبة بين القرآن والتراث» ،أن مصطلح الحسبة مصطلح مستحدث فى تاريخ المسلمين من الناحية اللغوية ، وأنه لم يرد فى القرآن الكريم ،وقد جاء فى بعض الأحاديث التى تم تدوينها فى العصر العباسى لتعبرّ عن العصر العباسى وعقائده ومصطلحاته ، والتى تخالف القرآن وعصر النبى عليه السلام. وأن هذا المصطلح اللغوى عن الحسبة كان يعنى التطوع الشخصى ، ولا يعنى التدخل فى حياة الآخرين ،فالتدخل فى حياة الآخرين له تشريع خاص فى الإسلام الحقيقى ،كما أصبح له تشريع خاص فى تاريخ المسلمين ونظامهم السياسى ،والتشريعان مختلفان.

ويؤكد د. منصور أن وظيفة المحتسب لم يعرفها عصر الأمويين مع أنهم كانوا

يقتلون أعداءهم من الخوارج والشيعة والموالى بمجرد الظن والاتهام . وأن عصر العباسيين ، بما فيه من فتن وصراعات سياسية ، هو المناخ الذى تمت فيه ولادة حدّ الردّة وأقيمت وظيفة الحسبة .

ولأنه لا يوجد فى الإسلام ولا فى سيرة النبى عقوبة للمرتدّ ،فقد تكفل فقهاء الدولة العباسية باختراع حديثين لمعاقبة المرتد ،ولأنه لا توجد فى الإسلام وظيفة المحتسب فقد عثروا على موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليكون مبرراً تشريعياً لوظيفة الحسبة.

ويفندّ د. منصور هذا المبرر التشريعى بتأكيده على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تشريعات القرآن له ملامح مختلفة عن تشريعات الحسبة الفقهية ،فالأمر بالمعروف أمر قولى والنهى عن المنكر نهى قولى ، أى نصح وإرشاد باللسان ،فإذا أصرّ الشخص على رأيه فهذا شأنه طالما لا يمتد ضرره إلى الغير وحقوق الناس فى الدولة والأموال والأغراض ، ويكون الاعراض عمن يختار الضلالة انتظاراً لحكم الله تعالى يوم القيامة.

ومع كل ذلك ،فقد أصبح تشريع الحسبة (الذى بمقتضاة يستطيع أى مواطن أن يقيم دعوى قضائية ضد أى مواطن آخر، بوصف الأول نائبا عن التقاليد وآداب الأمة والدين ، وبوصف الثانى خادشاً للتقاليد وآداب الأمة والدين) سيفاً مسلطاً على رقاب المبدعين والمفكرين ، بل أصبح سيفاً مسلطاً على رقاب المجتهدين داخل سياق الدين الإسلامى نفسه (مثل محمد سعيد العشماوى وخليل عبد الكريم وعبد الصبور شاهين وجمال البنا وصبحى منصور وغيرهم).

ولكل ذلك ،فإن على الحركة الثقافية المستنيرة -المصرية والعربية- أن ترفض قانون الحسبة مطالبة بإلغائه كلية ، إنطلاقاً من:

أ- إن الحسبة ليست قانونية ولاشرعية.

ب- إن القوانين العادية فيها ما يكفى لمعاقبةأى اعتداء على المقدسات أو المعتقدات أو الأخلاق أو الدين.

ج-إن الحسبة كثيراً ما توظف فى تخليص التارات الفكرية أو الشخصية.

د- إن الحسبة عقبة كئود فى طريق حرية الفكر والإبداع والاجتهاد التى كفلها

الدستور ، أى أنها غير دستورية.

هـ- إن الحسبة ساقية جهنمية ، يمكن لسيفها أن يدور على رقاب فرسانها أنفسهم .وهو ما وقع بالفعل عندما رفع الشيخ يوسف البدرى دعوى حسبة ضد د.عبد الصبور شاهين وكتابه «أبى آدم» .وقد كان الشيخان ،البدرى وشاهين ، حليفين كبيرين فى إقامة قضية الحسبة ضد نصر حامد أبو زيد ، التى انتهت بالحكم بارتداده وتطليقه من زوجته ، وتسببت فى هجرته إلى هولندا.

و- إن نقل الحسبة من يد أى مواطن إلى يد النيابة (وهو النقل الذى حدث بعد واقعة نصر أبو زيد، منتصف التسعينيات) لا يعدّ تقدماً جوهرياً. وكان المثقفون قد ارتاحوا لهذا التعديل ،الذى ينبط بالنيابة تحديد جدية الدعوى من عدمها، غير منتبهين إلى أن ولاية النيابة (أو السلطة) ليست أقل سوءاً من ولاية الأفراد المتطرفين من أهل الإسلام السياسى، حتى وإن وقفت النيابة بعض المواقف النزيهة النادرة (كما حدث مؤخراً فى حالة د. نوال السعداوى).

***

لغة القرآن مقدسة ، لكن اللغة العربية التى يتحدثها الناس(العرب) ويكتبونها ليست مقدسة. الأولى مقدسة لأنها لغة السماء ،ومن صنع الله، والثانية غير مقدسة لأنها لغة الأرض ،ومن صنع البشر.

وعلى ذلك ، يتوجب علينا أن ننهى الخلط المغرض بين اللغتين ، الذى يقوم به المتطرفون -ومن لفّ لفهم من مفكرين أو رسميين عمداً-حينما يضفون على الثانية مسحة من قداسة الأولى ،حتى تظل أجزاء من لغة الأرض مربوطة بلغة السماء أو مصادرة لحسابها أو باسمها .وهو الأمر الذى ينطوى على خطر جعل كلمات من لغة الكلام البشرى السيار محرمة على أهلها من البشر العاديين.

ومن ثم ،ليس هناك فى لغة الناس العربية التى يتحدثونها أو يكتبونها ألفاظ مقدسة أو محجوز عليها أو محظورة الاستخدام الاعتيادى ،الأرضى، المعاشى ،لمجرد أنها وردت فى لغة القرآن الكريم.

من عجائب هذا النزوع الضيق حالتان :الأولى هى اتهام الشاعر الأردنى ابراهيم نصر الله بخدش الدين لأنه أسمى ديوانه الجديد «بسم الأم والابن» ،وهو اتهام

يتجاهل أن المسيحية تقول «باسم الآب والابن والروح القدس» ، وأن كل الزعماء يلقون خطبهم «باسم الشعب»، وأن إسقاط الألف فى رسم كلمة «بسم» ليس من صنع الله، لتكون مقدسة مقصورة على الله وحده، بل هى من صنع المدونين الذين «دونوا» القرآن الكريم. والثانية هى اتهام كاتب هذه السطور بالسخرية من «الفقه» الإسلامى لأنه أسمى ديوانه «فقه اللذة» ،وكأن لفظة «فقه» موقوفة الدينية على المعنى الدينى وحده ، بحيث يغدو حراماً أن نقول «فقه السعادة» أو «الفقه الدستورى» أو «فقه الثورة» .فهل تم احتكار مفردة «فقه» –بمعنى فهم أو إدراك أو نظرية –لصالح المعنى الدينى لا سواه؟ وهل رافعوا مثل هذه الاتهامات يدافعون بحق عن حرمة الدين أم يدافعون عن حرمة مختلفة؟.

إن النتيجة المدمرة التى يؤدى إليها منطق حجز بعض الكلمات عن التعامل اليومى –الأدبى أو غير الأدبى –لمجرد ورودها فى القرآن ،هى أن نغلق أفواهنا عن كل الكلام ، لأن كل الكلمات قد وردت فى القرآن ،وهو ما ينتهى بنا إلى الخرس.

ومؤدى هذه النتيجة –فى أهون الأحوال –هو أن تتعطل لغة الحياة الدنيا تعطلاً كاملاً أو جزئيا ،إذ يصير حراماً أن نصف شيئا أو عملاً أو شخصاً بأنه عظيم أو قدير أو كريم، لأن هذه الأوصاف وردت فى القرآن الكريم، بل إنها بعض من أسماء الله الحسنى .(وقد حدث بالفعل نموذج من هذا التحريم ،حينما احتج المفكر الاجتماعى الاقتصادى المعروف د. جلال أمين ،منذ عامين، على أن نصف الأديب المبدع بأنه «خالق» ،لأن «الخالق» هى صفة الله وحده)!.

إن لغتنا العربية هى لغة البشر العاديين ، صنعها البشر العاديون ،ويستخدمها البشر العاديون ،ولهم حق تطويعها وتطويرها كما يشاءون ويشاء لهم تقدمهم العقلى والاجتماعى والحضارى .

واللغة مجاز كلها ، بما فيها لغة القرآن نفسها، ولذا فإن إلصاق أوصاف أو أعضاء بشرية لله ليس محرماً ولاغضاً من قداسة الدين ، بل هو آلية رمزية من مقتضيات الشرح والتمثيل والتفهيم ،ونحن نعرف أن القرآن ذاته قد ورد فيه كثير من ذلك، فالله فى القرآن له وجه ويد وكرسى ،وهو يمكر ، بل خير الماكرين، وهو يمشى باعا لمن يمشى إليه ذراعا. كما أننا نعلم أن مسألة التجسيد والتشبيه كانت إحدى المسائل

الكبرى فى السجال الفلسفى والفكرى بين الفرق الإسلامية ، تلك الفرق التى نزهت جميعها الله عن التجسيد ، لكنها أوّلت الأمر كله على أنه لون من ألوان الرمز والمجاز والبلاغة التى تهدف إلى تقريب المعانى إلى أفهام المسلمين «لعلهم يفقهون».

وفضلا عما تقدم ،فإن الألفاظ ليست شريفة أو رذيلة بذاتها ، وإنما تقيم الألفاظ بسياقها الكلى وبالمعنى الأعم الذى تشارك فى تأديته مع غيرها من ألفاظ . ولو كان ورود اللفظ المذموم أو الجارح أمرا محرما لما وردت فى القرآن كلمات حول المسألة الجنسية أو أعضاء التناسل عند المرأة ، مثل النكاح والفرج والدبر والإتيان وغيرها . ذلك أن الاعتداد إنما يكون بالإطار الذى ترد فيه اللفظة ،وبالهدف من الجملة كلها، وليس الاعتداد بالكلمة فى ذاتها معزولة مقطوعة.

وقد أفادنا الجاحظ –المفكر التراثي الركين –إفادة بالغة فى هذا الصدد ،حينما انتقد فى رسالته «مفاخرة الجوارى والغلمان» أولئك الذين يشتدون على الناس بدعوى التدين، موضحاً أن «بعض من يظهر النسك والتقشف ،إذا ذكرت أعضاء الرجل أو المرأة تقزز وانقبض ، وأن أكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم والنبل والوقار ، إلا بقدر هذا التصنع. وشرح الجاحظ رأيه بقوله :«إنما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة . ولو كان الرأى ألا يلفظ بها ما كان لأول كونها معنى ، ولكان فى التحريم والصون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها».

يتضح لنا، إذن، أن الذين يصرخون ضد المبدعين بسبب ورود بعض هذه الكلمات –فى سياقات فنية وفكرية ذات دلالة أعمق من ظاهرها الفظ– إنما يكيلون بمكيالين ، ويدلسون على أنفسهم وعلى القارئ وعلى الدين جميعا .وهو التدليس الذى ينطوى– ضمن ما ينطوى –على سعى هؤلاء إلى احتكار اللغة . لمصلحتهم وأهدافهم ورؤيتهم ، بينما اللغة بين أهلها سواء .إنهم –بجملة أدق– يريدون أن يملكوا ما لا يملكون .وهذا هو عين «الاغتصاب»!.

يرفع أصحاب التضييق على الإبداع والفكر شعار «المرجعية الدينية التراثية» كمعيار للحكم فى مثل هذه القضايا الشائكة . ولنا على رافعى ذلك الشعار الملاحظات النقدية التالية:

(١) ليست هناك، فى حياة أى شعب ، مرجعية ثابتة خالدة مطلقة، على مرّ العصور والمراحل والأزمان . فكل جماعة بشرية تغير من مرجعيتها الثابتة ،وتعدّل من مبادئها الجامعة، حسب عصورها المختلفة وتطوراتها المتتابعة.

(٢) بافتراض ضرورة وجود المرجعية الدينية التراثية ،فإن أصحاب ذلك الشعار يقصرون تلك المرجعية على ألف وخمسمائة عام فقط من تاريخ الشعب المصرى الطويل- هي عمر المرحلة الإسلامية -متجاهلين بذلك آلاف السنوات السابقة ، التى حفلت بالمرحلة الفرعونية والمرحلة القبطية.

(٣) وإذا قصرنا المرجعية على«المرجعية الدينية الإسلامية» وحدها ، سنجد أنها «حمالة أوجه» -بتعبير علىّ بن أبى طالب -تعطى لكل تيار من التيارات الإسلامية المتعارضة سنداً شرعية أصليا . وسنجد أنها منقسمة إلى شيع وفرق ومذاهب ، يحل بعضها ما يحرمه الآخر من أصول ،والعكس ، ويفتى بعضها بغير ما يفتى به بعضها الآخر فى مسائل تعد من الأسس ، بل وينفى بعضها البعض الآخر ، زاعما جدارته الوحيدة فى تمثيل المرجعية السليمة التى هى «صحيح الدين».

(٤) وبذلك صار شعار «المرجعية الدينية الإسلامية» كلمة حق يراد بها باطل ، إذ تستخدمه فرقة بمفهوم وتستخدمه فرقة أخرى بمفهوم مختلف : فمرجعية معاوية غير مرجعية الحسين ،ومرجعية الغزالى غير مرجعية ابن رشد، ومرجعية الحلاج غير مرجعية الأشعرى ،ومرجعية الشيعة غير مرجعية السنة، ومرجعية جمال البنا غير مرجعية عبد الصبور شاهين،ومرجعية السلطة غير مرجعية الناس ،ومرجعية طالبان غير مرجعية كمال أبو المجد.

(٥) أما أهم ملاحظة نقدية على هذا الشعار، فهى التى يلخصها السؤال التالى :لماذا يقتصر مفهوم المرجعية على البعد الدينى فيه ؟لماذا لا يتسع كذلك للتراث التاريخى والفلسفى والمعمارى والفكرى ؟ ولماذا لا يتسع للقيم الإنسانية التى تسعى الشعوب إلى تحقيقها :الحرية والعدل والتقدم ؟.

القضية إذن ، هى أعمق من أن يصادر وزير ثلاث روايات ،ومن أن يهاجم كاتب إسلامى رواية حيدر حيدر ويفتش فى الصور الشعرية عن الخادش للحياء والخلق الحميد ، ومن أن يشى متأسلمون بكاتبة مستنيرة أو شيخ مجتهد ، قد يخطئ فيكون له

أجر وقد يصيب فيكون له أجران، أو يشوا بعنوان ديوان شعرى« بسم» الفضيلة .القضية فى جوهرها الغائر هى ولاية المعيار الدينى والأخلاقى فى الحكم على الأدب من ناحية ،وهى غياب «التسامح» الحق- أى وجود الرأى الآخر مهما كان مختلفا-فى الحكم على اجتهادات الفكر من ناحية ثانية.

فى الناحية الأولى -ولاية المعيار الدينى على الأدب- يكمن الخطر فى عدم الفصل بين الاختصاصات ،ففى حين أن الحكم على الأدب هو عمل النقاد والقراء ،نجد أن الاختصاص يتضارب ، ليصبح المفتى فى الأدب هو الشيخ ، والجنرال .

وفى الناحية الثانية- غياب التسامح فى الفكر -يتغافل الجميع عن بيتى أبى نواس القائلين:

قل لمن يدعى فى العلم معرفة

حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

لاتحظر العفو إن كنت امرءاً حرجاً

فإن حظركه بالدين إزراء

ثم إن القضية فى جوهرها الغائر هى وجود نصوص عديدة فى أبنيتنا الدستورية والقانونية تساهم فى حدوث وتفاقم ذلك التداخل فى الاختصاصات ، فى الأدب والفكر ،مما ينتج بالحتم حمى التكفير والتخوين والمصادرة.

ما العمل؟.

العمل فى رأيى هو:

(أ) السعى إلى إدخال التعديلات الدستورية والقانونية التى تجعل معيار الوطنية هو الرابطة «المواطنية» لا الرابطة «الدينية» ،والتى لا تجعل محاكمة الأدب بمعيار الدين والحلال والحرام عملا مشروعاً تسنده القوانين.

(ب) السعى إلى إحلال المرجعية المدنية الحديثة -المستقاة من المواثيق الدولية لحقوق الإنسان-محل المرجعية الدينية ،حتى يغدو «الدين لله والوطن للجميع» ، وحتى نتفادى الملاحظات التى سقناها -منذ قليل- على المرجعية الدينية (مع كامل الاحترام والتوقير لكل الأديان).

(ج) السعى إلى فض التحالف العتيد بين الاستبداد السياسى والاستبداد باسم

الدين ، ذلك التحالف الذى كشفه جمال الدين الأفغانى من قبل فى« طبائع الاستبداد» ، حتى لا يتقوى هذا بذاك ، وحتى لا يظن فريق من الشعب أنه وكيل الله على الأرض ، ولا يظن فريق من أهل الحكم أن مخالفة نظامه مخالفة لله .وعلى ذلك فلا ينبغى على المثقفين الديمقراطيين أن يراهنوا على«تنويرية السلطة السياسية»، فتنويرية هذه السلطة السياسية لم تكن يوماً اختياراً مبدئياً استراتيجياً ثابتاً ،منذ واقعة «الإسلام وأصول الحكم» فى العشرينات ،وحتى الدفاع عن وليمة حيدر بإغلاق حزب العمل وصحيفته «الشعب» ،فى مطلع القرن الحادى والعشرين .كما لا ينبغى على النخبة المثقفة أن تستنجد بالسلطة السياسية إزاء أية أزمة فكرية ،كما حدث من الطرفين المتقابلين فى زوبعة الوليمة. وقد رأينا أن الحكومة عصفت بالطرفين : أغلقت حزب العمل وجريدته ، وصادرت الرواية وقدمت المسئولين عن نشرها إلى النيابة .وهو ما يؤكد أن هدف الحكومة إنما هو صيانة السلطة وليس صيانة الدين أو صيانة الاستنارة.

(د) السعى إلى ترسيخ رؤية متحضرة ترى أن الضرورات تبيح المحظورات ، فى الفن ،كما فى العلم، والمرض ، والدين . وضرورة الفن المقصودة هنا هى ضرورة أن يكون حرا ، ومشرّحاً للنفس ،وكاشفاً للعورات النفسية والاجتماعية والأخلاقية.

(هـ) تطوير نظم التعليم –الأساسى والعالى– حتى تتسع لتدريس المذاهب الفكرية والدينية والجمالية المخالفة لما نأخذ به من مذاهب رسمية– فى الفكر والدين والفنون– حتى تتعمق لدى الأجيال الجديدة حصانة القدرة على التمييز والقبول والرفض ، بدون وصاية علوية شعارها القاهر يقول:« أيها الشعب ، أنت قاصر غير راشد ،دعنا نختر لك الطيب ونبعد عنك الخبيث».

(و) ينبغى ألا نخلط بين رفضنا النقدى للعمل الأدبى أو اختلافا العقلى مع العمل الفكرى ، وبين ضرورة دعم مبدأ حق ذلك العمل– الأدبى أو الفكرى –فى الوجود .الموقف السليم– إذن –هو أن ندافع عن حق الكاتب فى عرض رأيه ، وأن ننقد (بل ندحض) هذا الرأى إذا كان مخطئا أو منحرفاً أو ضاراً ،على أن يكون ذلك الدحض قولاً بقول، وقلماً بقلم ، ومناجزة بمناجزة، وليس بالنفى أو التكفير أو الحبس أو المصادرة.

أدب ونقد

وثيقة



بين البر والبحر

مصطفى عبد الرازق

فى مطلع يناير سنة ١٩٣٧ ، نشرت (مجلتى) لصاحبها ومحررها وطابعها وناشرها أحمد الصاوى محمد، مقالا للشيخ مصطفى عبد الرازق ، عن رحلته إلى مرسيليا.

المجلة التي كان من بين كتابها طه حسين وتوفيق الحكيم وحسين فوزى وإبراهيم ناجى وإسماعيل مظهر، احتفت بالمقال الذى احتفى بدوره بأحد بيوت الله ، كنيسة مرسيليا الشهيرة : نوتردام ده لاجارد ».

التحرير

اشتقنا إلى البر بعد أن عشنا فى البحر أربع ليال ، على أن سفر البحر لذيذ، يبعدك عن الأرض وما فيها من جن وإنس ، وكأنما يبعدك عن السماء وما فيها من ملائكة وعوالم علوية، ولعل أهنأ العيش ما كان بعيدا عن الجن والإنس والملائكة.

تستطيع فى البحر أن تعرف لذة المطالعة فى سعة من الوقت وهدوء وصفاء بال ،وتستطيع أن تعرف لذة النوم فى الهواء الخالص الطلق ،ولذة الاستلقاء فى كرسيك الطويل من غير نوم ، لا يشغل بالك شاغل ، ولا يقطع أحلامك زائر ، وتستطيع أن تلعب القمار وغير القمار، وأن تستمتع بالحديث والسمر ، وتستمتع بظلام الليل وغبش السحر.

قد استمتعنا ببعض ذلك –والحمد لله– ثم غدونا إلى مرسيليا صبحا ،وكان مع كثير منا سجاير مصرية يريدون أن يمروا بها من غير أن يؤدوا إتاوتها ، وتلك عقبة لا يذللها إلا ما فى عمال الجمرك الفرنسى من ظرافة تكلفك قروشا معدودة . ولما خرجت من الجمرك بما معى من السجاير ،شعرت بوخز فى مكان الفضيلة من نفسى ، إن هذه هنات مهما تمحلنا لها من أعذار لا تخلو من غمز فى قناة الخلق.

***

زرت فى مرسيليا كنيستها الشهيرة– نوتردام ده لاجارد– القائمة على ربوة عالية تشرف بك على المدينة كلها، وتريكها صورة ذات ألوان بديعة مرسومة بشوارعها وحدائقها ، ونجادها ووهادها ، وضواحيها والبحر الأبيض المتوسط حولها نطاق من سندس أزرق.

صعدنا فى مصعد تارة ، وتارة على أقدامنا ، حتى بلغنا المعبد، وكنت أحسبنى لا أرى إلا أجانب يزورون الآثار الفنية ، ويشهدون منظر المدينة البديع من ذلك المكان العالى . لكننى رأيت فى نواحى هذه الكنيسة الصعبة المرتقى ،فى جوف ظلامها المؤنس الرهيب ،عبادا يخرون للأذقان سجدا فى خشوع وإيمان ، متوجهين إلى ربهم بقلوب تدفعها صدمات الحياة ، إلى التماس العزاء فى كنف رحمته ، فى سذاجة لا يعرف الشك سبيلا إلى يقينها .فاللهم إيمانا كإيمان العجائز .أليس الدين جميلا فى إخلاصه ويقينه وجميلا فيما يمسح من آلام البشر بيمينه؟ إنما **يشوه الدين أولئك الذين يريدونه كيدا وتضليلا ،وقيدا للعقول والقلوب ثقيلا.**

***

زرنا بيت الله فى الضحى ، وعند الأصيل ،خرجنا إلى متنزه مرسيليا الأكبر« الكورنيش» ، ولقد يخيل إليك حين تخرج من الميناء إلى المحطة أن مرسيليا بلد فيه فخامته وفيه حركته، لكن جماله قليل ، وأنت إذا طوفت فى الكورنيش رأيت نواحى ظريفة ، تكبل الغابات هامتها الذاهبة فى السماء ، ويمتد البحر من تحتها إلى غير مرأى.

آوينا إلى مطعم هناك، ترقى إليه فى جنة عالية ملتفة الأشجار تصل بك إلى بناء أنيق تحف به الجبال فى حلل من الأزهار -والرياحين ، وكأنك فى سفينة حين تنظر إلى البحر منبسطاً بين يديك تضطرب حين تنظر إلى البحر منبسطاً بين يديك تضطرب أمواجه ، بيد أنك تشعر بأنس المقيم، ولذة النعيم ، والموسيقى تصدح فى ناحية ، فترسل أنغاما حلوة ، يحملها نسيم البحر ، ممزوجة بحفيف الأمواه والأشجار ، وهمس التناجى ،وابتسام الحسان ، كل ما حواليك هادئ باسم جميل ، يبعث فى نفسك عواطف هادئة جميلة.

المكان لطيف رشيق ،معد لنزهة الطبقة العالية من أهل مارسيليا ، يجدون فيه مشهدا يريح النظر ، وسكينة تجمع شتات النفس،وعيشا رغدا ، وقد خرجت من هاتين الزيارتين معتقداً أن فى مرسيليا تقى ،وفيها ذوقاً ،وما أحسن التقى مع الذوق.

على أنه فى مرسيليا غير الذوق والتقى أيضا ، ودعت بعض الأصحاب فى المحطة منتصف الليل، ثم ركبت سيارة إلى الفندق ، ولما دفعت الأجر رضخت للسائق رضيخة رآها قليلة. فصاح مغضبا : أهذه رضيخة سائق فى منتصف الليل، وقذف فى الأرض ما أعطيته .هنالك ثارت فى نفس حفيظة ،وخالصها هلع من شر هذا السواحلى المفتول العضل المخمور من نبيذ آخر الليل،وظن وقفتى الهادئة ،ونظراتى الساجية تحفزا للبطش ، فطار بسيارته لا يلوى ، وتركنى أقول فى نفسى :أليس خوف الناس من مظاهر القوة وخنوعهم لها يكون فى كثير من الأحيان هكذا وهما قائماً على ظواهر خادعة من ورائها ضعف وخور؟.

الديوان الصغير



مفكرة إفريقى ميت

النص : تشوما نوكولو **الترجمة : غادة نبيل**

١ يونيو ٢٠٠٠

عندما صحوت كنت أتصبب عرقاً كما لو كنت فى المزرعة . لكن لم يكن العمل الشاق هو الذى بلل سريرى هكذا . لقد كان عرق الخوف. كنت أشعر كما لو أن ساحرة سكبت الخوف بداخلى.

لو رأيتم كيف كان صدرى يخفق.

وأنا أفتح بابى على مجمعى السكنى وأعلق ملاءاتى فى المكان الذى يجعل منها ستارتى حاولت أن أتذكر رعبى الخاص والمحدد . لم أستطع ولم أفاجأ بذلك. إن مشكلاتى ليست من النوع الذى يمكن أن تحكيه لطبيب ساحر فيضحك قبل أن يبدأ العلاج.

الأعمال الفنية فى الديوان : رؤوس طينية تمثل فنون حضارة إيفى ، نيجيريا

إن مشكلاتى من النوع الذى يسمعه أشجع طبيب ساحر حتى منتصفها ويهرب . ألم أقابل كاتشيست هكذا قبل عيد الفصح وقال إنه لن يضيع وقتاً بالصلاة وأن مشكلاتى قد تجاوزت ما يمكن للصلاة والصوم أن يحلاه ؟.فقط النكبات ليست بالشئ الذى يتباهى به الناس. وعدا هذا فى «إيكيرى أوتى» هذه لا منافس لى فى هذا والذى لم أعرفه فى ذلك الوقت أن مأزقاً أكبر كان قادماً من «وارى».

لم يكن الوقت فجراً تماما بعد لكن– كما يقول أهالى «إيكيرى أوتى» –الفاشل هو من يحتاج ضوء الشمس لتجميع عدة الحقل التى تخصه .ارتديت ملابسى ،لا أحد يستطيع أن يصف منزلى بعد الآن بأنه كوخ من الطين بعدما كسوته بطبقة من الرمل والأسمنت (عدا أولئك الذين تجرى الغيرة فى عروقهم ويعتقدون أنها دم. هؤلاء السحرة لا يملكون أن ينسوا أبداً ما هو موجود أسفل اللاصق).

وعلى أعمدة محاصيل الحصاد فى مقابل سريرى المصنوع من الطوب الطفلى كانت بقايا حصادى لعام ١٩٩٩ ..فقط ثلاث جذريات من حبات البطاطا الحلوة وبمجرد أن ملآت تلك البطاطات عينى ملأ الصمت أذنىّ كذلك.

لم تكن «مآبل» تلعن فرنها من مطبخها . وولداى آبل وكالاماتس لم يكونا ، يتعاركان حول من نسى أن يربط العنزة أمس. كنت وحدى فى مجمعى السكنى ومعى فقط ثلاث حبات من البطاطا الحلوة!.

وقتها تذكرت خوفى الخاص والمحدد وصار صدرى هادئا .لأن أهالى« إيكيرى» أيضا يقولون: عندما تتعرف على المرض الذى سيقتلك فإن الأطباء سيتوقفون عن التهام أموالك.

تذكرت اسم الخوف الذى ملأنى مثل بول ساحرة وعندما يكون للداء أسم فعلى الأقل يستطيع المرء أن يقدم له التحية بأدب.

كان اسم الداء الجوع.

كان باقياً أسبوعان على الحصاد وجرى العرف أنه ما من حبة بطاطا يجب أن يتم إزعاجها فى الحقول قبل يوم عيد البطاطا



الجديد ،كان الوضع خطيراً .

أطلقت عنزتى العشار لكى ترعى .من المفترض أن تضع هذه العنزة الكسول بعد أسبوع.

وكما تخوفت فإن بعض البلهاء من الشباب بدلاء فارغة كانوا يتسكعون عند بابى. كانوا قد أرسلوهم إلى النهر ولكنهم كانوا هنا الآن يغنون أغانيهم السخيفة.ياللهراء! عدت إلى المطبخ . طبخت حساء الخضر المركز بستة بوصات من البطاطا وملء ذراع من «الخضروات» من حاجز النباتات القائم بين مجمعى ومجمع «ماكارو».

لم أذهب إلى المزرعة اليوم.

بعد ذلك شاهدت التلفزيون الأبيض والأسود الذى ورثته عن أبى ، ولمنع الصورة من الاهتزاز مثل أفكارمعتوه لابد، أن أضربه بين الفينة والأخرى .هكذا. قضيت اليوم الأول بعيداً عن المزرعة هذا العام : أضرب جهاز تلفزيون بلغ الثلاثين عاماً فى كوخ من الطين كما لو كنت أطالع البرامج من الجانب الآخر من الكون.

يفترض أن أكره «ميم جوماى» لو لم أكن أنا«ميم جوماى».

٢ يونيو

أيقظنى صوت «نوزواى» حدقت فى بطاطاتى . أربعة عشر يوماً قبل حصاد القرية وكل ما هو متبق بطاطتان وثلاث عشر بوصة .منذ يومين فقط كان جدار حصادى عامرا بالبطاطا الحلوة ثم وقعت مصيبتى التى هددتنى بالمجاعة. «مآبل » زوجتى على مدى خمسة وعشرين عاما هجرتنى من أجل شخص يعالج المطاط بالكبريت فى«وارى» .أخذت عشر حبات بطاطا عن كل ابن كانت قد أنجبته لى أما أنا فتعاركت مع حسابها إذ أن ثلاثة من الأولاد الذين طالبت بالتعويض احتكاماً لإنجابها لهم كانوا قد توفوا قبل أن يبدأوا الفلاحة بينما الآخران «آبل» و«كالاماتس» عادة ما أعطيانى سبباً لأتمنى لو كانوا ماتوا هم أيضا .

لقد كان عدم إحساس «مآبل» بالخزى وليست طريقتها فى الحساب هو ما انتصر فى الجدل. لو كنتم تأتون لمشاهدتها أول



أمس عندما استيقظتُ ومعى ثلاث بطاطات .تجمعت كل قرية «إيبرى أوتى» وتحلقت حولى رفيقاتها من النساء كالجوارح وأتى الرجال أيضا ولكن على حين أيدت النسوة« مآبل» بصب الشتائم علىّ ظل الرجال صامتين مثل أقارب معتوه يشعرون بالحرج .لو رأيتموها وهى تجذب حقائى(١) من علىّ وأنا بداخله وهى تصيح أننى بدلا من أن أجعلها السيدة جوماى فقد جعلتها السيدة «رأس العذاب».

نعم أنا فقير لكنى أكره الفضيحة .كان لابد أن أتنازل عن بطاطاتى .فى تلك الأمسية وبينما كنت فى اجتماع بالقرية أتظاهر بأننى لم أهتز بكل هذا على الإطلاق، أخذ «آبل» جهاز الترانزستور الخاص بى ومروحتى وتبع أمه، أما« كالاماتس» فقد ترك المنزل قبل ذلك بأسبوع فى واحدة أخرى من عمليات نصبه التى تستهدف الثراء أغبياء!.

لو كانت تلك الساحرة الشريرة تركتنى منذ خمسة عشر عاماً أقسم أننى كنت سأتزوج من جديد بنهاية الأسبوع.

نعم أقسم ولكن بالنظر إلى المهور الحالية فإن هناك أشياء معينة لا يجب أن تحدث لرجل يبلغ التاسعة والأربعين من العمر بدأت شعيرات أنفه تتحول إلى البياض.

مضغت السواك وأنا أفكر ما إذا كان ميم جوماى قد مات منذ أعوام ونسى جسده فى«إيكيرى» بالخطأ . تسللت إلى مجمعى السكنى لأفك رباط العنزة «نوازواى» كان قد فاز .متظاهراً بأنه لم يرنى ، ابتلع كعكاته المصنوعة من الفاصوليا وهو يحرك عنقه مثل أصلة عاصرة تعتصر أرنباً.

قرفصت فى مطبخ «مآبل» وقمت بتسخين المتبقى من حساء الخضر. أكلت بعضه وعدت إلى سريرى وأنا أفتقد جهاز الترانزستور خاصتى بشدة وأتفحص بطاطاتى مثلما يفحص الأطباء السحرة وضع حبوب الكولا على أبسطتهم الإلهية.

كيف سأتمكن من أن أجعلها تكفينى الأسبوعين القادمين حتى موعد الحصاد؟.

نضج النهار وشاخ أمام عينى .رقدت



على سريرى .ثم جلست ثم رقدت مرة أخرى ثم اعتدلت .هكذا قضيت ذلك النهار المخزى فى البيت وبدون جهاز الراديو لم أكن قادراً على إسكات سخرية البنات الضاحكات اللواتى غيرن طريقهن إلى حيث النهر لكى يعبرن بنافذتى .ساحرات شريرات.

فى المساء أكلت آخر حساء خضر وربطت العنزة. لم أترك مجمعى طوال اليوم.

ما هو الوجه الذى يجب علىّ أن أضعه لأنظر إلى القرويين فى اليوم التالى على اليوم التالى لليوم التالى على هجرة أسرتى لى من أجل شخص يعالج المطاط بالكبريت؟

غداً يجب أن يكون أفضل ،.قرية بلا جدوى مثل« إيكيرى أوتى» كان يجب لها أن تعثر على نميمة جديدة عن هذا.

بعد ذلك حاولت أن أجد شيئا يستحق المشاهدة فى التلفزيون ولكن حيث أن كل الأزرار كانت تكسرت فقد استخدمت زرديتى للبحث عن قناة لكن الجميع كانوا اتفقوا اليوم على أن يكونوا أغبياء . نمت مبكراً.

٣ يونيو

فى الساعة الثانية صباحا بدأت عنزتى تثغو وعاود صدرى الذى لا لزوم له خشخشاته هناك سببان مختزلان وقويان لماذا لا يجب أن يقترب اللصوص من عنزتى .أولا أنها الوحيدة التى أملكها وثانيا أنها عشار جداً . وإذا ما انتظروا أسبوعا آخر يمكنهم أن يسرقوها دون تدميرى تماماً. لكن لو كان للقضيب أن يسمع صوت العقل هل كانوا سيسمونه قضيباً؟.

كان الظلام فى الخارج حالكاً وأى من هذه الأسباب لم يكن قويا بما يكفى بالنسبة لى كى أخاطر بحياتى من أجل حيوان .وهكذا أخذت بندقيتى ذات الماسورتين الخاصة بأبى الراحل وصوبتها إلى القمر . هشمت صمت تلك الليلة.

إذا لم يكن بمقدورى أن أنام لماذا يجب أن ينام أى شخص آخر؟.

بعد ذلك حتى عنزتى سكتت غير أن قلبى كان يخشخش كما لو كانت



الرصاصة اخترقت جسمي.

أقسم أنه ما لم تظل عنزتي مربوطة عند جيراني(٢) بحلول الصباح سوف آخذ بندقيتي وخراطيشي الأربعة الأخيرة إلى ساحة القرية وليكن ما يكون .الناس يجب أن يدركوا أن قضيباً صغيراً لا يجب أن يكون سبباً لخطف زوجة رجل آخر.

بحلول الصباح كان الذباب من حفرة المرحاض(٣) قد استولى على فتحتى أنف عنزتي . ياللسحر الأسود. على إحدى الساقين كان أثر لدغة ثعبان.

منظر حالة الحمل الضخمة الميتة تلك صعقني أكثر من هجر زوجتي . أسرعت إلى المرحاض وجلست أفكر في المعاناة التي عانيتها في حياتي . ياللهراء . إذا كانوا يريدون لي أن أُدفن مع كل مشاكلي سيحتاجون لتابوت كبير جداً.

لقد مضت شهور منذ أكلت لحماً من أي نوع بينما الآن أمامي ذلك الجبل من اللحم والذي كنت قد أعددت خططاً هائلة لاستخدامه .الله عنده قضايا كثيرة ليحكم فيها في السماء! لماذا لم ينتظر الثعبان لتلد عنزتي وليبتلع جدياً صغيراً بالكامل لو أراد؟.

ولكن إذا كان الشيطان سيتخلى عن الشر فمن يمكن أن يقوم بتوظيفه ؟ لتأتوا وتروا كل اللعاب الذي ابتلعته وأنا أقطع العنزة.. ياللثعابين والشياطين! لو قلت لكم كانت هناك أربعة جديان بداخلها ما كنتم لتصدقوني «أربعة».

دفنت جزءا من الجثة في مجمعي السكني وبحلول الليل أنزلت الباقي في حفرة المرحاض. ما حدث قد حدث ولو كان الأب القس سينطق بكل موعظة يمكن أن يمتلئ بها فمه فمن المستحيل أن ينتهي القداس.

ذهبت إلى المزرعة اليوم. ما زالوا يتغامزون وهم ينظرون إلي لكن هذا شأنهم .

لست أول رجل يفقد زوجته ولن أكون الأخير ،فقط لو كانت زوجتي محترمة إلى حد أن تخرج في أثر مالك أرض أو شئ من هذا القبيل ولكنه رجل من الشارع يعالج المطاط بالكبريت!.



٤يونيو

لم يسبق أن فحصت البطاطات من قبل مثلما أفعل الآن . بطاطتان وثماني بوصات .قطعت وسلقت أربع بوصات .أليست ندرة لحم الغزال هي ما جعلت الغزال ذلك الطعام المميز الذي صاره؟.

آه.. من كان يتصور أن يأتي اليوم الذي يسلق فيه ميم جوامای البطاطا بالبوصة!

وصل موظف الحكومة المحلية بينما كنت أستعد لمغادرة المكان إلى المزرعة .كان يريد ضريبة المجلس.. قلت له إن المال شئ لم تعرفه جيوبى منذ أشهر وقال هو أنه ربما كانت هناك مؤامرة تحاك لأن كل من فى القرية كان يقول الشئ ذاته . وقلت له إن القمر الذى رآه الجميع لم يكن سراباً لكنه قال إنه لن يخرج من بيتى بدون ضريبته وعندها أخذت أدواتى وطلبت منه أن يرعى منزلى.

وهنا قال أنه سيأخذ بطاطاتى . نظرت إليها وإلى البوصات الخمس من البطاطا الباقية وبدأ صدرى يخشخش ثانية.

ياللثعابين السامة والشياطين .قلت له أنه إذا لم يترك بيتى قبل أن أفتح عينى فإن أحدا ممن سيرون العضات التى على جسده لن يصدق أننى لا أمتلك كلباً.

ورد على بأنه حاز اسمه« الرنان» لأنه لم يحدث أن عاد خائبا فكان أن أخبرته أنه سريعا ما سيعرف الفرق بين الذبابة التى تبعت القمامة إلى الذروة وتلك التى تبعت الجثة فى القبر وهنا أخرج صفارة ولوح بها فى وجهى قائلا إننى أعبث بفكرة القبض علىّ واحتجازى وأن نفخة واحدة فى صفارته سوف تأتى بالشرطة، لكن صوته هو أيضا كان يرتعش.

لهذا قلت له أن هذا لا يهمنى ولكن عليه أن يصفر أيضا طلبا لنعش . وبينما كان يتأهب للمغادرة ظل يصرخ أننا معشر القرويين أغبياء ،نحن الذين لا ندفع الضرائب ونظل نصرخ فى طلب مياه المواسير فقلت له إن رحم أية قروية يحتوى على أحلام جميلة كثيرة مجهضة ثم أغلقت بابى وذهبت إلى المزرعة.

إن الموظف وحكومته هم الأغبياء .كما



لو كان هناك أى منطق فى البحث عن شئ فى جيب شخص يبحث بدوره عن شئ.

٥ يونيو

الشائعات تروج أغنية جديدة عنى .كلما عبرت يتوقفون عن الغناء ويبدأون فى الضحك .

على أية حال هذا شأنهم .استخرجت بعض النبيذ من النخلة الوحيدة فى مزرعتى .كان عيد ميلادى. إذا لم أكن أستطيع أن آكل كإنسان على الأقل أستطيع أن أشرب الخمر كإنسان.

فاجأنى «إيكيتى» أثناء الشرب وقبل أن أتملص كان قد دخل ببوق شرابه وفيما جلس «إيكيتى» يعتصر نبيذى رحت أفكرفى «مآبل» .كل تلك السنوات كنت أمشى مختالا لأننى تزوجت من إمرأة لايبدو عليها عمرها . زوجات رفاقى كن يبدين كأمهاتهم بينما زوجتى كانت تبدو كإبنتى واعتقدت أننى دفعت ثمن امتيازى هذا عندما بدأت أسمع الشائعات التى تربط «مآبل» بعضو المجلس وبالجزار وبصاحب وكالة البريد . لكن كان عليها آخر الأمر أن تهرّب مع شخص يعالج المطاط بالكبريت!.

أيها الشيطان امنحنى بعض المال .أليس الأفضل أن تكون لك زوجة تبدو مثل أمك؟ كنت أفكر كل هذه الأفكار الشريرة التى تجعد وجه الرجل وتجعله أشبه بكيس الصفن لدى كهل عندما نهض «إيكيتى» ليمشى . عند الباب قال لى« أنا أسف على ما حدث لعنزتك» قضيت ساعة بعد أن ذهب «الفلحوس» محاولا أن أفهم كلماته .آسف على عنزتى!.

هجرتنى زوجتى ولم يأت للمواساة .هجرنى أولادى ولم يأت . ثم تموت عنزتى ويظهر. كيف عرف بموضوع عنزتى بادئ ذى بدء.

٦ يونيو

ذهبت إلى الكنيسة بلا إفطار . لا أعرف أى نوع من الشياطين دفعنى لأقوم بدفنة أبى الثانية العام الماضى.

كان أسبوع الأعياد آخر مرة كان فيها بعض المال فى جيبى وكان كله سلفة .ما زال أمامى كل من «فاسمين» و«كيمبرى» لأسدد لهما .ما الذى جعلنى أفقد وزنى



هكذا إن لم تكن إهاناتهم؟.

في الأسبوع الماضى أمسك طفل فى السابعة بقماطى(٤) فى اجتماع القرية وهو يولول أن أباه يحتاج ماله ليدفع مصروفات مدرسته.

كنت دائخا من الجوع عندما وصلت إلى الكنيسة لكنى لم أتمكن من البقاء حتى النهاية. ألقى القس «أيو» خطبة عن الفرنسيين المنافقين كالعادة لكن فى كل مرة كان ينطق بمأثرته الشهيرة : «الويل لكم» كان الجميع يحدجوننى.

ولأننى رأيت كل عائلة «منتو» فى الكنيسة ، نزعت قرعاً من منزلهم وأنا أعبر سياج النباتات. الجريمة الدنيئة كانت مؤامرة بين سكين تستخدم كمحطب يملكها السارق (أنا) وبين ساقىّ المقوستين.كانا قد تقوسا حتى قبل أن أصل إلى القرع وقبل أن أدرى كان القرع فى حوالى.

على الفور أحسست بالندم. لكن ما حدث قد حدث.

فى كل حياتى بعدما كبرت لم آخذ أبداً شيئاً يخص إنسانا آخر إلا بالطلب منه ،هل يمكن أن يجعلنى الجوع أبداً الآن أم أن المجرم بداخلى كان نائما. فى الليل طبخت القرعة بقليل من البطاطا. لم تكن حتى حلوة.

٧ يونيو

رأى «شنتس» أصلة عاصرة فى مزرعته اليوم وبدلاً من أن يصرخ طالبا النجدة مثل رجل «إيكيرى» حصيف صارع الثعبان كمعتوه .الغبى الطماع . كل ما فعله اليوم كان شى الثعبان .كان كتفه ينزف لكنه لم يأبه طالما احتفظ لنفسه بذلك اللحم.

سلخت الشمس جلدى ببطء بينما شوت المرارة أحشائى .هل كنت مغفلا منذ سنوات لأننى لم أتجه إلى«وارى» بشهادتى المدرسية؟.

لكن هذا ما فعله إدام بالضبط. ثمان وعشرون سنة فى الوزارة قبل أن تتم إحالته للمعاش وهو يبدو فى نحافة نخلة وفى مثل سوادها . الممتلكات البائسة التى حصلها بعد عقود من الوظيفة دخلت فى عربة نصف نقل.وقضى عامين آخرين فى السفر إلى« وارى» لملاحقة مستحقاته كما



أنه تعلم طرقا غبية فى المدينة كذلك.

عندما بلغه أن إكراميته كانت جاهزة اقترض مبلغا من المال ونظم حفلة حمقاء .

ما زلت أذكر الكراهية فى عينى ابنته وهى تقدم الأرز واللحم الذى نادراً ما يأكلونه أنفسهم فى المنزل. وقد مات فى حادثة وهو فى طريقه عائدا بإكراميته .عاد السامرى الصالح النصاب بجثته إلى ساحة القرية وهو ينكر أنه وجد أى مال مع« إدام».

بعد ذلك قابلت «نوازواى» على طريق «كاتاى» وقد ظل ينظر يميناً ويساراً وقرب رأسه الشمامية الشكل من أذنى . قال إن ما سمعه بطريق الخطأ فى السوق كان من المثير للاشمئزاز إلى الحد الذى لا يمكنه أبدا أن يكرره بنفسه ما لم يكن المرء أشبه بالأقارب وقلت له أن يقول ما عنده ويتركنى أمضى لحالى .وهكذا أخبرنى كيف أن الناس يقولون إن الجوع هو ما جعلنى آكل عنزتى المتحللة.

قلت له إن عنزتى ماتت بسم ثعبان ولو كانت الشائعات صحيحة لكنت أنا نفسى ميت . وقال إنها إشاعة حمقاء لكنه يرددها بالضبط كما سمعها.

كان من حسن حظ«نوازواى» أن سكينى الذى استخدمه كمحطب كان البيت .كنت أعرف أن مستمعه القادم سوف يعرف كيف يقول الناس أن العنزة المتحللة التى أكلها ميم جوماى ماتت« بسم ثعبان» .وأدركت فحوى الأغنيات الساخرة الجديدة وسبب الضحكات التى كانت تنفجر من وراء ظهرى . ظللت ألعن « نوازواى» طوال الطريق إلى المنزل.

٨ يونيو

المتبقى حبة بطاطا واحدة وما زال أمامى سبعة أيام .الله سوف يساعد من يحبهم. غادرت المزرعة مبكراً لكى أحضر دفنة ابن عمى« جورنى مان» وبالنسبة لكونها جنازة رجل فقير كان الحضور جيداً على الرغم من أن الأغلبية جاءت لإبداء إعجابها بالتابوت.

مات«جورنى مان» فى ديسمبر الماضى ولكن لأن له ابناً فى روما رفض كبراؤنا



الطماعون دفنه. «ادفنوه، ادفنوه «ظل رفاق مرحلته العمرية يضغطون لكن الكبار كانوا يريدون الحصول على ليراث إيطالية وكانوا يعرفون أنه متى تم وضع «جورني مان» في المقبرة لن يستطيعوا اعتصار أي شئ من إبنه وهكذا تركوه في مستودع الجثث.

تخيلوا! طيلة خمسة أشهر، رجل ما من الجوع ظل نائما وهو عريان في سكن للجثث حيث الايجار أغلى حتى من الايجار في فنادق «واري».

الكبار تقبلوا الآن أن ابن» جورني مان» الذي هجر أباه في حياته قد هجره أيضا في موته .لا أعرف كيف استطاعوا تسوية فاتورة مستودع الموتى .كل ما أعرفه أنني لاأدفع أية ضريبة . تمت تسجية جثمان الرجل الميت في تابوت «إيفيتو» .بعض الناس كانوا يسمون «إيفيتو» رجلاً شريراً لكن هذه كانت كذبة عارية .الحقيقة أن شره كان قد تخمر بل إن السحرة المعروفين كانوا حريصين ألا يتشاجروا مع» إيفيتو» خوفاً من الإصابة بالبواسير إذ كانت هذه وسيلته المفضلة في الانتقام من أعدائه.

كان «إيفيتو» يعرف أنه بلا أصدقاء كما كان يعرف ولع أهالي «إيكيري» بالانتقام من أفعال الناس السيئة في جثتهم ولهذا اشترى لنفسه تابوتاً باهظ الثمن احتفظ به أسفل سريره كما أنه حفر وحصّص قبرا ضحلا في فناء داره وكان يحسب أنه مهما كانت أية مشاعر بغيضة يكنها جيرانه له إلا أنه عندما تبدأ رائحة جثته تفوح فإن أحدا ما سوف يدفعه في تابوته ويدفع به داخل قبره.

لسوء الحظ دهسته عربة نصف نقل في» إيبوتي» وتقرحت جثته على مدى أسبوع لكن» إيبوتي» بعيدة عن» إيكيري أوتي» ولم يهتم أحد بإحضاره إلى تابوته في موطنه.

أما عن «جورني مان» فلم يكن أحد على استعداد لدفع كوبو(٥) واحد لتابوته بعد الهزيمة في موقعه الليرة.

قاد الكبار مسيرة دفن تابوت «إيفيتو» وهكذا أيضا رقد جوزي مان في تابوت أغلى من منزله. عندما شاهدت جثمان «جورني مان» ارتعدت وأدركت لماذا يقولون في المثل أن الدجاجة يجب أن تنتبه إلى ما



حدث لقريباتها الكبيرات فى عيد الميلاد لأن مصيرها سيكون هكذا ، وأدركت كذلك لماذا يقولون أن ما يأكله المرء هو ما يحمله إلى قبره.

أولاد «جورنى مان» ظلوا يتناقلون القصة أن الإيدز قتل أباهم وما أود معرفته هو من أين التقط« جورنى مان» الايدز ؟هل يصاب الناس بالإيدز نتيجة أكل قشر الشمام؟.

إنهم يحاولوت الظهور بمظهر من يريد التقاط صورة له وهو مصاب بمرض الناس ذات الأهمية كما لو كان التعرف على جثة شخص مات بالجوع أمر صعب.

٩ يونيو

بالأمس عشت على الفواكه كى أتمكن من أكل البطاطا اليوم. عندما تكون قد جربت الاثنين سوف تلحظ الفارق بين التوت الأسود والطعام . قمت بقياس بوصتين من البطاطا وسلقتها مع ملء وعاء صغير من السبانخ .مصيدتى المنصوبة فارغة ولهذا قمت بتحمير بعض من حشرة الأرضة الجافة فى زيت النخيل.

إن مصيدتى تلك كانت أحجية .آخر مرة التقطت حيواناً عن طريقها كان فى الأسبوع الذى سبق بدء قيام« شنتس» بفلاحة الأرض بين النهر وبين أرضى، ومهما كنت مبكراً فى الوصول إلى المزرعة إلا أنه دائما ما يكون سبقنى.

سوف أضبطه فى يوم ما وكما يقول أهالى« إيكيرى» :الحبة التى تخربشها الدجاجة من أعلى ليست مقدورة لمعدة الماعز».

أما عن موضوع الماعز فلا يمكن أن يحصل المرء على النوم إذ أننى فى كل مرة أغلق عينى أرى ذباباً يدخل زرافات فى فتحات الأنف الحمراء لعنزتى .لكن على أية حال لماذا قطعت تلك العنزة؟.

ببساطة كان اليأس هو السبب .انظروا إلى أين وصل بى الأمر كله؟.

كنت قد دفنت أجنة الماعز وأحشاءها فوراً لكننى أيضا كنت قد أطعمت كلب «ماكرو» جزءا منها خلسة.

ذلك المهجن الطماع لم يكن قد أكل أبداً مثل ذلك المقدار من اللحم فى حياته .



واضطررت لإشعال بعض الأخشاب لكى أدفعه خارج مجمعى السكنى.

بحلول المساء عندما رجعت من المزرعة لم يكن ثمة أثر له .كانت الساعة السادسة عندما بدأت «كاروو» تنتحب : لو رأيتم صدرى يخشخش . سمحت بمرور ساعة كاملة وعندما هدأت الأمور سألت« كاروو» عند سياج النباتات : أين كلبك؟.

قالت إنه مات وبدأت تنتحب مرة أخرى.

كان ذلك عندما رميت بقية عنزتى فى حفرة المرحاض . إن الدموع التى ذرفتها وأنا أدفن عنزتيلا تستحق الذكر مقارنة بتلك التى زرفتها وأنا أدفن أجزاء عنزتى.

على الأقل لم أبك عندما أخبرتنى« ماكارو» أن كلبهما قد دهسته سيارة أجرة «جونى باس ستوب» ما آثار حيرتها هو لماذا كان الكلب أكثر كسلاً من أن يفلت من سيارة قديمة مهدمة بلغت عامها الثلاثين .استقبلت ذلك الخبر الخاص المحدد كرجل .ألم يكن حريا بى أن آكل لحم عنزتى كرجل أيضا وليكن ما يكون؟.

الآن سمعتى منهارة بسبب شئ لم أذقه.

١٠ يونيو

مازال باقيا خمسة أيام على الحصاد .تلاشى النوم من عينى قبل الرابعة فجراً .حاولت وحاولت لكن عينى كانت تحملق مثل عينى أرملة فى الحداد . رقدت فى مكانى أعيد حساب آخر أحد عشر بوصة .إذا كانت ثمة موهبة لم نناقشها عندما خلقنى الله فهى موهبة الصوم. إن فكرة يوم كامل بدون طعام تصيبنى بالصداع خاصة عندما أتخيل الرجل الذى يعالج المطاط بالكبريت يأكل بطاطاتى ويعاشر زوجتى.

وجها لوجه مع المجاعة لابد من الاعتراف أن الجوع وحش قبيح.

لاحظت أن «ماكسويل أوتمبرى» يفقد الوزن بشكل هائل .وحتى «أوتودو» ضبط مؤخرا يطارد دجاجة «أوبا» بالنبال الذى يخص ابنه.

الرجل الهزؤ .لكن أهالى «إيكيرى أوتى» ظلوا يقولون منذ سنوات- وهذه حقيقة -إن سرطان البحر فى الوعاء لا



يجد أى عزاء فى أن عائلته تسلق معه.

لكنى جائع.

أخذت بعض بذور البيريم وغادرت المنزل .فى مـــثل هذا الوقت المبكر أمكننى أن أسمع قوقأة دجاج فى منزل «ما اتيبانج» المظلم .لاغرو أن الناس يسمونها الساحرة.

وأنا أقترب من مصيدتى سمعت ذلك الصوت الجميل لحيوان يبكى. بدأ صدرى يخشخش مرة أخرى لكن بسبب قوى هذه المرة .كان هناك فأر مزارع فى مصيدتى.

إن لم يكن بمقدورى أن أقول الحقيقة فى مفكرتى لا أعلم أين يمكننى أن أسردها .

كنت أرتعد وأبتلع ريقى وأنا أنظر إلى الفأر . لو رأيتم كم كانت عيناه تلمعان ! فى ضوء بطاريتى ،كان شارباه يرقصان كما لو كان يتحمص فى آنيتى ذات الفحم الساخن.

إن فأر المزارع هو فأر المزارع لكن ربما لأننى لم آكل آية لحوم منذ أشهر كان يبدو كبيرا مثل ذكر الظبى. مددت يدى فى حقيبتى لنزع أحشائه ولمست أصابعى بذور البيريم .هناك أنواع عديدة من الجحيم عدا تلك التى تنتظر الخاطئين فى القبر.

لو رأيتم نوع المعركة التى خضتها مع نفسى.

ركعت فى الظلام قبل الافطار بسكينى فى يد وبذور البيريم فى اليد الأخرى .كانت معدتى تصرخ أننى يجب أن أذبح الفأر وأفطر وكان رأسى يقول لى أن أقوم بتسميم الفأر ولص المصيدة وآخر الأمر حسمت الفطرة السليمة الخلاف.

لو أننى غادرت منزلى فى الرابعة فجراً لأعاود فحص مصيدتى سيدعونى الناس ساحراً فوق كل مشاكلى، ولو كنت أريد أن آكل لحماً من مصيدتى مرة أخرى كان على أن أحل مشكلة اللص بشكل حاسم فى ذلك الصباح نفسه.

وهكذا رميت ببذور البيريم . وبدأ فأر المزارع يمضغ ثم حدثت له تشنجات ومات. بعض الحيوانات ملعونة .نفس العنق الطويل الذى كان ينزل به فى الحساء هو الذى وضعه فى النار . نهضت وغادرت فوراً. لقد بكيت على إمرأة وبكيت على ماعز



. لن أبكى على فأر أيضا.

عدت أدراجى إلى البيت وسلقت أربع بوصات من الأحد عشر بوصة من البطاطا المتبقية ،وذهبت إلى المزرعة كالعادة فوجدت أن الفأر قد تمت إزالته . لم أكن أعرف أنه من الممكن أن تغنى بعد أن تكون قد تعرضت للسرقة.

١١ يونيو

فى المزرعة لاحظت خطا من اثار الأرضة يأتى من تلة نمل جديدة وسكبت بعضا من الكيروسين عليه. لم أعمل كثيرا لكنى سرعان ما تعبت وفى أسوأ لحظات ارتفاع حرارة الجو جلست فى الظل وأنا أحلم بفأر مزارع مشوى.

فى المساء سلقت وأكلت أربع بوصات من البطاطا ثم ارتديت طقم الدانتيل الذى كنت أعددته للدفن الثانى لأبى وذهبت إلى منزل «شنتس» .كانت زوجته تعد البيض الذى فقس سألتها:«أين زوجك؟ ». وقالت أنه ذهب إلى الصيدلى لشراء دواء للاسهال فسألتها متعاطفا «حقا»؟ وأسرت إلىّ أنه منذ العصر وكل من فى البيت يتبرزون كدجاج الحقول.

ألاترون شر البشر؟ هؤلاء لديهم دجاج فى المنزل ويأكلون البيض كل يوم لكنهم لا يتركون لى فئرانى «هذا أمر سئ جدا» .قلت لها.

«قولى له أنه فى المرة القادمة عندما يأخذ لحماً من مصيدتى سوف يكون سماً حقيقياً وليس بذور البيريم».

وسقط فك المرأة إلى أسفل مما فضح حقيقة فعلتهما بينما عدت إلى بيتى وأنا أفكر أن التضحية بفأرى هكذا قد أصبحت تستحق.

١٢ يونيو

حقا أنا لا أعرف كيف دخلت محل« باريكا» فى طريق عودتى من المزرعة هذا المساء.

كان ملصق اعتراه اللون الرمادى خلف أغنى رجال« إيكيرى» ينصح« لا سلفيات اليوم جرب غداً». «ابتسم بمحبة لى».

« لم نرك منذ زمن طويل يا رئيس جوماى».

بالنسبة لباريكا كل مستهلك رئيس .



قلت له إن الناس لا يقومون بالتعزية بأياد فارغة وأن فراغ يدى هو ما أبعدنى.

ضحك «باريكا» وأجاب بمثله الخاص: «حقا يا «جوماى» ولكن كل ماهو ضرورى للتعزية فى موت عنزة هو سكين للسلخ».

توقفت .كان المثل مستخدما وإن لم يكن ملاءماً غير أن الصلة التعسة بينى وبين الماعز الميتة جعلتنى أفحص وجه التاجر الكهل بحثاً عن نبرات ماكرة مضمرة. وأدركت لماذا يقول سكان «إيكيرى» أنه فى وجود قزم قد يكون الانحناء إهانة حقيقية.

قررت أننى فى وضع لست أملك معه ترف الحساسية.

قلت :«جئت اليك طلبا لس .. سـ .. س. س.سلفة يومين «وأنا أضع كيساً من السميذ زنة ٢ كيلو جرام عند ماكينة الدفع وواصلت كلاً مى: « أنت تعلم جيداً أن أمامنا ثلاثة أيام قبل الحصاد وأننى قمت بزراعة بضعة مئات من شجيرات البطاطا».

أجابنى: «هل تذكر قصة السلحفاة والضبع» فسألته أية قصة تحديداً؟.

لم يعجبنى مسرى الحديث .لقد أتيت من أجل الطعام وليس من أجل القصص، لكن إن كان سماع حكاية هو ثمن الطعام فأنا كنت يائسا ومضطراً لدفعه.

بدأ «باريكا» يحكى وهو يسند رأسه على ملصق« لا سلفيات اليوم»:

«كان الضبع يطبخ حساء الخضر الذى اشتهر به .وكانت رائحته ساحرة إلى حد أن كل الحيوانات تجمعت حسداً لكن التى أكلته بفضل لسانها الحلو كانت السلحفاة.

ألا تذكر كيف؟ وعدت السلحفاة الضبع أن تعطيه ابنتها الجميلة ليتزوجها فى مقابل حسائه ،وكانت تلك صفقة لا تقاوم فى نظر الضبع الذى كانت رائحة فمه الكريهة قد جعلته عازبا شهيرا. وبعد ذلك بشهور عندما فسد الدين انعقدت المحكمة أمام الأسد وجاء الضبع يعرض قضيته .هل تتذكر دفاع السلحفاة ؟ «أيها الملك أعطانى الضبع حساءه وهو يعلم أنه لا ابنة لى وأنا مازلت بلا بنات لكن عندما يصبح لى بنات فمن المؤكد أن الضبع سوف يحصل على عروسه».

توقف «باريكا» هنا لكى يبيع بعض



الأرغفة .كان بعض النمامين ممن بدوا أكثر اهتماما بحكم الأسد من التسوق ينتظرون بصبر .تجولت في محله وعندما صرت قريباً من الباب دلفت منه إلى الخارج وليحتفظوا بالقصة.

اتجهت إلى مصيدتي لأجد فأر قصب يجاهد لكي يخرج منها .لم أكن أعرف .. ما بين عشائي وما بين نفسي -من منا كان يرتعد أكثر من الآخر .كان ظهر خرطومي هو الذي أجهز عليه.

لم أكن أعرف- ما بين العرق على فروته الخفيفة وما بين اللعاب في فمي- أي السائلين كان أكثر من الآخر

عدت إلى بيتي فوراً . لابد أنه كان جيواناً صغيراً لأنني أكلته دفعة واحدة وكان قد انتهى .

بل لابد أنه كان فأراً طفلا لأن العظام الوحيدة التي تبقت في آنيتي كانت مخالب . الجوع شئ فظيع . بمجرد أن بدأت آكل لم أستطع أن أتوقف . ابتلعت آخر ثلاث بوصات من البطاطا وفي نيتي أن أجعل الوجبة تمتد حتى الحصاد لكنني لم أستطع التوقف حتى انتهى كل الطعام .الأكل شئ جيد وكل من يختلف مع هذا الرأى فليفسح لي مكاناً لآكل.

١٣ يونيو

آه. كنت أعتقد أنني أعاني قبل الآن .اليوم كان بداية كابوسي الحاد المجرد.

من الصباح وحتى الخامسة كان لساني هو كل ما تحرك داخل فمي .ما زال أمامنا يومان على حصاد القرية لكن أواني طبخي كانت فارغة مثل فراغ عقل معتوه .لابد أن هذه القرية مكرسة للشيطان.

كم تبدو تقاليدها شريرة.

لماذا لا يستطيع رجل أن يقتلع حبة بطاطا قبل تقديم الأضحية الجماعية في عيد حصاد القرية؟.

عندما عدت من المزرعة عرجت لأصل إلى عضادة الحمام مثل عاجزعبر سياج النبات قال لي« نوازواي» أنه بينما كان« كالاماتس» يخدع الناس ذات اليمين وذات اليسار وما بينهما كان ابني الأكبر «آبل» يبعث بالمبعوثين من قبيلة ذلك الرجل الذي يخلط المطاط بالكبريت طلباً ليد فتاة



من«أوبياجا» للزواج . ظللت واقفا على قدمي رغم هذا.

بعد الاستحمام اكتشفت سحلية في إحدى أواني طبخي العقيمة .كانت قدماتت منذ أيام . رميتها ورأيت كيف يمكن أن أموت ميتة سحلية ، موت بلا إرث ..أظل راقداً في سريري أربعة أيام قبل أن يكتشفوني وحتى وقتها سيتم إلقائي في حفرة با صرخة أو حداد. غسلت آنيتي مكتئباً. يجب أن يكون موت الإنسان مختلفاً عن موت السحلية.

لاحظت أن منزلي بدأ يتراقص أمام عيني.

ارتديت ملابسي ببطء بعدما قررت أن عروس ابني لابد من عائلة «ايتونج» الكبيرة الثرية ذات الأبناء الذكور الثمانية وبلا ابنة واحدة . لم يكن قراراً سهلا ففي عام ١٩٨٩ عندما تمت عملية استئصال الزائدة الدودية لكالاماتس زارنا رئيس القبيلة «إيتونج» في المستشفى، ولكي يعطي انطباعا مؤثراً لدى الفلاحين الواقفين بجوار السرير عاتبني لعدم ذهابي إليه لأخذ مساهمته في دفع فواتير المستشفى .فيتلك الليلة ذاتها ذهبت إلى بيته أطلب ما عرضه فقال لي غدا .ذهبت إليه في بيته اليوم التالي وقال لي «غداً». قال لي«غداً» ثماني مرات قبل أن أسبه وأغادر.

لكن ألم يكن ذلك من عشر سنوات ؟منذ ذلك الحين ونحن نقوم بتحية بعضنا البعض ونأكل حبوب الكولا سوياً.

وصلت إلى مجمعي السكني قبل السادسة مساء وبقيت ساعتين منتظراً ، ورغم الرائحة الصادمة لحساء الأفانج المنبعثة من المطبخ لم تأت السيدة «إيتونج» بالعشاء إلى الردهة كالمعتاد إنما تناوب أفراد العائلة الاختفاء في المطبخ الذى هلوا منه فيما بعد بكوب ماء وسلاكه أسنان واحدة:

الرئيس «إيتونج» نفسه الذى كنت أقاسمه خزانة ملابس في الصف الخامس اختفى بلا خجل وعاد لينام أمامي .لم أغادر إلا بعد ما بدأ شخيره

لم أكن أنا من كتب رسالة يائسة إلى«أبل».



جلست أرقب يدى اليمنى تخربش أكثر المداهنات غباوة.

جلست أرقب جـوعى وهو يلتـهم إحساسى بالخزى . لا أعرف المعجزة التى حدثت لآبل فى أسبوعين ، لكن إذا كان يملك المال لكى يتزوج فتاة من«أوبياجا» فلابد أنه يملك المال لاطعام أبيه ليومين .لا أستطيع النوم كثيرا هذه الليلة .لو بعثت بالرسالة مع«جونى باس ستوب» أول شئ صباح الغد يمكننى أن أحصل على المال من «آبل» بحلول المساء.

١٤ يونيو

أنا أكثر ضعفاً من أن أنهض للزراعة. رقدت فى مكانى أحلم بالأكل وأستمع إلى أصوات فى الشارع تتحدث عن حفلات تنكرية ورقصات لعيد الحصاد.

أعدت قراءة رسالتى إلى ابنى .كانت تبدو رسالة كتبها رجل يرقد منبسطا على بطنه على الأرض. تصارع خجلى مع جوعى . حاولت تمزيق الرسالة لكنى كنت أشاهد الموقف مشدوهاً وأنا أقوم بثنى الورقة.

فى الظهيرة قمت بزيارة ابن عمى« كيمست». «نزيانيا» يأكل جيدا سواء أكان هناك حصاد منتظر أم لا .كل ما فى الأمر أن الشر قد سمم عقول الناس وفى أيامنا هذه الاخوة فقط هم من يأتون من نفس الرحم.

فقط لو يستمع الناس إلى صوت ذكرياتهم من حين لآخر.

ألم تنفجر فضيحة العقاقير المغشوشة منذ تسع سنوات فقط عندما أتت Cid المباحث الجنائية فى طلب «نزيانيا»؟ ألم يمكث مختبئا فى مرحاض حقلى قبل أن يبتلع أحدهم رشوة ليغلق القضية؟ .ورغم هذا فى آخر مرة ذكرت ذلك الجميل سألنى بوقاحة ماذا أصبحت عليه كلفة تأجير مرحاضى لكى يدفع لى مرة واحدة وأخيرة.

أياما كان فإن توقيت وصولى إلى بيت «نيزنيا» كان مثاليا .كانت يد الهاون قد توقفت للتوعن ذك البطاطا وكانت الرائحة المسيطرة لحساء «البانجا» تملأ الهواء.



إن أحـد تقـاليـد «إيكيـرى» التى لا يسـتطيع أحـد أن يشكو منهـا هى ذلك الترحيب الكريم الذى تستنهضه أوقات الوجبات .ففى «إيكيرى» يعد من الأكثر شرفا أن تقتر فى نصيب أولادك من الطعام على أن تنكر الطعام على زائر أوقعه حسن الحظ فى أن يدخل عليك أثناء تناول وجبة.

أمـا أنا فلم أدخل فـقط أثنـاء وجبـة بل وجدت ابن عمى كذلك فى مزاج مبتهج، إذ أننى سمعت صوت ضحكة «نيزانيا» المهولة وأنا أقرع الباب.

توقفت الضحكة كما لو كان صاحبها قد سقط فى نهر : بعد ذلك سأل طفل:

«من بالخارج»؟».

قلت: أنا عمكم جوماى .افتحوا الباب»

كان هناك بعض الهمس ثم وبصوت بدا مـشـدوداً بقـرار أنهـا لن تسـمح بأن يتم تقليص حصتها إلى النصف أجابت الطفلة «إنهم ليسوا هنا».

حركت مقبض الباب وطمأنتها «أنا عمك جوماى افتحى»

كنت قد بدأت أغضب ، فمن تكون تلك البذيئة لتقول لى أننى لا أستطيع دخول بيت أخى؟».

«افتحى قلت لك . دعينى أخبرك بشئ»

ثم حدث شئ غريب للصوت .بدأ طفوليا ثم انشرخ فى منتصف الجملة وانتهى بزئير غاضب:

«قلت أنهم غير موجودين .ما هذا؟ امش من هنا».

ترنحت للخلف وأنا أهتـز بالسم فى صوت «كيمست» تعثرت مبتعداً وأنا أحترق من الخجل.

كانت قدماى تأخذاننى ناحية موقف السيـارات لأبعث برسـالة الاسـتنجـاد إلى«آبل». رغم كل شئ فقد كان حسناً أن ألتقى بنوازواى فى الطريق . قرب فمه منى إلى الدرجة التى شممت فيها نفحة من حساء الفاصوليا المتخمر.

اللعنة .إن هذا العالم لمكان شرير .هذا فم« نوازواى» فواح برائحة الفاصوليا وهو رجل لم يقم بعمل صباح واحد طيلة عشر سنوات.

بدأ يتكلم وقال أنه لو لم نكن منحدرين



من نفس الأصول ،وقلت له أننى فى عجلة من أمرى فأخبرنى كيف انتهت مناقصة زواج «آبل» وتم سؤال المبعوثين ما إذا لم يكن حقيقياً أن أهل العريس فقراء إلى حد أنهم يعيشون على لحوم الحيوانات الميتة وتتم ملاحقتهم إلى بيتهم من جراء فضيحة ذلك .وأعتقد أن« نوازواى» كان سيقول أكثر لكننى كنت قد عضضته مرتين قبل أن يفعل وظل يجرى فى شارع «كاتاى» وهو يصرخ كما لو أنه كان يتحدث مع أسد وليس مع رجل.

بعد ذلك وقفت كنخلة ذبل طلعها .بداخلى ذلك الفراغ الذى يعترى رجلا كان قد دفن ابنين للتو . لم أكن بحاجة لعرافة لتقول لى أننى لن أراهم بعد ذلك أبدا . ولم أكن أنا الذى أمرت يدى أن تمزق الرسالة التى كنت كتبتها لآبل.

١٥ يونيو

يوم الحصاد . الفجر. حتى الموتى يمكنهم أن يشعروا بالإثارة التى تعيشها «إيكيرى» كنت من الضعف بحيث لم أستطع أن أرفع خرطوماً من على الأرض. بحلول المساء سوف أعود رجلا ميسوراً لكنى أولا كنت محتاجا لقوتى لكى أحصد البطاطا .لقد ترك لى أبى أربعة أشياء : المنزل ،البندقية ،التلفزيون واسم العائلة.

بينما كنت أدفع بجهاز تلفزيونى الأبيض والأسود فى حقيبة الجوت أحسست وكأننى أبيع حقى فى الميلاد.

فى منزل الكهربائى، كانت زوجته منشغلة بثنى مرتبة سريرهم وهى تحول بيتهم إلى محل.

«أوكيسسى» نفسه كان يجلس على مقعده العالى يقوم بلحام أحشاء جهاز ترانزستور صغير وحوله كانت كل تلك الأجهزة التى أجبرت الضوائق أصحابها على بيعها .كان قد نظفها الآن تمهيداً للحصاد ولليسر الموسمى لأهالى« إيكيرى».

وضعت تلفازى على المقعد الذى يعمل جالسا عليه . قلت لأوكيسسى الذى لم يكن رجلاً مهذباً تماما: «إنه يعمل مثل جهاز جديد . أنت تعلم أنهم لم يعودوا يصنعون أجهزة تلفزة قوية مثلما كانوا يصنعونها فى الماضى.فى البداية ظننت أنه قد رأى



شيئا مضحكاً فى لراديو الذى كان يقوم بإصلاحه لكن عندما استمر فى الضحك بعدما سقط منه الجهاز وانكسر أدركت أنه لن يعرض علىّ شراء التلفاز. عادت الخشخشة إلى قلبى وكان لعابى قد صار لثة مصمغة. عدت إلى بيتى.

كانت الشمس قد سطعت جدا ومبكرا قبل أن يسمح لى الخزى أن أدخل بيت« ماكارو». رجوت: «أرجوك هل يمكن أن أحصل على طبق لويكة»(٦).

لم أكن قد فعلت ذلك أبدا من قبل.

نظرت إلىّ .من عينيها عرفت أنها كانت خائفة من أن أبدأ البكاء فى حضورها. أسرعت إلى المطبخ لتأتى إلىّ ببعض الطعام وبمجرد أن وصلت إلى بيتى كنت فعلا أبكى من شدة الخزى.

كانت الساعة الثامنة قبل أن أتجهز للمزرعة . بمجرد أن خطوت خارج المنزل كانت أول دفعة من الفلاحين قد عادت.

كانوا يصرخون «أرضة» خنافس». ونظراً للطريقة التى كانوا يتقلبون بها كان يمكن أن نظن أن المشكلة فى بناطيلهم وليست فى بطاطاتهم .تركت سلة الحصاد التى أملكها تسقط وعدت إلى المزرعة بخرطوم فقط .كانت تلك أطول رحلاتى على الإطلاق.

قابلت المزيد من الفلاحين المنهارين الذين دخلوا فى حالة هيستيريا ورأيت بطاطا كثيرة مغطاة بالثقوب لكنى لم أنبس ببنت شفة. مرة أخرى كان ذلك الصمغ فى فمى.

عقلى كان متوهجا ..لكن هذا العالم شرير .ألم يعد يوجد شئ مثل الرحمة ؟ ألم يعد يوجد عدل ؟ ألم يعد يوجد مرتب عقب شهر شاق من العمل ؟ شئ مثل الحصاد بعد زرع فظيع فظيع؟.

كانت أول ثمرة بطاطا أحفر الأرض لأقتلعها مغطاة بالثقوب. كان بها ما يكفى من النشا ليجعل الثمرة صحية ولكن ليس بما يكفى لبيعها أو لأكلها.

لم أحفر لاستخرج واحدة أخرى.

كانت المشية عوداً إلى منزلى هى الأقصر ولكن مزدحمة بالذكريات. تذكرت اليوم الذى أسميت فيه ابنى الثانى .كنت قد كتبت لأبى أن يبعث باسم.

كان والذى فى« أوتاجبا أونو» وقتها يشغل وظيفة «مشهلاتى» فى وكالة بريد . فبعث برسالة يرد فيها: «كالاماتس».

قلبت الاسم من كل نواحيه .كالاماتس



وسألت «جونى باس ستوب» الذى كان قد قام بتسليم الرسالة فى سيارته الأجرة ما إذا كان ثمة اسم مثل كالاماتس بين أهالى «أوتاجيا أونو» وقال إن مهمته تنحصر فى توصيل الرسالة وليس ترجمتها. وهكذا أسميت ابنى الثانى كالاماتس. وعندما كان الناس يستفهمون منى عن الاسم كنت أقول لهم أن يحتفظوا بالسؤال إلى حين زيارة أبى كى يسألوه ألم يكن هكذا عندما أتى أبى ليزورنا فى عيد الميلاد المجيد ليسأل ما إذا كان الاسم فصيلة من النبات كنا نشير إليها عندما نذكر «كالاماتس» أم أنه طفل لكائن بشرى ؟ وهكذا سألته «ألم تكن أنت من بعث بالاسم؟ وقال «لا» وأنه أملى الاسم «كليمنت» لكاتبة الخطاب وأن ذلك الولد ظل ينكث رأسه ، ظل ينكث رأسه وكتب ما كتب.

لكن فى ذلك الحين كان الوقت قد فات وكان «كالاماتس» قد أصبح «كالاماتس». الحائك كان قد أخطأ فى حياكته ولابد إذن أن يصبح الخطأ صرعة جديدة.

الآن أنا فى البيت .فى البندقية أربعة خراطيش أخرى .هذا يكفى . سوف أحملها إلى ساحة القرية وأصفى الحساب مع الأشرار. لقد ترك لى أبى إرثا وسوف أترك لقريتى إرثاً . إذا لم يكن الرجل بقادر على أن يجد الراحة لمرفقيه يمكنه على الأقل أن يستخدم ركبتيه. لقد زحفت فى الحياة كسحلية لكنى لن أموت كسحلية. هأنذا راحل إلى ساحة القرية وليكن ما يكون.

الهوامش:

١) الحقاء : قطعة قماش تلف على الحقو والإليتين كغطاء.

٢)**Onugbu**: كلمة بلغة الهاوسا فى نيجيريا تعنى جيران . اضطررت للبحث عنها فى قواميس بلغات الهاوسا والسواحيلى والايبو من وإلى الانجليزية .لم أجدها وسألت مواطناً إفريقيا ليس من نيجيريا عنها فأفادنى بمعناها (المترجمة).

٣) حفرة المرحاض: المقصود حمام المزارع ويكون فى مكان مفتوح ومغطى حفرته ببناء خشبى أو من الصاج.

٤) قماط: هى هنا **Wrapper** ويقصد قطعة قماش يتم لفها حول الوسط أو لبسها على الكتف.

٥) كوبو: عملة من البرونز وهى وحدة مالية مستخدمة فى نيجيريا.

٦) لويكة :**Pap** طعام لين للأطفال أو المرضى.



هذه الترجمة

•

بعد أن أنجزت ترجمة هذه القصة بدأت أنقب عن أية معلومات قد تكون متاحة فى الدوريات والمطبوعات والمعاجم الخاصة بأعلام الأدباء الأفارقة عن الكاتب لم أجد شيئاً.

والمثير أننى أثناء ترجمة النص الإنجليزى - وأنا لا أعرف إن كانت الإنجليزية هي لغة الكتابة لدى الكاتب أم أن ما قرأته نفسى كان مترجماً - أننى ظللت أتعثر بكم لا بأس به من الكلمات الإفريقية التي كان المؤلف يحتفظ بها كما هي أى لا يفعل سوي أن يكتبها بحروف انجليزية فتظل شفرة مستعصية ومستغلقة حتى على بعض الأفارقة ممن لا يتقنون لغته الأم وهو الأمر الذى دفعنى إلى الإصرار على التعامل مع النص ومحاولة الاستعانة ببعض قواميس اللغات الأفريقية مثل الهاوسا - الانجليزية، أو الايبو (كما تنطق وصححها لى طالب سنغالى بنصف سخرية عندما نطقتها كما تكتب «إيجبو») أو حتى اللغة المستبعدة عن نيجيريا موطن الكاتب وهي السواحيلى. ثم توسع الأمر عندما فشل هذا المسعى وفشل كذلك لجوئى إلى قواميس اوكسفورد وويبستر العملاقين فالكلمات ليست انجليزية واستعنت بفهارس مكتبة الكونجرس الأمريكية فى محاولة بائسة لمعرفة الاسم المرادف لبعض أنواع الحبوب مثلا. ولم تسعفني الموسوعتان البريطانية والأمريكية أو معجم الكلمات العشوائية الغريبة بالانجليزية وبمساعدة الطالب السنغالى الذى تعرفت عليه أمكن سد الثغرات فى بعض الكلمات (لغته تختلف عن الهاوسا ولغات نيجيريا الأخرى). ثم كان عليّ أن أجد شيئاً - لنفسى - عن تشوما نوكولو.

كل ما توصلت إليه أنه أصدر مجموعة قصصية سابقة على المجموعة التي تنتمى إليها القصة التى قمت بترجمتها من الجريدة الانجليزية التي وقعت فى يدى صدفة وأن اسم تلك المجموعة هو «حكايات إفريقية علي حافة السجن» وقد طبعت فى نيجيريا عام ١٩٩٩. بينما القصة الحالية ما هي إلا جزء من عمل سيصدر قريباً. وهذا كل شىء.

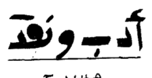
ربما لم تعجبنى القصة جداً وربما أصابنى شىء من خيبة الأمل المشوب بالملل الناتج عن الإطالة ، هناك أكثر من ربما وإن كنت لا أريد إفساد الأمور بتصدير رأىّ إليكم منذ البدء لكن يمكن أن تكون هذه الصعوبات، ويقينى بأن القصة تقول شيئاً جوهرياً فى صميمه نتاج للتماس الثقافى والاجتماعى بين واقعنا وواقع بعض الدول الإفريقية أو لنقل ببساطة من ذا الذى يمكن أن يقرأ قصة عن الفقر فى مدغشقر مثلا - متى كانت مميزة حقاً - ولا يخرج منها بكراهية وإدانة أشد وأعمق للفقر حتي ولو كان يعيش حياة مرفهة فى حى بيفرلى هيلز بالولايات المتحدة ؟ وبالمناسبة نحن أيضا فى مصر لدينا «بيفرلى هيلز»، بل وأكثر من بيفرلى هيلز واحدة.



ربما كانت الأمثال التي لجأ إليها الكاتب كثيراً ووجدت فيها صدى لبعض مقولاتنا في مصر وربما كانت مجهولية الكاتب بالنسبة لي « مثيرات » .ربما كان المقال القديم الذى كنت كتبته من سنوات بعيدة فى جريدتى وظل يتعرض للتأجيل. كان عن ديكتاتورية العسكر أو العسكريتاريا البغيضة وما تفعله مع الكاتب النيجيرى الشهيد كين سارو ويوا الذى أعدمته سلطات بلده رغم استغاثات منظمات العفو وحقوق الإنسان على صفحات الجرائد البريطانية بعد ما كشف فساداً لدى إحدى الشركات وتورطت فيه حكومة بلده واحتجزوه طويلاً بالسجن ثم أعدموه بليل.. هكذا. وتم منع المقال نهائياً لأن التأجيل أدخله – لسوء الحظ أو لسخريته – فى تمام يوم ٢٣ يوليو أى الاحتفال بذكرى الثورة المصرية. وقيل لى هذا.

ولكن من المؤكد أن فى تشابه النهايات – ولا أعلم إن كانت النهايات أحيانا تتشابه – ما بين موقف بطل هذه القصة ومشهد النهاية.. أو قرار الختام فى قصة « ليس للعقيد من يراسله » التي بها قرأت ماركيز لأول مرة فى بريطانيا وأنا طالبة فى الثامنة عشرة من الحب ما حسم الأمر لصالح ترجمة كاتب لا أعرف عنه سوى اسمه ولم أجد ذلك الاسم مدرجا فى معاجم الأعلام حتى بين الكتاب النيجيريين الذين يكتبون بالانجليزية مثل بين أوكرى مثلاً، وربما لخوف آتٍ : أن أجد كل ما ينقصنى اليوم من معلومات عنه غداً – كما حدث مع ويوا – فيما لو تعرض للقتل أو الاغتيال.

غ ٠ ن



مسرح



ظواهر نهاية القرن فى المسرح الانجليزى

دافيد هير، تسييس الدراما السيكولوجية

د. محسن مصيلحى

مدخل: حين ترك دافيد هير (المولود عام ١٩٤٧) جامعة كامبردج عام ١٩٦٨ كان قد أسس موقفين مهمين فى مسيرته الأيديولوجى والمسرحية : الموقف الأول هو خلافه الايديولوجية مع اليسار- خاصة مع أستاذ الأدب الإنجليزى رايموند ويليامز-فقد كان رأى هير مخالفا لرأى العديد من المثقفين المتفائلين بالثورة فى انجلترا .قال هير وقتها إن أى إنسان يزور انجلترا لعشر دقائق لابد أن يتأكد من أن الثورة لا يمكن أن تحدث فيها. ولم يستطع هير أن يفهم -كما أعلن فيما بعد فى محاضرة تذكارية عن رايموند ويليامز- لماذا يتغافل اليسار عن محافظة أو رجعية السياق الاجتماعى البريطانى حتى فى الستينيات الثورية . ولا شك أن هير-كما أثبتت السنون -كان محقا فى رأيه.

الموقف الثانى هو تعرف هير بالنشاط

المسرحى فى الجامعة ، وفور تخرجه أقدم(مع آخرين) على تأسيس فرقة مسرحية صغيرة أسماها الفرقة «النقالى» أو المحمولة ،رغم أن درايته لم تكن كبيرة بالتجارب المسرحية الجديدة عند« ادوارد بوند» مثلا ، أو بأهمية زيارة فرقة البرلينر إنسامبل التاريخية لانجلترا فى أواسط الخمسينيات. لكن أحداث العام ١٩٦٨ ، العام الذى أنشئت فيه الفرقة، كان عاما شديد الأهمية فى تشكيل وعى هير السياسى .وهذا الوعى ظهر بوضوح فى إقدام هير على التجوال بفرقته المسرحية فى الأماكن المحروقة من المسرح ،خاصة تلك المحرومة من الأبنية المسرحية .وقد بدأ هير مخرجا لهذه الفرقة التى ظلت تقدم عروضها حتى عام ١٩٧١.

خلال هذه الأعوام أخرج هير مسرحيات غريبة إحداها عن يوميات كافكا وأخرى لجان جينيه .وفى ليلة من ليالى العرض لم يكن هناك إلا متفرج واحد هو هيوارد برنتون .ومن تلك الليلة ارتبط الاثنان هير وبرنتون فكتبا معا بعض المسرحيات أهمها «برافدا» (١٩٨٥) عن الفساد فى المحليات ،كما أن هير قام بإخراج بعض مسرحيات برنتون مثل «فاكهة» التى شهدت ما عرف باسم تقنيات التحرش بالمتفرج .وهى التقنيات التى استخدمها وطورها برنتون وحده فيما بعد .

كيف كتب هير للمسرح؟

حين أخلّ الكاتب المسرحى الشاب(وقتها) سنو ويلسون باتفاقه مع الفرقة بتسليم نص فى موعد محدد اضطر هير للإمساك بالقلم وكتب مسرحية «تسمى كيف تصرف بروفى الطيب» .وهى المسرحية التى أهلته فيما بعد لدخول مسرح الرويال كورت مديرا أدبيا ثم كاتبا مقيما للمسرح . بعدها كتب هير «**ماذا حدث لبليك**» .ومنذ لحظتها لم يتوقف عن الكتابة . لكن اللافت أن هير« لم يسقط فى الاهتمام بالجانب السيكولوجى للشخصية الدرامية حتى فى بدايات اشتغاله بالتأليف المسرحى .فقد لاحظ هير استغراق الدراما الانجليزية وقتها فى الاهتمام بالفرد أو بحالته العقلية دون اهتمام بالسياق الاجتماعى حوله (كما يحدث فى مسرحيات العبث مثلا) . لكن هير آمن منذ البداية بأن البشر يعيشون فى جماعات ، وأن على الدراما أن تعكس هذه الحقيقة(١).

فى حقبة السبعينيات كتب هير عدة مسرحيات أهمها **المعرض العظيم (١٩٧٢)** وأسنان وابتسامات (١٩٧٥) «ولعق هتلر» (١٩٧٨) ، لكن أهمها هى مسرحية «وفرة»

(١٩٧٨) التى تعرض بشكل ملحمى لحياة بطلتها « سوزان تراهيرن» منذ نهايات الحرب الثانية حتى وصلت إلى الاحباط الحياتى الكامل عام ١٩٦٢ وقد اشتهرت هذه المسرحية بسبب قيام النجمة السينمائية ميريل ستريب ببطولتها حين أعدت للسينما .فى هذه المسرحيات -وفى غيرها- تبلورت سمات مسرحيات هير فى السبعينيات كالتالى:

(١) تدور أحداثها بين أفراد الطبقة الوسطى ،مع الاهتمام الخاص بأدوار النساء .

(٢) اهتمام بعرض مشكلة الفرد فى إطاره الاجتماعى والسياسى ،ومسرحية المعرض العظيم مثلا تدور حول سياسات وزعامات حزب العمال فى انتخابات عام ١٩٦٤ ،فى إطار بانورامى للأحداث . لكن هير لم يتجه نحو المسرحية السياسية بمعناها التقليدى ، بل قدم شخصيات درامية من لحم ودم.

(٣) رغم الاهتمام بالجانب السياسى فإن هذه المسرحيات تطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من إجابات.

(٤) تحرص هذه المسرحيات على عرض وجهتى النظر المتصارعتين بنفس القوة والحياد وتمثل مسرحية التحول التى كتبها هير عام ١٩٧٥ نموذجا فريدا فى مسيرة وعنوان المسرحية نفسه **fanshen** يدل على معان عديدة أهمها التحول من نير العبودية إلى الحرية واكتساب ممتلكات جديدة، وموضوعها التحولات التى شهدتها قرية صينية صغيرة منذ انسحاب اليابانيين حتى عام ١٩٤٩ ،أى نجاح أو فشل هذه القرية فى تطبيق مبادئ الثورة الصينية.

وهذه المسرحية البانورامية الضخمة (أربعون شخصية) هى إعداد لرواية شهيرة بنفس الاسم للروائى الانجليزى وليام هنتون، واللافت أن آلية إنتاج المسرحية وتجسيدها كان يتوازى تماما مع آليات تطبيق النظام الديمقراطى الجديد فى الصين: فقد انتجت المسرحية بواسطة فرقة شهيرة تسمى جوينت ستوك (شارك هير فى إنشائها) وهى فرقة تقوم على أساس المشاركة الجماعية فى ورش إبداعية .وكانت هذه المسرحية هى الوحيدة التى أخرجها **وليام جاسكيل**، أحد أهم المخرجين اليساريين فى انجلترا ،وربما كان هذا هو السبب فى صياغة هذه المسرحية وفقا للمنهج الملحمى البريختى، وهى الصياغة التى لم يكررها هير فيما بعد(٢).

وقد تحققت بريختية المسرحية ليس فقط فى موضوعها الثورى ، أو فى محاولتها

التوصل إلى الصياغة الأيديولوجية الأفضل لإنسان العصر الحديث ، بل تحققت أيضا على مستوى العرض المرئى :فقد تعددت القصص فى تقنية انتقالات أقرب إلى المونتاج السينمائى ،واستخدمت اليافطات والاعلام والتمثيل الصامت ،وخروج الممثل من الشخصية للتعليق على الحدث الدرامى ..إلخ. ولكن أكثر الجوانب أهمية فى هذه المسرحية هو أنها لم تقدم اجابات سياسية جاهزة لأى من مشاكلها المطروحة ،وأهم هذه المشكلات هو الصدام بين المبادئ الفردانية والمبادئ الجمعية ، بين الرضوخ للنظام الإقطاعى والتحول إلى النظام الديمقراطى .وكان ثمن الصدام مروعا.

فى حقبة الثمانينات خرج هير من الإطار الانجليزى الضيق إلى النطاق الدولى الأوسع ،وقد نظر بعض النقاد إلى ظاهرة ازدهار المسرح السياسى فى السبعينيات باعتباره نتاجا ليأس جيل الستينيات من إصلاح العالم (أو إصلاح انجلترا على أقل تقدير) (٣) .خرج هير إلى العالم الأوسع مع مسرحيته **خريطة للدنيا** (١٩٨٢) والتى تجرى أحداثها فى الهند أثناء انعقاد مؤتمر لليونسكو هناك. والمسرحية تتابع الأنشطة الرسمية للوفود التى تناقش موضوع الفقر فى العالم ،كما أنها تتابع الأنماط الإنسانية المختلفة والمتصارعة فى إطار هذه القضية الكبرى ،مع التركيز على نموذجين أحدهما صحفى يسارى والآخر كاتب روائى يمينى يفوز بنتيجة الجدل دائما.

وفى مسرحية برافدا التى أشرت إليها قدم هير نقدا ساخرا لمسيرة أحد أباطرة الصحافة الرجعية ،ومن خلال هذا النموذج طرح هير قضية أكثر شمولا هى أسباب اتسام البريطانيين بالمحافظة أو الرجعية ، خاصة هؤلاء الذين يتدخلون فى صياغة الرأى العام. وفى عام ١٩٨٨ قدم هير مسرحية **النشوة السرية** (وللعنوان دلالات دينية) وكانت هذه هى المسرحية الأولى التى لا يخرجها هير لنفسه خلال ١٣ عاما.

عام ١٩٩٣ قدم المسرح القومى البريطانى تحية غير مسبوقة حين قدم ثلاث مسرحيات لدافيد هير بشكل متزامن ،باعتبارهم أجزاء من ثلاثية متصلة تعالج ثلاث مؤسسات مهمة فى صياغة الواقع البريطانى وهى مؤسسات الكنيسة (وتعالجها مسرحية **مسابقة الشيطان** التى قدمت لأول مرة عام ١٩٩٠) والثانية **القضاء** (وتعالجها مسرحية **القضاة المتذمرون** التى قدمت لأول مرة عام ١٩٩١) ثم المسرحية الأخيرة وهى غياب الحرب التى تنتقد

سياسات وزعامات حزب العمال ، بل والنظام الانتخابى الحزبى كله ،وقدمت المسرحية لأول مرة عام ١٩٩٢.

وموضوع المسرحية الأخيرة ، غياب الحرب ، هو الفشل الشخصى ، ومن ثم السياسى لزعيم حزب العمال جورج جونز أثناء الانتخابات . ودافيد يقدم صورة هذا الزعيم السياسى بشكل مثير للجدل : فهو من جانب ضعيف ، يضرب أقرب مساعديه لانه سرب سرا من أجندته السياسية ، يتصبب عرقا إذا ما أحرجه مذيع تلفزيونى . لكنه من جانب آخر شخص نقى ،منحاز للبسطاء غريزى الرغبة فى النجاح .. لكنه فى النهاية يفشل رغم أنه يقدم صورة مخالفة للصورة التقليدية المنفرة للحزب اليسارى.

ولكى يكتب هير هذه المسرحية فقد سمح له حزب العمال بأن يطلّع على مجريات الحملة الانتخابية الأخيرة للحزب فى بداية التسعينيات ،وعلى ملفاته ومناورات بعض زعمائه ، ونصائح خبراء العلاقات العامة لهم .. إلخ وحين قدم هير المسرحية على المسرح اعترض أعضاء الحزب بشدة على تقديم صورة زعيمهم بهذا الشكل المخزى ،وكان من الواضح أن هير كان يكتب عن شخصية نيل كينوك الزعيم الحقيقى للحزب. ثم ساءت العلاقة بين هير والحزب تماما حين تحولت المسرحية إلى فيلم تلفزيونى (قيضت لى الظروف مشاهدته) لأن الأمر بدا وكأن هير ينشر غسيل الخرب القذر على نطاق أوسع .وحين نجح الحزب فى الوصول للحكم سعى بعض حكمائه لإنهاء قطيعتهم لهذا الكاتب المسرحى اللامع فسعوا فى ترشيحه للقب «سير» من الملكة ،وهو اللقب الذى حصل عليه عام ١٩٩٧.

بحلول منتصف التسعينيات تأكد الجميع من التغير الكبير الذى طرأ على أعمال دافيد هير ،ذلك أنه كان قد ابتعد كثيرا عن الاهتمام بالموضوعات السياسية والاجتماعية بالمعنى المباشر واقترب من الدراما السيكولوجية للفرد ولكن دون أن يفقده إطاره الاجتماعى فى أى لحظة. وهكذا وجدنا بعض النقاد يشيرون إلى أن مسرحيات هير فى النصف الأول من التسعينات هى مسرحيات عن« شخصيات طيبة فى مواقف اجتماعية سيئة خلال سنوات حكم مارجريت تاتشر»(٤).

والنظرة المتفحصة إلى أعمال دافيد هير تثبت أن هذا التغير فى أعماله هو تغير كمىّ وليس كيف، كل ما فى الأمر أن هير كان قد وصل إلى ذروة نجاحه فى محاولته

الدائبة لتحقيق التوازن بين الذاتى والموضوعى ،الفردى والجماعى ، الشخصى والسياسى ،فى أعماله المسرحية . بل إن هذه النظرة قد تكتشف أن أعمال هير بشكل عام، حتى المبكرة منها ، كانت محاولات لتحقيق هذا التوازن ،وأنه لم يكن أبدا كاتبا سياسيا إذا كانت السياسة تعنى الابتعاد عن تجسيد مشاكل الفرد ونزعاته واحباطاته . وبرغم أن الإطار الفكرى العام لدافيد هير ينحو نحو اليسار إلا أنه من الصعب تصنيفه أو وضعه ضمن أى نوع من أنواع المسرح السياسى التقليدى لأنه ظل ،فى معظم أعماله ، يعتمد على الواقعية التقليدية كإطار يقدم من خلاله حياة أفراد من الطبقة الوسطى فى غرفة معيشتهم فى الأغلب الأعم(٥).

فى النصف الثانى للتسعينيات قدم هير عدة مسرحيات تمثل جوهر تلك التركيبة الفريدة من الشخصى والسياسى، من المشاكل السيكولوجية للفرد البرجوازى فى إطاره الاجتماعى العام وهذه المسرحيات هى:

(١) **ضوء سماوى**

ما يحدث فى الواقع الراهن لمسرحية **ضوء سماوى** (١٩٩٥) قليل ؛ فهى تعرض لمحاولة رجل الأعمال الثرى، مالك المطاعم (٦) ، توم (فى نهاية الأربعينيات) استعادة عشيقته السابقة كيرا (فى نهاية العشرينات) بعد قطيعة دامت عامين ،اختفت خلالهما تماما عن الانظار .ومن الغريب أن **إدوارد** ، إبن توم ، يصل أولا لكى يستنجد بهذه الفتاة لإخراج أبيه من حالة الاكتئاب الشديدة التى لازمته بعد وفاة زوجته بمرض السرطان . ثم يصل الأب توم نفسه بعد قليل إلى شقة كيرا المتواضعة الواقعة على الطريق الدائرى للندن ، بعد أن قررت أن تعيش حياة الغالبية العظمى من الانجليز- أو هكذا تقول وهذا اللقاء يفجر بالطبع ذكريات ما حدث فى الماضى بين الشخصيات ، لكن المهم هنا هو أن هذه العودة لا تتم لاتساع الفارق الطبقى والفكرى بين الشخصيتين ،رغم أنهما يقضيان ليلتهما معا فى سرير واحد. ثم يصل ادوارد صباح اليوم التالى ليتناول إفطاره مع كيرا فى شعيرة تدل على توصل كيرا إلى نوع من الاتساق الحياتى ،أخيرا.

وكما نرى من هذا التلخيص السريع فإن هير يقدم عددا قليلا جدا من الشخصيات ليدير «الجدل» أو «التناقض» بينها ليس فقط على المستوى الشخصى أو العاطفى بل أيضا على المستوى السياسى

مثلا .فإذا كانت كيرا قد اختفت فجأة حين علمت الزوجة بعلاقتها بزوجها توم فإن ما حدث من تفتح وعى سياسى للفتاة كيرا يعد نموذجا دالا على قدرة هير على مزج الشخصى بالسياسى .لقد خرجت كيرا من الإطار الثرى لأسرة توم، وكانت مقربة للأسرة كلها حتى الزوجة ،لكى تكتشف بؤس الغالبية ومعاناتها فى حياتها اليومية .لهذا السبب قررت كير أن تعمل مدرسة فى مدرسة فقيرة ،وأن تتوقف عن التعامل مع أجهزة الإعلام باعتبارها أجهزة لتزييف الوعى .وفى ذات الوقت كان توم يزداد ثراء مع انحياز النظام الحاكم لأمثاله من رجال الأعمال .بعبارة أكثر بساطة نحن نشهد هنا صداما بين امرأة تميل نحو اليسار ورجل أعمال يميل نحو اليمين.

وكما نرى فإن هذه الصياغة الدرامية تركز على عرض التفاعل بين الفردى والعام ،الشخصى والاقتصادى ،وبالتالى التفاعل بين الماضى والحاضر باعتبار الماضى صاحب سطوة غير منكورة فى صياغة الحاضر.ولأن هير كان قد وصل إلى تمام نضجه المسرحى فى تلك الفترة فإنه لايكشف عن هذا الماضى فى سياق استرجاعى وإنما يتركه يتفجر كما لو كان تفجرا تلقائيا بفعل ما يحدث فى الحاضر بين الرجل والمرأة وأهم ما يحدث فى هذا الحاضر هو محاولة كل من توم وكيرا التأثير العاطفى على الآخر ،مع تبادل الاتهامات أحيانا بأن الآخر هو الذى أفسد العلاقة.

كيرا: لقد سعدنا لست سنوات .وكنت أنت الذى **أفسدها .فمعك حين يكون هناك شئ صحيح لا يكون هذا الشئ كافيا أبدا .إنك لاتقيم وزنا للسعادة . بل إنك حتى لاتراها .لأنك دائما تريد المزيد**(٧).

وإذا كانت كيرا تلوم توم هنا بنقص نفس أدى به إلى تعمد إظهار خطاباتها إليه أمام زوجته فإنه هو نفسه يلومها لسبب آخر تماما .إنه يلومها لأنها لم تقبل أبدا طبيعة عمله، رغم اقترابها الشديد من عالمه الثرى .وهذا دليل أخير على المنهج الذى يخلط به هير بين العام والخاص ،أو بين السياسى والسيكولوجى ..أى رؤية الفرد فى سياقه الاجتماعى العام. وقد اعتبر بعض النقاد هذه المسرحية مسرحية سياسية بالمعنى الواسع للسياسة ، أى بنفس الدرجة التى تعتبر بها بعض مسرحيات **إبسن أوتشكيوف** مسرحيات سياسية ، أو حتى مسرحية **شكسبير** دقة بدقة ،وكلها تكمن **«سياسيا»** فى الايمان العميق بأن هناك بالفعل شيئاً يسمى

المجتمع وأن هذا المجتمع يشكّل أفراده كما يشكله هؤلاء الأفراد فى عملية ديالكتيكية لا تنتهى أبدا.. أو ليست هذه تربة السياسة الحقة؟(٨).

(٢)وجهة نظر إيمى:

تعتبر مسرحية **وجهة نظر إيمى** (١٩٩٧) خطوة مهمة فى مسيرة دافيد هير الدرامية ،خاصة فى سياق محاولته مزج الشخصى والذاتى بالعام والموضوعى(٩) ولتجسيد هذه المحاولة فإن هير يدير مسرحيته بنائيا حول أربع لحظات زمنية فى حياة أبطالها تبدأ من منتصف صيف ١٩٧٩ حتى عام ١٩٩٥ .بمعنى آخر ، يتوقف هير عند نقاط فاصلة فيما عرف باسم الحقبة التاتشرية التى غيرت وجه الحياة فى بريطانيا وإلى الأبد .وهو فى هذه التوقفات يحاول رسم صورة بانورامية للفرد وسط التقلبات الاجتماعية الحادة.

وفى هذه المسرحية يستخدم هير المسرح ذاته ليحتل قلب مسرحيته باعتبار أن ما يجرى فيه يعد انعكاسا لما يجرى فى المجتمع . فبطلة المسرحية **ESME**(٤٩ سنة) ممثلة معروفة فى حى المسارح المعروف باسم ويست إند، وهى تقطن فى مدينة مجاورة للندن . وللدلالة على تيسر حالها تقدمها المسرحية فى المشهد الأول وهى عائدة من لندن من عرضها المسرحى المسائى فى سيارة أجرة .تعود إيزمى إلى منزلها لتجد ابنتها إيمى وصديقتها دومينيك ،وقد أحست هذه الأسرة السوية بأن دومينيك سيجلب التعاسة إلى ابنتهم ، إذ أنه يستغل كتاباته لبعض الأعمدة فى الصحف التجارية لكى يحقق مصالحه الشخصية ولكى يستفيد مهنياً ممن يكتب عنهم وهو المبتدئ فى عالم الصورة السينمائية والتلفزيونية .ومن المفيد هنا أن تقارن بين دومينيك وإيمى التى تعتمد وجهة نظرها على مبدأ أساسى هو ضرورة منح الحب بغير شروط ، هذا المبدأ الذى يعترف به **دومينيك نفسه وإن بعد فوات الآوان . يقول دومينيك.**

دومينيك : أنت تعرفين مبدأ إيمى :عليك أن تحب كل الناس يجب عليك أن تحبهم .عليك أن تمنحهم الحب دون أى شرط على الإطلاق .عليك فقط أن تمنحه .وفى يوم من الأيام ستأتيك جائزتك فى يوم من الأيام سوف يرتد إليك هذا الحب(١٠).

من خلال تلك اللحظات التاريخية الأربع يقدم هير الصراع بين شخصياته فى طريقين الأول هابط(هو المسرح) والآخر صاعد (هو التلفزيون والسينما) .فالشاب دومينيك يعبر عن وجهة نظره

ووجهة نظر جيله كله في المسرح من اللحظات الأولى للمسرحية باعتبار أن المسرح فن آفل ، أو فن ميت ، وأن هناك من التغيرات ما جعل الصورة المرئية تحتل المرتبة الأهم بين الفنون .وفي مناسبة من المناسبات يقولها دومينيك واضحة: «لقد احتلت الصورة مكان الكلمة» ولأن الواقع الاجتماعي كان يبرر هذه النظرة فإن دومينيك ينتقل من نجاح إلى نجاح على المستوى المهني حتى يقوم أول أفلامه للسوق عام ١٩٩٥ .أما على المستوى الشخصي فإن حياته مع إيمى -التي نراها حاملا في المشهد الأول- فتعاني من صعوبة بعد الأخرى : فهو لا يقدم على الزواج منها ، حتى بعد أن ينجب ،كما أنه يخونها دائما مع شقراوات السينما.

على الجانب الآخر يعرض هير لانحدار أحوال نجمة المسرح إيزمي : فهي تكاد تكون عاطلة في الفصل الثاني ثم تضطر في الفصل الثالث لقبول العمل في دور ثانوي في مسلسل تلفزيوني شعبي فيما كانت ترفض التمثيل في التلفزيون مبدئيا . ثم نراها عجوز في الفصل الرابع وقد هدتها الأعباء الاقتصادية ، تقوم بدور في مسرحية بالملابس التاريخية.

وبين شقى الرحى ، بين الأم إيزمي والرفيق دومينيك ، بين مبدئها في ضرورة الحب ومبدأ رفيقها لكنها تفشل .فالأم تنحدر حالها الاقتصادية بفعل المضاربة في الأسهم والبورصة ، بينما يصعد رفيقها في ضرورة الأخذ، تعاني إيمى حتى تدفع حياتها ثمنا لهذا الوضع الشائك. تحاول إيمى مرة بعد أخرى أن تقرب بين أمها ورفيقها إلى قمة السلم الفني والاجتماعي لأسباب لا تنتمي إلى الموهبة أو السلوك الأخلاقي الرفيع. هكذا تظل إيمى تمنح حبها حتى يتوقف قلبها عن الخفقان.

في المشهد الأخير من مسرحية **وجهة نظر** إيمى يبلور دافيد هير علاقات شخصياته المركبة حين يرينا إيزمي وهي تتأهب لكي تلعب دورها الصغير في مسرحية من المسرحيات . ساعتها يظهر دومينيك وقد شاهدها- للغرابة- لأول مرة في حفل الماتينيه .لقد قرر دومينيك أن يطبق «وجهة نظر» إيمى أو مبدأها ، بعد أن ماتت ،وكأن موتها كان لازماً لكي يتغير هذا الوحش الإعلامي الصغير. إنه يمنح إيزمي آلاف الجنيهات لكي تستعين بها علي غوائل الزمن والوضع المالي البائس للمسرح ولأمثالها .وتتفهم إيزمي وربما للمرة الأولى .موقف زوج ابنتها ،وتتقبل هبته ،في إيماءة تدل على اتساق وجودي ،

وإن لم تقبل العنف والدموية اللذان يتسم بهما فيلمه الأخير.

تنتقل إيزمى من غرفتها إلى موقعها خلف ستار المسرح ، مع ممثل شاب حيث يصب كل منهما الماء فوق رأس الآخر، استعدادا لفتح الستار عن المشهد الأول للمسرحية التى يعرضانها .فى مشهد شعائرى بسيط ،وكأن الممثل الشاب يمسح بزيت التقديس رأس الممثلة العجوز فيما تقوم هى بتعميده ، ينهى هير هذه المسرحية وكأنه يؤكد أن المسرح سيظل دائما مكانا مقدسا للاحتفاء بأحزان الإنسان وأفراحه، بانكساراته وانتصاراته . ولكن هير يبدو مشغولا بالمسرح باعتباره انعكاسا لما يحدث فى المجتمع- كما قلت آنفا – وربما لهذا السبب جاءت مسرحيته طويلة ومفعمة بالجدل حول موضوعات متعددة شغلت المجتمع الانجليزى كثيرا مثل المضاربة فى البورصة أو الاستثمار فى الأسهم أو انهيار شركة لويدز ..إلخ .كما أنه يوازن بين هذه الاهتمامات وأسلوبه فى صياغة السمات السيكلولوجية للشخصية .فالمسرحية تثير الاهتمام بموضوعات نفسية متعددة مثل التركيب النفسى للممثلة ،وعلاقة الأم بالابنة الوحيدة ، والرغبة فى النجاح بأى ثمن . وربما كان انحراف هير نحو الجدل هو السبب فى أن النقاد قد أطلقوا على مسرحية وجهة نظر إيمى أكثر مسرحياته ميلا إلى أسلوب برنارد شوومثل شو أيضا يقدم هير فى هذه المسرحية صورة قاتمة لانجلترا فى سنوات حكم اليمين التاتشرى.

(٣) قبلة يهوذا

فى سياق اهتمام مفاجئ بالأديب الأيرلندى الشهير أوسكار وايلد أقدم دافيد هير على اتخاذه بطلا لمسرحية قبلة يهوذا (١٩٩٨) ، لكن هذا لم يمنع هير من الاشارة المتكررة إلى أن موضوع مسرحيته الحقيقى هو الصراع بين الحب والكراهية . ما يعنيه هذا هو أن هير يستخدم وايلد تكئة لمناقشة موضوعه الأثير :كيف يؤثر المجتمع فى الفرد وكيف يصطدم هذا الفرد بمجتمعه .ولتحقيق هذه الغاية لجأ إلى اختيار واحد من أكثر المجتمعات محافظة ورجعية وهو المجتمع الفيكتورى،كما لجأ إلى اختيار واحد من أكثر الكتاب فردانية وذاتية وهو أوسكار وايلد. وبين الطرفين النقيضين يدير دافيد هير مسرحيته قليلة الشخصيات.

وشأن معظم مسرحيات هير فى الآونة الأخيرة فإن البناء الهندسى يغلب على قبلة يهوذا .فالمسرحية تنقسم بنائيا إلى فصلين

يضاهى كل منهما الآخر ،ويركز كل منهما على لحظة حاسمة فى تاريخ أوسكار وايلد.

تقع أحداث الفصل الأول فى إحدى غرف فندق كادوجان فى لندن ، بعد ظهر يوم الجمعة ٥ أبريل عام ١٨٩٥ ،وأهمية هذا اليوم ترجع إلى أنه اليوم الذى خسر فيه وايلد قضيته التى رفعها ضد والد «صديقه» بوزى وهو ماركيز كوينزبرى ..بهذه الخسارة يستطيع الأب ابلاغ البوليس والقبض فورا على وايلد المتهم بالقيام بتصرفات وسلوكيات «سودومية» والجميع يعرف أن الماركيز فاعل هذا لا محالة ،ما لم ينفد وايلد بجلده إلى أوروبا هاجرا «بوزى» أو «لورد الفريد دوجلاس».

• أمام هذا «الاختيار» يقدم هير ثلاثة اختيارات :الأول هو موقف بوزى الرافض لهرب وايلد بجلده إلى فرنسا ، ذلك أنه يرى أن الحب الإغريقى بينهما يستأهل مثل هذا الصمود فى مواجهة الأب الظالم (وإن كان حكمه بالظلم على الأب يعود إلى أسباب أخرى تماما) .الاختيار الثانى أكثر حيدة وهو موقف روسى **Ross** (أول رجل فى حياة وايلد) الذى يختار هروب وايلد لأن السجن والإهانة ينتظران وايلد . ويمثل روس هنا موقف كونستانس زوجة وايلد.

أما الاختيار الأهم فهو اختيار وايلد الذى يتغير من البقاء إلى جوار محبوبه مهما كان الثمن ، خاصة أن المحبوب بوزى يجرى بعض الاتصالات السياسية لانقاذ وايلد ، إلى «الاستسلام» التام لإرادة المجتمع رغم أنه يعرف أن هذا الاستسلام يعنى النهاية. إن وايلد يغير موقفه حين يغير المحبوب موقفه ، فحين يتأكد «بوزى» من فشل أقاربه فى الانقاذ ،وحين يرى رغبة بوزى فى التخلى «المؤقت» عنه ، تظلم الدنيا فى عينيه ، فلا يرى مبررا للهرب، ولهذا السبب يطلب وايلد وجبة شهية وينفق كل ما يملك على خدم الفندق .. ويطلب منهم أن يسمحوا للصحافة والبوليس أن يدخلوا إلى غرفته . إن خيانة« بوزى» (أو -يهوذا كما يشير العنوان) هى التى تدفع وايلد لتجرع كأس اليأس التام لحد الموت.

فى الفصل الثانى نرى لحظة أخرى من لحظات الاختيار :فبعد أن قضى وايلد عقوبته قرر العيش منفيا فى إيطاليا وهناك يصل إليه «بوزى» لكن علاقتهما لا تعود إلى ما كانت عليه أبدا .ومن الطبيعى أيضا أن يصل الطرف «المحايد» روس إلى نفس المكان وأيضا حاملا وجهة نظر كونستانس. ويحاول روس جاهدا إظهار حقيقة «بوزى» لوايلد :أنه غير قادر على

الحب أو العطاء ، مستغل يعيش عالة على وايلد المفلس المحطم .وسرعان ما يثور وايلد عليه لكن خطاب أصغيراً يصل إلى بوزى من أسرته يغير الموقف تماما .إن أسرته تعرض عليه المغفرة وبعض الفضة إذا ما هجر وايلد.. وهذا ما يفعله سريعا .وتكون هذه هى الخيانة الثانية لوايلد ، الذى يقرر البقاء هناك وحيدا فيما يظلم المكان من حوله.

وكما استخدم هير المسرح كناية عن المجتمع فى وجهة نظر إيمى فإنه يحرك شخصياته هنا فى قبلة يهوذا باعتبارها شخصيات واعية بأنها «تلعب أدوارا» فى الواقع .فالفصل الأول يظهر وايلد على وعى بأنه يلعب دور الضحية لمجتمعه فى مأساة من صنع الآخرين .واللافت هو أن بوزى هو أكثر من يتهم وايلد بالاستسلام للقدر والمصير والمكتوب.

بوزى: اجلس هنا وقل لنفسك إن مصيرك قد تقرر ..إن الموضوع كله مكتوب سلفا على النجوم(١١).

وفى الفصل الثانى يتحول وايلد للعب دور آخر هو دور الشهيد ، أو دور المصلوب :ففى عام كامل مثلا من عامى سجنه اعتاد وايلد أن يبكى فى نفس الساعة التى بكى فيها المسيح.

ومن الواضح أن« روس» و«بوزى» يمثلان جوانب مختلفة من ضغوط المجتمع على أوسكار وايلد ،إلا أن المجتمع الفيكتورى كله هو الشخصية الحاضرة الغائبة فى كل صفحة من صفحات المسرحية .هذا المجتمع يطارد فريسته أوسكار وايلد فى كل لحظة من لحظات حياته : أثناء محاكمته لا يرى وايلد إلا عيونا متعطشة لدمائه ،وفى الشوارع يبصق الناس عليه ،وقبل أن يصل إلى الفندق تكون الصحافة الفاضحة هناك لكى تكون شاهدا على لحظات القبض على وايلد ،وفى اللحظات الأخيرة من الفصل الأول يذكر خادم الفندق أن الجماهير قد تجمعت فى طريقها للفندق لكى تقضى على وايلد.

يقدم دافيد هير هذا المجتمع فى صورة شديدة القبح والتشوه باعتبارها مجتمعا لا أخلاقيا ،منفصما :إنه مجتمع يغمض عينيه عن ممارسات وايلد لكنه يبرز أنيابه إذا أعلن وايلد هذه الممارسات .إن وايلد بهذا الاعلان يكون كمن وضع المرآة فى وجه المجتمع الفيكتورى ،ولهذا تكون ثورة هذا المجتمع عنيفة ضد وايلد .إن جريمة وايلد فى المسرحية ليست الجنسية المثلية بل الإعلان عنها.

سبب آخر لثورة المجتمع الانجليزى

المحـــافظ هو إيرلندية أوسكار وايلد :ف المجتمع الانجليزى قد يسمح لوايلد بأن يلعب دور المسامر ، لكن إذا تمادى وايلد فى مسامرته بشكل يقلل من هيبة الانجليز فانهم يشرعون ضده كل أسلحتهم باعتباره «أجنبيا» إن هذا المجتمع يقضى على وايلد الايرلندى لكنه يتغاضى عن «الجرائم» المشابهة التى يرتكبها «بوزى» لانه انجليزى بل وأرستقراطى .هذا المجتمع القاتل لا يترك وايلد وشأنه حتى وهو فى إيطاليا ، فهو يرسل إليه رسله هناك لكى يقطع صلته بالمحبوب بوزى .حين ينقل روسى غضب زوجته كونستانس يثور وايلد:

روسى: هل تتعجب من أنها غاضبة ؟ إنه الشئ الوحيد الذى تُطلب منك هى ألا تفعله!.

وايلد: هى؟ ليست هى فقط ! العالم بأسره (يضحك بمرارة) أنتم جميعا حاقدون .انتم جميعا قساة كل فرد منكم. العالم يضعنى فى السجن لكى يثبتوا أن بوسعهم تدمير علاقتى بلورد الفريد دوجلاس.

روسى: العالم؟.

وايلد: نعم وهاأنت تكتشف أنكم لا تستطيعون ولذلك فإن العالم يبحث عن انتقامه(١٢).

والحادث أن العالم ينجح فى النهاية فى إنهاء علاقة الحب ..بل وفى إنهاء حياة وايلد نفسه بعد قليل.

(٤) طريق الآلام

تمثل مسرحية طريق الالام (التى قدمت على المسرح عام ١٩٩٨) مكانة فريدة فى أعمال دافيد هير لأسباب عديدة نجملها فى التالى ،انتظارا لترجمتها وتقديمها لقراء العربية لأنها مسرحية عنا:

(أ) إنها أقرب إلى« التقرير الدرامى» ، أو قــــــراءة الموقف الدرامى بين بين الفلسطينيين والإسرائيليين لأنها مسرحية تسجل أسباب زيارة دافيد هير لإسرائيل ، ثم لقطاع غزة، للمرة الأولى عام ١٩٩٨ .كما أنها تقدم تفسيره الشخصى للصراع الدامى فى الشرق الأوسط واستنتاجه لمستقبل الصراع هناك(١٣).

(ب) لهذا السبب فإن المسرحية عبارة عن مونولوج طويل ، يتقمص فيه الراوى جزئيا بعض الشخصيات التى يلقاها على الجانبين العربى والإسرائيلى.

(جـ) إن دافيد هير نفسه -وربما للمرة الأولى فى حياته- قد وقف على خشبة المسرح ليقدم هذا المونولوج ، وهو يشير فى النص المنشور إلى أن المؤلف هو أنسب من يقدم المسرحية على خشبة المسرح

ولقد قوبل أداء هير بكثير من الاستحسان حين قدمها فى لندن ثم فى برودواى بعد ذلك.

(د) إن الباعث على الزيارة يتسق تماما مع الموضوع الذى يشغل هير خلال السنوات الأخيرة :موضوع «الإيمان» بكل تجلياته فى الفرد والمجتمع ، فى الحب والكراهية ، فى علاقة الماضى بالحاضر . إن هير يذكر فى مقدمة أسباب زيارته لاسرائيل إن الإسرائيليين ما زالوا يقاتلون لانهم «مؤمنون» بشئ ما .

(هـ) يتميز هير بقدر كبير من النظر الموضوعى المتوازن إلى جانبى الصراع (وزوجته يهودية) ،بل إنه يقرر زيارة غزة أثناء زيارته لإسرائيل باعتبار أن غزة هى«مرآة» إسرائيل أو جانبها السفلى غير المرئى ونظرة هير الموضوعية ليست نظرة شخصية درامية بل شخصيته هو ككاتب مسرحى معاصر.

(و) يلعب المسرح دوره الذى يكاد يكون تقليد الآن كاستعارة معبرة عن حال المجتمع : وفى طريق الآلام (وهو الطريق الذى قطعه المسيح حتى بقعة الصلب) يشير هير إلى علاقة ثلاثة كتاب مسرح بمجتمعاتهم : هؤلاء الكتاب هم هير نفسه وهيرتزل وشكسبير والمسرحية الشكسبيرية موضع الاشارة هى روميو وجوليت التى كانت محل تعاون أو إنتاج مشترك بين الفلسطينين والإسرائيليين فى محاولة منهم- كمسرحيين -لتهيئة الاطار العام لتحقيق السلام.

(ز) نشر هير مسرحيته تلك للمرة الثانية فى صحيفة الجارديان العام الماضى ،مع مقدمة يشير فيها إلى أن هذه المسرحية قد نجحت بالفعل فى لفت أنظار بعض معارف هير إلى أهمية الصراع الدائر فى الشرق الأوسط ولهذا السبب فقد تحول موقف هؤلاء من السلبية إلى التلقى الإيجابى أو المشاركة فى محاولة حل القضية الشائكة.

(ح) على عكس كتاب كبار آخرين فإن قراءة «دافيد هير للموقف الراهن تحمل قدرا كبيرا من التعاطف مع القضية الفلسطينية ، لكنها نظرة لاتفقد قدرتها على نقد بعض سلبيات رآها هنا وهناك ومن أكثر الأمور أهمية هنا- على الأقل بالنسبة لى -هو نظرة هير- الكاتب الغربى -إلى وجود اسرائيل باعتباره محكوما عليه بالفناء لانهم «غرباء» بالمعنى الأيكولوجى ..أى أن التكوين المجتمعى والبيئى للمنطقة العربية لابد أن يلفظهم باعتبارهم غير متوائمين ، أو «أجساد غريبة».

(٥) سريرى الزنك

والسرير المشار إليه هو سرير الموت، وهذه المسرحية هى الأخيرة فى إنتاج هير المسرحي حيث قدمت على المسرح فى العام الماضى .ومسرحية **سريرى الزنك** ليست غريبة على موضوع هير الاثير وهو الايمان -الحب- العطاء ،وإن كانت المسرحية تنظر إليه من الزاوية النقيضة وهى زاوية الإدمان بكل تجلياته ، بما فى ذلك «إدمان الايديولوجيا» .والمسرحية تنويعة قوية هذ المرة على علاقة الفرد بالمجتمع ،وقوتها تنبع من أنها تضرب مباشرة فى قلب الإيمان بالأيديولوجيا الماركسية ،والانخراط فى الحزب الشيوعى ، ثم الكفر بالأيديولوجية ،أى أيديولوجية .فى مقابلة بين الشيوعى السابق فيكتور والشاعر الشاب بول:

فيكتور: كنت شيوعيا

بول: نعم

فيكتور يتوقف

ماذا تعنى ؟هل هذا هو سبب نشوء اهتمامك بالعقائد؟

فيكتور: بشكل ما . من الواضح أن الصحف اعتادت القول بأننى كنت ماركسيا ذات مرة .انهم غير قادرين على استخدام الكلمة الصحيحة. أنا فى غاية الإصرار .أنا لم أكن ماركسيا .لقد كنت شوعيا.أنا استخدم الصدمة كاملة(١٤).

والمسرحية عبارة عن نظرة إلى الخلف ،أى مجموعة مشاهد استرجاعية إلى علاقة سريعة وغريبة بين بطلها الشاب بول بلباو والشيوعى السابق ورجل الأعمال الحالى فيكتور كوين (فى الخمسينيات من عمره) وزوجته الدانمركية الحسناء إلزا ، ذات صيف ،وفى خطاب مباشر بعد خطاب مباشر يقص بول لنا ذكرياته مع هذه الأسرة ، ثم يعود إلى الماضى منغمسا فى الحدث الدرامى.

وبول شاعر ،وصحفى مفلس ،وهو يصل إلى منزل فيكتور لإجراء حديث صحفى مع واحد من أباطرة الانترنت فى بريطانيا (١٥) ،هو فيكتور المتمنع دائما عن مثل هذه الأحاديث . ولكن الموقف ينقلب إلى نقيضه حين نرى أن فيكتور هو الذى يقوم بدور المحاور ،كما أن الحوار يدور حول حياة بول وخاصة شعره وإدمانه للخمر ،ومحاولة إحدى المنظمات(وتسمىA A) مساعدته .ولسبب ما يقوم فيكتور بتعيين بول فى مؤسسته الكبرى كاتبا أو مبتكرا لشعارات لترويج الشركة .وربما يعود سبب التعيين إلى عطف فيكتور ، أو رغبته فى تبنى بول ،أو تكفيرا عن فقدان حياته للشاعرية، أو رغبة فى التباهى بتوظيف

الشـعـراء فى مملكتـه ..كل هـذه أسـبـاب جائزة ،والنص غير حاسم فيها .لكن اللافت هو أن فيكتور المجرب يبدو وكأنه يقوم عمدا بالتـقريب بين بول وإلزا ،أو يبـدو على الأقل غير واع بأن التقارب بينهما سيحدث لا محالة .فإذا كان بول يعالج من الادمان فإن إلزا كـانت مـدمنة فى الماضى ،كـمـا أن كليهما شاب فى مقتبل العمر.

وكما هو متوقع يحدث «الالتقاء» بين بول وإلزا .ويتـحـول بول إلى صـديق للعـائلة .وهذه الصـداقـة تقـدم وجـهـتى نظر متـعـارضـتين فى«الإيمان»، أو فى الإدمـان بمعنى أدق .فـالشـاعـر بول يؤمن .بجـدوى هذه الجـمـعيات أو المنظمـات ، لكن تجربة فـيكتـور مع الحزب الشـيـوعى الإنجليـزى تركته «مـؤمنا» بأن مثل هذه التـجـمعات لا تشـفى المريض من دائه بل وتحـول إيمانه من شئ آخر إلى الإيمان بها وبأهميـتـهـا ..إن المنظمـــات تحل بديلا للإيمان بشئ حقيقى لأنها تشـفى «المريض» من كل رغبة إلا الارتباط بها. وجهة نظر فيكتور هى أن منظمة AA -مثلها مثل أى منظمة أخرى- تحاول أن تكون «عقيدة» تحل محل .إدمان بول للخمر .ولذلك فإن بول لابد أن يتـوقف عن الخمر كلية لأن ذلك يتساوى مع فقدان الرغبة ذاتها ، بل عليه أن يكون قادراً على التـوقف عن الشـراب فى الوقت المناسب .ليس غـريبـا إذن أن نرى فـيكتـور وهو يغـرى بول بكأس من« المارجـريتـا » فى إحدى أمسيات الصيف .. إلى أن يشربه بول فى النهاية..

لكن المسـألة أكـثـر تعـقـيدا من ذلك: فـالخمـر عند بول تعنى القـدرة على كـتـابة الشـعـر، وممارسـة الحب أيضا .لقد أدمن بول الخمر إثر علاقة عاطفية فاشلة تركته هائما شريدا .وإلزا تحاول جاهدة أن تعيد إليه القـدرة علي الحب دون الخمـر إلاّ أنها تفـشـل فى النهـاية لأنهـا تكتـشـف أن بول مدمن للوم نفسه. ولو كان الأمر أمر إدمان خمر لنجح فى التوقف مثلما نجحت هى فى السابق.

لقد وصلت علاقة إلزا بزوجـها فيكتـور إلى طريق مـسـدود ،كـمـا يـبـدو ذلك أنـهـا ترفض أن تنجب لفـيكتـور أطفـالا ،لأنـهـا انجـبت للدنيـا طفلين من زواجين سـابقين ،وهـى لا تريد انجـاب المزيد من التـعـسـاء للدنيـا .ورغم أن فـيكتـور سـاعـد إلزا فى التـوقف عن إدمان الخـمـر إلا أنهـا تنظر نظرة شك إلى المستـقبل فى ظل المنافسـة الشرسة التى بدأ فيكتور نفسه عانيها.

ورغم أن فيكتور يتربع على عرش شركة رأسـمـاليـة ناجـحـة إلا أن هير يجـعل هذه

المكانة مـردودة إلى قـدرات فـيكتـور التى حـصلها حين كـان منتـميـا إلى الحـزب الشـيـوعى .إن فـيكتـور مـا زال قـادرا على النظر إلى المجتمع الانجليزى نظرة تحليلية ،كما أنه قادر على النظر المتعمق إلى ما وصلت إليه الرأسـمالية العالمية .وفيكتور يفـهم أيضـا أن المتناقضات هى التى تقف فى قلب الحياة ،فإذا توقف التناقض توقفت الحياة .ورغم هذا كله فإن تجربة فيكتور مع الحـزب ومـبـادئه الايديولوجـيـة قـد زرعت الشك فى قلبه(١٦) .لم يعد فيكتور مقتنعا بأن الإيمان فى حد ذاته يشكل قيمـة بل أن القـيـمـة تكمن فـى الشئ الذى تؤمن .وربما كـانت التـغـيـرات التى شـهـدتهـا الانظمـة الماركسية سببا رئيسيا فى فقدانه الايمان ، لكن النظام الرأسـمـالى هـو الآخـر يفـقـده شركته أو مؤسسته الخاصة بفعل المنافسة الشـرسـة فى السـوق العـالمـيـة. ثم يموت فيكتور فى حادث سيارة بعد أن يترك بول هذه الأسرة ويعود إلى مؤسسته العلاجية.

إن الجانب السياسى أو الاجتماعى فى مسرحية **سريرى الزنك** يعد جانبا مهما ، لكن الجـانب السـيكولوجى فى تركـيب الشخصيات الثلاث: فيكتور وبول وإلزا .إن أنسب المداخل إلى فـهم هذه العـلاقـة السريعـة والغريبة التى نشأت بين بول وآل كـوين هـو المدخل النفسى .فـفى المشـهـد الأخـيـر للمـسـرحـيـة -مـثـلا -يعـود بول للاعتراف بأنه فكر فى مقولة يونج بعد موت فيكتور :«حين نحب شخصا آخر فإن هناك إغراء فى أن نحب مـا نفـتـقـده فى أنفسنا فـقط . لكن البـحث عن إكـمـال أنفسنا مع شـخـص آخـر لا يمكن أن ينجح أبدا » .هذه المقولة عن التوقف الأبدى للاكتمال بالآخر تعنى أنه توق لا مـهـرب منه لكنه مـحكوم بالفـشل فى النهـاية . ويبدو أن هذه المقـولة هى التـفـسـيـر الأنسب لمحـاولة فـيكتـور تعـويض مـا ينقـصـه(من شـاعـرية وإيمان) فى شخص بول ، لكن هذا اكتمال لا يمكن أن ينجح أبدا . وبـهـذا الفـهم تكون سريرى الزنك قـد نجحت فى الموازنة بين جـوانبـهـا السياسية وجوانبها السيكولوجية .ويكون دافيد هير قد نجح إلى حد بعيد فى مزج أشياء يصعب مزجها فى المسرح، وأهمها الجـوانب الذاتيـة والسـيـاسـيـة فى تكوين الشخصية الدرامية.

هوامش ومراجع

(١) أقـدم هير على إعـداد بعض العـروض المسـرحـيـة عن مسـرحـيـات عـالمية شـهـيـرة مـثل مـسـرحـيـات بيرانديللو قـواعد اللعبـة(١٩٧١) وبريخت حيـاة جـاليليـو (١٩٩٤) والأم شـجـاعـة (١٩٩٥) وتشيكوف إيفانوف(١٩٩٧) وأخيرا شنتزلز الدائرة .والتى أسمـاها الغرفة الزرقاء (١٩٩٨) والتى قامت ببطولتها على المسرح النجمة السينمائية نيكول كيرمان.

(٢) Richarad allen Cave, New British Drama 1970-1985. Colin Smythe, 1989, P.188.

(٣) John bull , New british

Political Dramatists, Macmillan.1984, P.10.

(٤) Janelle Rienelt, Afer Brecht :British Epic Theatre. The University of Michigan Press, 1994,P.142.

(٥) Corol Homden, The Plays of David Hare, Cambridge University Press, 1995, P.231.

(٦) أشار بعض النقاد إلى أن اختيار هير لشخصية صاحب المطعم لم يكن مصادفة ، ففى تلك الحقبة (الثمانينات) كان أمثال هذا المالك قد ارتفعت أسهمهم فى الحياة العامة لدرجة أن الصحف كانت تتحدث عن حياتهم الخاصة وطموحهم وذوقهم فى الملبس والنساء ..إلخ . كانت شخصية صاحب المطعم نموذجا للمضيف المؤقت الذى لا تصادقه تماما ولا تقتصر علاقتك به على تعامل مادى عابر .انظر:

John Peter , The Price of love , The Sundy Times Culture . 14 May 1998 P.20.

(٧) David Hare , Skylight , Faber &faber , 1995 , PP. 94-5.

(٨) John Peter , Op.Cit , P.20.

(٩) قدمت مجلة المسرح ترجمة لهذه المسرحية دون أى احتفاء نقدى فى عدد سبتمبر ١٩٩٩ تحت الاسم المشار إليه ،وقد فضلت الاحتفاظ بنفس الاسم الذى استخدمه مترجمها ابراهيم محمد ابراهيم.

(١٠) David Hare , Amys View , Faber & Faber , 1997, P121.

(١١) David Hare , The Judas Kiss , Faber & Faber , 1998 ,P.42.

(١٢) Ibid , P. 89.

(١٣) استخدم دافيد هير بعض عناصر سيرته الذاتية فى مسرحية أسنان وابتسامات كما استخدمها فى مسرحيته التالية سريرى الزنك ، ولكن طريق الآلام لا تستخدم عناصر من سيرته الذاتية «بشكل مستتر» وإنما بشكل مباشر وواضح . ورغم هذا كله فإن لا يعد من الكتاب الذين تعتمد مسرحياتهم اعتمادا كبيرا على سيرة حياتهم.

(١٤) David Hare , My Zinc Bed , Faber & Faber , 2000 , PP .14 - 15.

(١٥) لم يكن استخدام هير لمهنة فيكتور مجرد مسايرة لموضة الكتابة عن الانترنت بل قصد منها الاشارة إلى التحول الحاد فى حياة بطله من الانغماس فى العمل العام إلى تنكب ذروة المجتمع الرأسمالى فى أحدث تجلياته العملية وهو الانترنت راجع مقال:

CHARLES SPENCER , THE DAILY TELEGRAPH , 15.9.2000.

(١٦) تبدو عناصر السيرة الذاتية لدافيد هير فى مسرحية سريرى الزنك واضحة، وقد أشار إليها كثير من النقاد ،وهى أوضح ما تكون فى الذى المقالات اتخذ عنوانا له هو «صورة ذاتية للمؤلف المسرحى ؟ لمزيد من التفاصيل راجع:

JOHN PETER A PORTRAIT OF THE PLAYWRIGHT? THE SUNDAY TIMES, CULTURE 24,September 2000 , p.19.



مسرح

المهرجان التجريبى بعد ١٢ عاما

المسرح المصرى بين التجريب والتخريب

خالد سليمان

المسرح أبو الفنون وأحد أهم روافد الثقافة الكونية، والتيار التجريبى أحد أهم روافد الحركة المسرحية فى العالم.. ولاشك أن ما هو كلاسيكى اليوم كان تجريبيا بالأمس ، ولكن ماذا عن المهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى وحصاده بعد اثنى عشر عاما هى عدد دوراته لفعلية (لأن المهرجان توقف خلال أزمة الخليج الثانية مع كارثة الغزو العراقى للكويت)؟.

وبقدر ما كانت سعادة المثقفين بالحراك الذى أحدثه المهرجان فى حياتنا المسرحية الراكدة بقدر ما ازدادت التحفظات دورة تلو الأخرى حتى بات المهرجان -المرهون بوجود شخص أو أشخاص بعينهم مهددا ..خاصة أن كثيرا من هذه التحفظات قوبل بالتجاهل من قبل المسئولين عن المهرجان ،مع أننا (مثقفون ومسئولون) لو تعلمنا احترام الرأى الآخر مثلما نؤكد على فكرة قبول الآخر القادم من الغرب ..لكان لنا شأن

آخر ولأصبح للمهرجان بنية تحتية وقواعد راسخة لا تعتمد على وجود أشخاص بعينهم، الأمر الذى يضمن بقاءه كنقطة مضيئة فى واقعنا الثقافى المتردى الذى أفرز لنا أساتذة فى النقد احترفوا الهجوم على أعمال لم يشاهدوها.

كانت أهم التحفظات التى وجهت للمهرجان (على سبيل المثال) :

-الاهتمام بكم العروض على حساب الكيف واستقدام فرق من الهواة بلا تاريخ لم تضف شيئا إلى الحركة المسرحية ، وتحضرنى هنا حالة الدهشة والانبهار التى سادت معظم المسرحيين العرب الذين شاهدوا العرض «المعجز» لفرقة أوبرا بكين» فى افتتاح مهرجان قرطاج المسرحى فى الدورة الماضية والذى اعتبره د محمد المديونى» رئيس المهرجان من أهم إنجازات تلك الدولة إلى جانب« فرقة البولشوى» التى اختتمت المهرجان ، وهل نحن أقل من أن نفعل ذلك، ..هلى الرغم مما يتردد عن ميزانية المهرجان الهائلة.

-إصدارات المهرجان التى لا تصل إلا إلى الصفوة أما مستحقوها فعليهم الانتظار لحين إشعار آخر.

– كذلك ما تردد عن الترجمات المعيبة فى إصدارات المهرجان.

-وماذا عن فكرة التسابق فى مهرجان تجريبى ؟ بالاضافة إلي سوء التنظيم بسبب وجود كم هائل من العروض فى ظل ندرة أماكن العرض الأمر الذى يجعل المتابعة مستحيلة.

-وهل ضاق المسئولون عن المهرجان ذرعا بجائزة النقاد التى أحرجت أشخاصا بعينهم فيما يبدو فاختفت الجائزة ومعها لجنة النقاد فى ظروف غامضة؟ بينما ظل ثلاثة من الأجانب يختارون لنا ما نشاهده من العروض العالمية (يتردد أنه تم إلغاء لجنة الاختيار الأجنبية هذه الدورة).

-وما هو مردود المهرجان على الحركة المسرحية فى مصر ؟ وكيف يمكن تقييمه ومن خلال من؟.

-وهل هناك قصدية فى اختيار عروض معينة لتمثل مصر؟.

-وكان الحل الأمثل للإجابة عن كل تساؤلاتنا هو اقتراح المسئولين فى«أدب ونقد»

أن يكون تقييم المهرجان وحصاده من خلال بعض رموز الحركة المسرحية والمهتمين بها والعاملين فيها من مختلف الأجيال والآراء فى محاولة للوصول إلى الحقيقة التى فى ألاّ تغضب البعض وأن ترسم صورة واضحة للموقف المسرحى كله.

لم يحقق النتائج المرجوة

سعد أردش

العروض التجريبية المصرية التى قدمت منذ بداية المهرجان لم تكن نابعة من خطة علمية ولم يطبق فيها منهج علمى وإنما كانت فى معظمها تقليداً للسمات الجديدة فى العروض العالمية التى حضرت المهرجان من قبل ..مجرد تقليد ، تجد الذى يقلد التعبير الجسدى أو محاولة فى الإضاءة إلخ- ولكن المفروض أن توضع خطة علمية لتجريب مصرى نابع من الأرض المصرية، ويحضرنى هنا عندما أحب أستاذنا توفيق الحكيم أن يجرّب وكتب « يا طالع الشجرة» فذهب إلى التراث المصرى وقدم نصا عبثيا نابعا من هذا التراث ولكن فى« فورم جديد» ولذلك أطلقنا عليه مسرح تجريبى ، أو مثلا عندما قدم «محمد سلماوى» فوت علينا بكره واللى بعده» وضع منهجا علميا أمامه بموجبه طبق مبادئ مسرح العبث على مسرحيته واستطاع أن يتصيد عناصر العبث فى الحركة الاجتماعية المصرية مثلما فعل كتاب الغرب مع مجتمعاتهم ،أما العروض التى قدمت أخيراً فلم تشغل نفسها بالبحث العلمى العميق ولذلك فالحصيلة ضئيلة جداً ، اللهم بعض الأعمال التى لفتت النظر مثل العرض الذى قدمه ناصر عبد المنعم عن« النوبة» وحاول أن يجرّب عليه ..أو محاولة انتصار عبد الفتاح لإيجاد نوع جديد من المؤثرات نابعة من تراثنا وإكسسوارتنا التراثية «كالمصفاة» والهون والطشت إلخ».

ولكن هذا لا يكفى بعد اثنى عشر عاما من بدء المهرجان -كان المفروض أن يكون عندنا على الأقل ١٢ عرضا تجريبيا نناطح بهم التجريب فى العالم ، وانتهز الفرصة لأقول أننا نظرنا إلى التجريب فى المسرح على أساس أنه وظيفة الشباب الذى لا يملك خبرة والذى تنقصه الدراسة ويفتقد إلى المنهج العلمى ..كيف يتأتى ذلك؟.

مثلا توفيق الحكيم قبل أن يتجه إلى كتابة نص تجريبى اجتاز كل أنواع المسرح من الكلاسيكى للواقعى للكوميدى للميلودرامى ، لذلك كان لابد لمؤسسة أو لإدارة المسرح

التجريبى أن تضع فى اعتبارها النهج العلمى الذى يسهل استفادة المسرح المصرى من التجارب العالمية التى تشارك فى المهرجان ولكن لم يوضع منهج علمى ولا آلية لتحقيق هذه الفائدة ، كان من الممكن تكوين «ورش مسرحية» نرسلها إلى الخارج لترى كيف يجرب الآخرون فى اليابان أو فرنسا أو انجلترا أو الصين إلخ ليعودوا إلينا بالجديد -كما أن توقف البعثات العلمية أدى إلى نوع من الفقر المحلى ..آن الآوان لأن نعد جيلاً جديداً من المبعوثين فى الخارج.

منذ حوالى ٥ أو ٦ سنوات بعد أن شاهدت عرض «كوابيس مسرحية» من إخراج «محمد الخولى» أوصيت بإرسال المخرج فى بعثة إلى إيطاليا لدراسة المسرح الأسود. أما عن لجنة اختيار العروض الدولية المشكلة من ثلاثة أجانب ولماذا لا يوجد بينهم مصرى أو عربى ..فإن هذا السؤال يجب توجيهه إلى رئيس المهرجان.. ولست متأكدا هل شكلت اللجان بهذه الطريقة لأن الأعمال القادمة أجنبية ويجب أن يختار بينها أجانب ؟ هل من الصعب أن نجد كادراً مصريا لديه القدرة على الاختيار مع الأجانب ؟ الحقيقة أنه ليس لدى إجابة محددة.. وكما أسلفت هذه أسئلة لا يملك الإجابة عليها بشكل محدد سوى رئيس المهرجان .. وقتما كنت رئيس المهرجان لم تكن هذه الطريقة المتبعة حاليا هى آلية الاختيار .. ولكن للحق أيضا كان عدد العروض أقل من الآن بكثير .وإذا كان المهرجان فى الوقت الحالى يستقبل عروضا من خمسين أو ستين دولة فلابد من الاختيار ولكن على أساس معايير تجريبية علمية.

-كنا جيلا بأكمله -عبد الرحيم الزرقانى ،كرم مطاوع ،جلال الشرقاوى ،كمال ياسين ،حمدى غيث ، نبيل الألفى ، أحمد زكى ، وأنا .وحملنا على عاتقنا المرحلة التجريبية التأسيسية وخرج إلى النور «مسرح الجيب »،مسرح المائة كرسى ،مسرح القهوة ..إلخ ،كان فى نيتنا تجديد دماء المسرح المصرى وقد حدث ذلك بالفعل بدليل استجابة قامة كبيرة مثل توفيق الحكيم لهذا الاتجاه ،،لكن إذا أردت أن تتعرف على سبب حدوث الفجوة فعلينا أن ندرس تطور الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى السبعينيات فى وسط السبعينيات بالتحديد .والفجوة حدثت فى الحركة المسرحية كلها وليس على مستوى التجريب فقط .ولما جاء الوزير «فاروق حسنى» وقدم مشروعه

لمهرجان المسرح التجريبى رحبنا بالفكرة على أساس أنها مواصلة للمرحلة التجريبية التأسيسية القديمة.

كان الأمل أن نرى من خلال المهرجان جيل جديدا يتولى إعادة إعمار المسرح المصرى عموما وليس على مستوى التجريب فقط - كان هدفنا الأساسى المسرح المصرى من خلال تجديد الكتابة المسرحية والإخراج المسرحى وإداء الممثل والإطار التشكيلى .وحتى تجديد العلاقة مع المتلقى .وكان الأمل معقودا على المهرجان فى أن يولد جيلا جديداً من المسرحيين والشباب وغير الشباب لينهضوا بالمسرح المصرى من جديد «لكن محصلش» وكانت النتائج مخيبة للآمال لأنه لم تدرس آلية الاستفادة من هذا المهرجان.

.. وتبديد للمال العام

عبد الغنى داوود

أحب أن أقول إن المبالغ الطائلة التى أنفقت على هذا المهرجان كان من الممكن أن تدعم الحركة المسرحية المصرية بحيث تجعلها تنمو وتزدهر بشكل طبيعى وصحى .وكان المناخ المسرحى فى مصر فى هذه الحالة سيتوازى مع أى حركة مسرحية مزدهرة فى العالم .وهناك تبديد فى المال العام بالنسبة لهذا المهرجان الذى يدعى أكثر من شخص أنه صاحب فكرته .وبهذه الأموال التي أنفقت كان يمكننا أن ندعو أكبر فرق مسرحية ذات تاريخ وذات تراث لشاهدتها فى مهرجانات أو شبه مهرجانات لنستفيد منها من خلال التبادل الثقافى والمعرفى .وهذا أفضل بكثير من استجلاب شراذم فرق هواة ليس لديها أى خبرة لننفق عليها الأموال بلا جدوى.

-والعروض المصرية التى شاركت فى الاثنى عشرة دورة السابقة كانت نتيجتها سلبية ،ويمكن أن نطلق عليها إنها عروض سياحية ترفع شعار الغوغائية الفلكلورية ، ومن الطريف أننا نجد فى المقابل عروضا عربية فازت بجوائز فى المهرجان عن استحقاق لأنها عروض جادة ومهمة ..على الرغم من أن الوفود العربية كانت تشكو من سوء معاملة المسئولين عن المهرجان الذين اعتبروهم «درجة ثانية» بالنسبة للفرق القادمة من أمريكا وبريطانيا والدول الغربية.

-نحن نرى عروضا مصرية تجهز قبل المهرجان بأسابيع وبعضها بأيام وهى عروض غير مدروسة ويغلب عليها التقليد «الببغاوى» لبعض العروض الغربية التى تقدم كلغة جسد أو مسرح راقص أو ما شابه ذلك وانتشرت هذه التقليعة التى تبتعد عن الدراما وروح المسرح وكأن هذه هى الحداثة أو المسرح الحديث ، وفى الناحية الأخرى نجد الإ يغال فى الفلكلورية أو فى الزخرفة والزركشة الشعبية الخالية من المضمون فى كثير من العروض.

كان من الأجدى أن تنفق هذه الأموال المهدرة على دعم وتدريب الفرق الاقليمية وفرق الهواة وإقامة دور عرض جديدة خاصة وأننا نعانى من نقص شديد فى دور العرض ، هذه الأموال كان يمكنها دعم البنية التحتية للحركة المسرحية فى مصر، وبالمناسبة كان هناك مهرجان عربى عقد لمرة واحدة وكانت نتائجه أكثر إيجابية بكثير من المهرجان التجريبى وفجأة وبشكل يثير الدهشة والاستغراب يتوقف هذا المهرجان العربى بلا سبب وتستمر البهرجة والاسراف وتبديد المال العام على المهرجان التجريبى.

وقد يرد البعض بأن هناك جانبا ايجابيا فى المهرجان متمثلا فى المطبوعات الخاصة به والتى وصل عددها إلى ما يقرب من٩٠ كتاباً ،هذه الكتب لا نعرف أين توزع ولا يستطيع كل المسرحيين الحصول عليها وأصبح من لا يستطيع الحصول عليها يستقى خبراته ومعلوماته من عروض هزيلة خالية من أى مضمون تقدمها فرق بلا تاريخ تأتى إلى المهرجان وترحل بلا أى ثمرة حقيقية.

-المهرجان التجريبى لابد أن يعاد فيه النظر وأن نفكر فى إعادة بناء حياتنا المسرحية التى خرجت بسبب المهرجان التجريبى وأسباب أخرى كثيرة أبرزها الاقطاع البيروقراطى والسادة المشرفين الذين لا يشغلهم شأن المسرح وتشغلهم أمورهم الشخصية فقط.

المهرجان فكرة عبقرية أصابها الجمود

د. هدى وصفى

-مهرجان المسرح التجريبى كان فكرة عبقرية من حيث مفهوم التجريب .كانت

مسألة مواجهة اليقين بالتجريب وفتح باب مواجهة الخطأ بالصواب وإعطاء الفرص التى قد تنجح أولا تنجح فى حد ذاتها ،انفتاحا على المستوى الفكرى واجه موجة الحلال والحرام فى الأمور الفنية التى كانت قد وصلت إلى حد خطير ،ففى الجامعة على سبيل المثال اختطف بعض الطلاب الميكرفون من الصديق العزيز د/ عبد العزيز حمودة «الذى كان عميد آداب القاهرة لكى لا يقدم حفلا فنيا ، وعندما بدأ المهرجان اقتحمنا هذا المناخ بمصطلح التجريب والمسرح المختلف واستقدمنا تجارب صادمة خاصة فى الدورات الأولى للمهرجان وهى أعمال لم تصنع خصيصا لنا بل هى تيارات موجودة بالفعل فى بلادها ..كل هذه الأمور كانت شكلا من أشكال الإيجابية الشديدة فى هذا المهرجان ،وكون المهرجان بعد ذلك كان يصيب فى اختيار بعض العروض ولا يصيب فى بعضها .. فربما آلياته لم تجدد بشكل مستمر أو أصابها بعض الجمود الذى يعتبر عكس فكرة التجريب بسبب عدم تحرك بعض المسئولين للإطلاع على التجارب وعلى المهرجانات المختلفة فى أنحاء العالم واختيار العروض بشكل أكثر مواءمة من اختيار ها عن طريق «الفيديو» إلا أن المهرجان يظل فاعلا ومؤثراً.

-نستطيع إن نقول إن المهرجان التجريبى يعتبر أكثر نضجا بالمقارنة مع المهرجانات الأخرى فى المنطقة برغم كل النقد الذى يوجه إليه.. خاصة أننى أستطيع المقارنة والحكم بعد مشاركتى وإطلاعى على المهرجانات الأخرى فى تونس والأردن والمغرب وغيرها على سبيل المثال لا الحصر، وعلى الرغم من احتياج المنطقة إلى جميع المهرجانات إلا أن المهرجان التجريبى أكثر نضجا وإيجابية وفائدة ، وقد سمعت هذا الرأى بنفسى من أصدقاء فى تونس أثناء حضورى مهرجان «قرطاج» الذين أكدوا على أن الحركة المسرحية هناك تعتمد على المبادرات الفردية.. أما فى مصر فتوجد بنية تحتية ومسرح حى طوال العام.

-أما عن العيوب الأساسية فى المهرجان التجريبى ،فأولها الاهتمام بالكم على حساب الكيف خاصة أن لدينا رأيا يقول إن مقياس النجاح فى كثرة العروض المشاركة ، وثانيها هو أننى ضد فكرة التسابق فى مهرجان تجريبى فالتجريب ليس له معايير ثابتة ومحددة.. وإن كان لابد من التسابق فيجب أن يقتصر ذلك على عدد قليل من

العروض ينتقى بعناية ومن يود المشاركة فى المهرجان يمكنه ذلك على هامش التجريبى بحيث تقتصر السابقة على العروض المتميزة.

ولكنه حرّك المياه الراكدة

ناصر عبد المنعم

-بالنسبة لحصاد المهرجان نستطيع أن نقول إن المهرجان له تأثيرات إيجابية على الحركة المسرحية فى مصر ..فالمهرجان أحدث نوعاً من أنواع التحريك للمياه الراكدة فى بدايته وفتح النوافذ على تيارات جديدة فى المسرح العالمى ..هذا بعيدا عن ملاحظة إن مستوى المهرجان آخذ فى النزول وهذه قضية أخرى.. لكن دعنا نستأنف الحديث عن الجوانب الإيجابية .كان تحريك المياه الراكدة دافعا لعدد من شباب المسرحيين فى مصر لخوض التحدى بعضهم كان مقلدا ومعيدا للإنتاج الغربى كما هو، وبعضهم بحث فى الخصوصية وحاول تكوين منهج حتى وإن كان غير مكتمل لدى البعض ، لكن المحصلة كانت شكلاً من أشكال التحريض على الإبداع نتيجة الإطلاع على التيارات الجديدة فى المسرح العالمى وهو أمر كان لا يمكن تحقيقه إلا بالسفر إلى الخارج وهو أمر ليس فى مقدور الجميع .الأمر الثانى ..إن هذا المهرجان نجح إلى حد ما فى أن يضع المسرح المصرى على خريطة المسرح العالمى ..أنا شخصيا سافرت ببعض عروضى وشعرت بذلك..لقد أصبح المسرح المصرى على صلة وعلى تماس مع المشهد المسرحى العالمى إلى حد بعيد.

-مشاكل المهرجان تتمثل فى أولا على مدار الاثنتى عشرة دورة الماضية هناك زيادة فى كم العروض على حساب الكيف.. وعلى مدى سنوات ونحن ننادى بعدد عروض أقل لكن أكثر جودة.. والفرق الكبيرة التى نريدها أن تكون موجودة فى المهرجان لابد أن تتم مخاطبتها قبل المهرجان بسنة أو اثنتين ..كما أنها لكى تنتقل إلى القاهرة يجب تغطية تكاليفها الباهظة ..لابد من أن يقل عدد العروض وأن يرتفع الكيف وأعتقد أنه من الأفضل للجمهور أن يشاهد عشرة عروض جيدة أفضل من خمسين عرضاً متواضعاً.

أما عن نفسى أنا شخصيا فأنا يعنينى العروض التى قدمتها فقط لأنها ذات بعد

اجتماعى وتناقش قضايا فى غاية الأهمية وهى قضايا خطيرة وفى الصميم وتشتبك مع الواقع ..فكيف أكون مشتبكا مع الواقع ثم يقال عنى إننى أقدم مسرحا سياحيا ..أنا مسرحى ملتزم اجتماعيا ولدى دائما مشاكل مع الرقابة ومسرحى غير مرض لجهات وهيئات كثيرة ، أنا أيضا مشتبك مع قضايا اجتماعية وجماليات قديمة.

ليس بديلاً عن مهرجانات أخرى

خالد جلال

..كل تجربة لها إيجابيات ولها سلبيات إلا أننى أعتقد أن المهرجان التجريبى بعد ١٢ سنة كان له إيجابيات أكثر من سلبياته بكثير، وهناك اتهام موجه للمهرجان بسبب ضعف مستوى بعض العروض القادمة من الخارج رغم أن الذى يتحكم فى هذه العروض ويرسلها هو وزارات الثقافة فى بلادها !! ونحن لا نستطيع التحكم فى وزارات الثقافة الأجنبية لكن أنظر إلى الجانب الإيجابى فى المهرجان المتمثل فى ظهور جيل جديد من المخرجين خلال ال١٢ سنة يتمتع بجرأة فى التعامل النصوص المسرحية وتكنيك المسرح عموماً ،بالاضافة إلى أن المهرجان الذى يحضره حوالى٥٢ دولة كان بديلا للبعثات فى الخارج!! من خلال توفيره لاحتكاك جيد مع الفرق الأجنبية.

وللمهرجان التجريبى الفضل فى ظهور مخرجين مثل« ناصر عبد المنعم» و«انتصار عبد الفتاح» ونتاج فرقة الرقص الحديث ،وشباب المخرجين الجدد مثل« محمد شفيق» «عاصم نجاتى» ،وأنا غير متفق مع الرأى القائل بأن البعض يقدم عروضاً سياحية ،كما أنه إن كان هناك خطأ فهو خطأ لجان الاختيار التى تختار هذه العروض لتمثل مصر.. والتى قد ترى أن الذى يجب أن يمثل مصر هو التراث.

الغرب ليس أكثر تقدماً

عصام السيد

-المهرجان التجريبى أحدث حركة لا يمكن إنكارها فى الوسط المسرحى ..لكن هذه الحركة كأى حركة بالطبع لها مميزاتها ولها عيوبها .ورغم أنها حركت كثيراً من الرواكد إلا أنه أصبحت هناك «غربة» بين بعض العروض والمتفرج المصرى هذه الغربة كانت نتاج تقليد «الخواجة» ، الغرب يقدم عروضاً مستمدة من تاريخه وتقاليده وتراثه

تعكس هويته.. وإذا أردنا أن نستفيد من تجربة الغرب فيجب أن نهضم ما يقدمه لنا ثم نعيد إفرازه من خلال تاريخنا وبيئتنا وثقافتنا ،وعلى سبيل المثال العروض التى تلغى الكلمة تماما ظهرت بقوة في أوروبا بعد الحرب العالمية لأنهم اعتبروا اللغة تلغى التواصل فظهر مسرح العبث لتتطور المسألة لديهم وتنتهى بظهور لغة الجسد ..ليس معنى ذلك أنه متقدم أكثر منا ولكن معناه أن ثقافته تتيح له ذلك ..أما نحن فلدينا أمية بصرية فكيف نلجأ إلى إلغاء الكلمة ، بالاضافة إلى أننا أبناء حضارة كلمة والإشارة عندنا عامل مساعد، عندما أقلد الغرب لن يهتم بمشاهدة تجربتى ولكن عندما أعبر عن ثقافتى وتراثى وهويتى سيحاول التعرف علىّ ، وانظر إلى العالم الآن... كانت الموضة السائدة فى الموسيقى ..هى موسيقى أمريكا اللاتينية والآن الموضة السائدة هى الموسيقى الكوبية ألا يعنى ذلك شيئا لنا؟.

– أنا أتفق مع وجهة النظر التى ترى أن بعض العروض المصرية عروض سياحية ،ومن وجهة نظرى أن التجريب فى منطقة التراث والفلكلور يجب أن يقوم على اكتشاف عناصر جديدة تضيف إلى العرض المسرحى بحيث يصل إلى إلى أكبر قدر ممكن من الجمهور نحن دولة عالم ثالث يجب أن نجرب فى الشكل والمضمون بقصد توسيع قاعد الجمهور ولا نملك ترف تقديم عروض يراها شخصان كما فى الغرب أحيانا..

تجريب فى أرض قاحلة

د. محسن مصيلحى

–من الصعب تقييم جهود ١٢ سنة من المهرجان التجريبى لكن يمكننى أن أقول ملاحظة عامة وهى أن المهرجان فى حد ذاته يعتبر ظاهرة لا بأس بها.. مقصود منها تحريك ساكن أو إضافة معلومات واتجاهات مسرحية ونقدية جديدة، مقصود منها استحضار عروض مسرحية حديثة من دول العالم ..كل هذا كهدف يعتبر هدفاً متميزاً جداً ومهماً .وهذا تحقق إلى حد ما.

–الخطأ الأساسى أو النقطة السلبية الرئيسية فى الموضوع هى أن المهرجان يحدث داخل أرضية قاحلة تماما، فالواقع المسرحى خلال الخمس عشرة أو العشرين سنة الأخيرة كان يحتاج إلى مجهودات تأسيسية قبل أن نتجه إلى سياسة المهرجانات أو



الاحتكاك بالعالم الخارجي ..فالواقع المسرحي ساكن وراكد وليس هناك أفكار أو إبداعات جديدة، ويفتقد إلى البنية التحتية من الدارسين والمبعوثين ولا توجد دور عرض كافية وملائمة وهي قضية مهمة جداً لم يهتم بها أحد ، وحينما تستقدم فرقاً من الخارج للمهرجان وتقام الندوات والمحاور فهذا نوع من استزراع نبات واحد في بيئة غير مرحبة به وغير مهيأة لاستقباله ،ولذلك لن تستطيع أن تلمس إيجابيات المهرجان بالشكل المرضي ، ربما تجد بعض المخرجين المتبنين لمناهج جديدة في الإخراج لكنهم مقلدون للعروض الغربية التي شاهدوها لأنهم غير مؤسسين بشكل جيد ،وربما ترى البعض يستخدم مناهج نقدية حديثة لكن البيئة المستقبلة لهذه المناهج النقدية بيئة غير مؤسسة وغير مهتمة بالمسرح.. والنصوص التي تترجم يتم تنفيذ عدد قليل جداً منها قياسا على ما ينفق على المهرجان.

-فيما يتعلق بالعروض المصرية المشاركة في المهرجان ،هي عروض تحاول أن تجاري السمة العامة وهي سمة الصمت والعروض الحركية التي يصعب فهمها على الكثيرين ونحن تراثنا تراث كلامي ولهذا ففي الغالب لا تبقى هذه العروض بعد إنتهاء المهرجان ، والنوع الآخر من العروض والتي أطلق عليها عروض سياحية- وهي تسمية صحيحة إلى حد كبير- فهي تحاول أن تقدم أشياء مصرية خاصة جدا لتبدو كأنها تظهر جوانب خفية للأجانب من أعضاء لجنة التحكيم على وجه الخصوص ، والحقيقة أنها عروض غريبة عن بيئتها ومستنبتة لهدف الفوز بجائزة .. بينما المسرح له هدف آخر تماماً.

أدب ونقد

شعر

تنويعات الغضب مع انتفاضة الأقصى

ماجد يوسف

الدم مش ح يروح هدر
والظلم له مرتع وخيم
ياشارون ياحيوان انسعر
نفسك شيطانك يارجيم
والشر لو زاد وانتشر
يبقى اتقى شر الحليم
قوم واتقى غضب الحليم
لو ينفجر صبر الحليم
xxx
امتى السطوع البرئ

للحق والإنسان
امتى الطلوع الجرئ
لصبحنا الأسيان
امتى النهار المضئ
يفلت من السجان
إمتى ؟ !
xxx
اشهد ياتراب على دم شهيد
شاهد على شهد الحرية
شاهق على شاهق فجر جديد

شارق م الروح العربية

xxx

يسلم يمينك ياولدى
تسلم قلوب الضراغم
نموت أعزه يابلدى
ولانحيا والأنف راغم
" ولابد من يوم ياوعدى
تترد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
أسود على كل ظالم"

xxx

والأمة طالعة المظاهرة
عن كل بكرة أبيها
مقهورة للشهدا قهره
والدمعة مالية عينيها
وحياة ترابك ياطاهرة
مانقبل الذل فيها
ونموت وتحيا أمتنا حرة
ولاينتصر أعاديها
وحياتنا والعيشة حرة
ماعمر ذل يساويها
قوموا انطقوها ياشعرا
خلوا التاريخ يحكيها
الدم عامل مصاهرة
مع الحرية .. ليها

وشمس بكرة اللى ظاهره
تطرح أمل فى بنيها
والأمة طالعة المظاهرة
عن كل بكرة أبيها .

xxx

ياعين بتبكى دموع
ولا بتبكى بدم
ياحزن مالى الضلوع
واصل مرارة الفم
ياعمرنا المفجوع
ف الأخ وابن العم
قلب الوطن مصدوع
والغدر ملعوب تم
ماعدش فيها رجوع
وماعدش غير الغم
ضاع الوطن بخنوع
حكام عوالى وهم
وآدى الوطن ممزوع
ولاحد قام واهتم
حبل الأمل مقطوع
.. كيف الأمل يتلم ؟
كيف الأمل يتلم ؟

xxx

اهتك .. وطيح .. واقتل
واطغى.. وزيد .. واغتر

اكدب .. وخون .. دجّل
ولاترسى يوم على بر
والظلم لو طوّل
الدنيا كر وفر
العدل يتأجل
لكن مامنه مفر
مسيرها يوم تعدل
قلب الشهيد ينسر
يمهل ولا يهمل
والشر آخره الشر
XXX
يا امه بحالها فى نكبة
ويافلسطين
دمانا واصله للركبة
وع السكين
واخويا حابك الحبكة
بصمت مهين
وباعنى ف شدتى الصعبة
لعدو الدين
لاعاد مغنى ولادبكة
ولا ياسمين
يازعما العالم الربكة
يامنحطين
شباب ف الضفة متحاصر
ومش ذنبه

وواجه ف العدو الغادر
وداس صعبه
وشد الحيل على الآخر
مع تعبه
ولاسلم ولااتاخر
شجاع قلبه
ح ييجى اليوم وحنذاكر
دروس حربه
لاخان ولاباع ولااتآمر
على شعبه
XXX
الفرق بينك وبينى
مش الرصاص والحجر
ولا الخيام والبيوت
الفرق بينك وبينى
فرق الوحوش م البشر
وانى باعرف أموت !!
XXX
إضرب كمان ف رصاص
واقتل شباب وولاد
هل خسة القناص
ح تساوى الاستشهاد
XXX
مش كلمة بنقولها
ملهاش طريق ومسار

ان الظلام ح يموت
وحييجى بعده نهار
دى حقيقة زى الشمس
قد الحديد والنار
قد الحواس الخمس
قد الغضب لو ثار
والظلم لو كان جبل
واجهوه بجمع الأمل
حاصروه بحلم اكتمل
تلقوا الجبل ينهار
تلقوا الجبل ينهار

xxx

عاشت مصر حره
عزيزة .. مستقله
وجوا روحنا دره
مباركة ف كل مله

xxx

وشامخة .. أبيه .. غره
وفوق وجودنا ضله
يامصر العيشه مرة
فعل اليهود مذله
ح نهب ألف مرة
عشان رايتنا تعلا
عاشت مصر حرة
عزيزة .. مستقلة

xxx

يادولة .. يالصة
للحقل والبيدر
لسه الفصول ناقصة
ياشراذم البربر
والقلب فيه غصه
والدمع متحجر
وغضبنا للأقصى
وقدسنا الأطهر
لسه ماهوش أقصى
للتار بيتحضر
وح نختم القصة
بركان بيتفجر
وتيهى بالرقصة
على نصرك الأبتر
ياأمه .. يالصة
دم الشهيد أكبر

xxx

رفض الكنايس جرس
رفض المساجد آدان
الأمه ضد الخرس
ويا انتباه الحرس
الدره راكب فرس
وبيعزف الألحان
بينادى أمة الإسلام

أمة يسوع المسيح
ماعدش فيها سلام
مع أمة التماسيح
ولاعهود وكلام
ودم ولدى يسيح
الفعل هوّ الإمام
هوّ اللى فيه تصحيح
قوموا انصبوا الأعلام
واتجمعوا للريح

xxx

دم الصبى الدره
يصرخ على أمته
ياأمه .. ياحرة
حقد اليهود موِّته
قتلوك ف غرة رجب
فى شهر له حرمات
واستهتروا بالعرب
ولاهمهم مين مات
وحياة غيطان الغضب
والحبة فيها مئات
لتدور على المغتصب
الدايرة .. وف سنوات
يتمنى لمحة هرب
يصرخ ولن ينغات

xxx

صهيون سامى
كلب حرامى
لاطش وطنى
من قدامى
سارق غيطى
وسمنى وزيتى
وهادم بيتى
تحت قدامى
دابح أمى
وابويا وعمى
وسافك دمى
ف قلب خيامى
لص قرارى
واستعمارى
ناهب دارى
بفكر حاخامى
أما الأخوة
عرب النخوة
قلوبهم رخوه
وليلهم طامى
أما أميركا
زعيمة الشركا
ففيها البركة
ف شل قيامى



قومى يا أمه

ولمى اللمه

وزيحى الغمه

بدال ماتنامى

لصهيون سامى

كلب حرامى

لاطش وطنى

من قدامى !

xxx

الولاد من كل فج

هما روح الانتفاضة

كل طفل بطوبه .. حج

يرجمك ساعة الإفاضة

xxx

حدك الأقصى اغتيالى

أول حدودى الشهادة

كل اما تحصر مجالى

طلقى يحمى بالولاده

xxx

لما الحجر بيخوّف الدبابة

واما الطفولة بترعش الأجلاف

مين المزيف وقضيته كدابه

مين المدجج إنما خواف

xxx

شعر

ثلاث قصائد

فاضل السلطانى

العودة

سأعودْ
قد يعرفنى النخل المقطوع الأعناق
وبعض الأشجار
قد يعرفنى بعض الأحجار
سيحيينى بعض الطير
اللابد فى الوكنات
سأقول : صباح الخير
هاأنذا عدتُ
مازلت كما كنتُ
قد يعرفنى بعض الأموات
فيزيح الترب عن القبر
– سلاما

مازلت كما كنت
كأنك ماشرقتَ ، ولاغربتَ ..
كأنك مت
فما مرت فى البعد عليك حياة.
سأعود
سأمشى مرحاً فى الأرض
ستعرفنى أمى
وسيخضل العشب على القبرْ
سأقول: مساء الخيرْ
هاأنذا عدتُ
مازلت كما كنتُ ..
أين أبى؟
سأعود
أجمع بعض قصائد

كانت أخفتها الريح
عند النهر
سأقول: صباح الخير
أيتها الكلمات
أتذكرتَ الشاعر فى خلوته ؟
سألملم بعض صباى المتناثر فى الحارات
سأقول : مساء الخير
هل تعرفنى ؟
هاأنذا عدت
مازلت كما كنت
– إذن من هذا الشيخ الواقف خلفك ؟
إنى أبصر شيئا منى فيه
وعلى جبهته
ألمح بعض خطوط أعرفها
وأرى فوق الوجه
غضوناً تتعرج ..
فى الكفين خطوطاً تتماوج
فوق الجلد .. كأنى مرسوم فيها
سأعود لتلك الشجرة
واقفةً فوق النهر
جرداء من الغصن ومن الطير
سأقول: مساء الخير
أيتها الثكلى !
هاأنذا عدت إليك
سأعود لذاك البيت
سأقول : لك الله
كم موتا مر عليك ؟

سأعود
ستصطف الأشجار على الصفينْ
سيحيينى الطير الراقص فى الوكنات
سيقوم الشجر الأشرف منتصب الأعناق
يفيض النهر
سترقصّه الريح
سيبتل قميصى
وسينفتح البيت
سأقول : مساء الخير
هاأنذا عدت
مازلت كما كنت
كأنى مت
فما مرت فى البعد علىّ حياة.
....
قد يعرفنى بعض الأموات.

نضوج

ناضج أنت مثل الخيانة
ناضج للخيانة
ناضج للرحيل
ناضج كالطيور
تتساقط فوق المحيطات
مثل الصخور
تتفتت فوق الترابْ.
ناضج للسكون
كالكراسى

ناضج للسقوط
ناضج أنت مثل الحياة.

....

ناضج أن تموت

ولادة

إغلقى جسمك الآن..
أسمع ظلاً غريباً
يدب على الساعدين
وعلى الركبتين ، أرى
دمعتين من الخوف ترتعشان
اغلقى جسمك الآن..
شئ تغير حتى الكتاب
يغلق الآن عنوانه
والجدار يغير ألوانه
ويهرب لوحاته
تذكرين
" آنسات أفنيون " ؟
كنتِ أحببتها
ونقشتِ عليها
بالرصاص
نمنمات من الحب ..
ثم كسرت الاطار
فهربن من الظل للنور
حتى تهاوين فوق يديك
اغلقى جسمك المتفتح منذ قرون
ربما يدخل الآن من أيما فتحة
ربما حان وقت الزيارة
ربما يرقد الآن بينى وبينك
شئ تغير فينا
اغلقى الآن جسمى فيك
خذينى من الظل للضوء ..
هل ترحلين معى ؟ انغلقى
أسمع الزائر المستحيل
على الباب يطرق..
والبيت يغلق أبوابه
والسرير الذى تناصفتِ بينى
وبين الجدار
يهرّب ظلته
افتحى جسمك الآن ..
هل تسمعين ؟
أنه الزائر المستحيل
طفلك المنتظر
ينضج الآن بين يديك
فاستعدى ..
للرحيل



قصــــة



والكـــــــلاب

عبد الكريم محمد على

أشياء كثيرة تبحث عنها وتريدها فى ثياب رجل واحد.

لايريد سوى امرأة ، يبدو خجولا.

جريئة ، لايعيبها سوى بعض من تردد الأنثى.

نفضت يدها قبل قليل من إثم علاقة مع حيوان ، مازال أثر حوافره على مقربة من قلبها .

يزعم أنه كان ينتظرها .

تحاول أن تكافئه ، وتتخيل فيه ماتريد.

لم يختلف عن سابقه سوى فى مقدار الألفة الفطرية.

استخدمت قانون الإزاحة ليحل رجلها الجديد ، اصطحبته إلى العش الذى تقيم فيه مع حبيبها الأخير.

ارتبك عندما شاهده ، إنه أستاذه بالجامعة ، أخذت عيناه تتنقلان بين الأستاذ وأثاث البيت المتواضع وساعة يده التى تشير إلى الثالثة صباحا.

لايوجد بالغرفة سوى سرير يتسع لشخص واحد ، وينحشر فوقه اثنان.

اقترح الأستاذ أن يناموا ثلاثتهم على السرير وعندما لاحظ علامات الدهشة ، أوضح لهما كيف يمكن ذلك.

نامت إلى جوار الحائط ونام صديقها على حافة السرير ، أما الأستاذ فقد حشر نفسه بينهما واضعا رأسه عكس رأسيهما.

بضع طلبات بسيطة طلبها الأستاذ من الشاب ، وسادة ، أن يغسل قدميه ، إطفاء النور ، ينام على جنبه مستدبرا الأستاذ لأنه لايستطيع أن يتحمل قسوة ركبتى شاب فى مثل سنه.

وطن جسده وأعصابه كمن ينام على حافة بئر ، أراد أن يتوقف شهيقه أو دفق القلب للدم فى عروقه ، يريد أن يتجمد أو يشتعل ، أما حالة السيولة الغريبة هذه فانها لاتحتمل.

وعندما بدأ صوت السرير يعلن للراقدين أنه أشجع من بالغرفة ، اختار الشاب لنفسه إغماءه لم يفق منها إلا بعد عشر ساعات.

وعندما خرج الشاب لإحضار طعام الإفطار، أعاد الأستاذ على مسامع فتاته قانون العلاقة تعلمين أنى متزوج ، لم أعدك بشئ ، إنه وقت طيب نقضيه معا ، قد ينتهى الآن ، وقد يستمر لعدة سنوات.

اعلم ، أنه اختيارى ، لاأريد أكثر من ذلك.

ماذا ستفعلين مع صديقك.

إنه شأنى.

لاأريد أن أراه إذا حضرت إلى هنا مرة أخرى.

انتحت بصديقها جانبا وأخذت تحدثه.

لم تستطع أذناه أن توصل إلى عقله أيا من الكلمات والجمل التى صكتها ، من نوع - الشفافية ، والحب والملكية ، العلاقات الموازية ، حرية الجنس - كانت مشاعره قد اقتادت عقله إلى منطقة غير بعيدة ، أخذ يتأمل ساقيه ، حاول أن يتذكر لون حذائه وجوربه.

قصة



جميلة

بسمة عبد الرحمن

ما كان هناك سوى الوحشة وخيوط صباح لم يبدأ بعد ..

وعيون أرعشها الخوف فتوارت عنها الشمس.. ولم يرحها الدفء

– صباح الخير

-صباح الـ

كانت أصابعها الصغيرة مضمومه بشدة على طرف فستانى كأنها تريد أن تمسك به كله فى قبضتها وهى ترفع رأسها بكل قوتها كى ترانى فنزلت فورا على ركبتى وقد أثار دهشتى شعورى بأننى (أطول من..)

-خير يا حبيبتى

-شعرى اتفك ومش عارفه اعمله..

كان شعرها هائشا للغاية ومبعثرا فى كل اتجاه وكانت تمسك فى يدها توكة بها عصفوران من البلاستيك ..أمسكت الهالة السوداء بيدى

-اسمك إيه؟.

-جميلة.

-وأنت فعلا جميلة.

كان شعرها ناعما للغاية بعكس ما شعرت به حين رأيته هائشا هكذا

-ماروحتيش لماما تعملهولك ليه يا جميلة؟.

-ما ..ماما ؟ بس هو اللى فك لوحده.

سكتت قليلا ثم أضافت : والله!.

سكتت ..فضحكت

-ولا تزعلى يا ستى أهو بقى حلو خالص

-جميلة

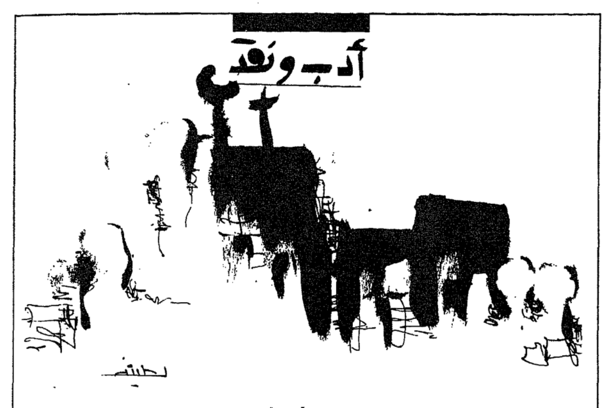
كانت الأم تجرى نحونا بتوجس ما لبث أن تحول إلى ابتسامة تشبه اعتذار حين لمحت شعر جميلة.

-شكرا

أخذت اليد السمراء ومشيتا سويا .. وحين كانت تلوح لى أردت أن أهمس فى أذنها

-تعرفى يا جميلة شعرك أحلى كثير وهو منعكش.

لكننى استدرت أواصل المشى ولا أدرى لم التفت فجأة لارى الأصابع الصغيرة تزحف ببطء ولتلعب فى العصفورين.



تواصل

نافذة المبدعين

نشرة الأخبار

إحساسك إيه وإنت بتسمع نشرة لاخبار
بتشور وبتشجب وبتصرخ وتقول ده
حرام
ولا بتتعشى
وتتمشى وبعديها تنام
ولابتسمعها وتنساها وتقول
مفهمتش معناها
وكأنك أصلا مش عربى

ولا عارف إيه المشوار
مسمعتش نشرة أخبار
مسمعتش طب ضرب النار
ولا شايف ناس جوه حصار
ولا شايف طفل بيتألم
ولاست عجوزة بتتظلم
ولا شاب بيصمد ما يسلم رغم الإعصار
مسمعتش نشرة لاخبار
مسمعتش طيب ع الدره

عن سارة وغيرهم م الشهدا
أطفال أحلامهم كت حلوة
أطفال وموتتهم كت مره
أتخطفم من حضن الدنيا
من بنا خدوهم وف ثانية
النبض اتوقف فى قلوبهم
من غير صفارة وإنذار .. وأهو كله ف
نشرة لاخبار

سامح هريدى

رفض

البحر الموسوم
باللون الأحمر
يتذمر
ذاب حياء
بين الأبحر
يرفض أن يدعى
الأحمر
فالأحمر لون الدم
لون السهرات المقوتة
لما تتناثر فى الحانات
كل الرغبات
المكبوتة
زى الراقص كرها
حين الجلاد
يعزف لحن الموت
ولأن الأحمر
حطب الأنثى
لما تتسعر بالشهوات
وتنثر رغبتها
فى أركان الغرفة
يحترق الرجل المهموم
بغير الجنس
ولأن طغاة العالم
يستهويهم
لون الدم

محمد سعيد مصطفى

رؤيا

ايقاع أول:
يمر القطار
فاهشد حشرا
إلى رحلة لا حدود لها
وامسى كهلا
له ما تبقى
من الزمن الفوضوى
ربابته اليعربية
وخيمته الحاتمية

ايقاع ثان:
يمر القطار

فأشهد حشرا
إلى رحلة لا حدود لها
أولد ثملا
له ما تبقى من الزمن النبوى
رهافته النرجسية
وقامته الهاشمية

ايقاع أخير:

يمر القطار
فتولد فى النفس أشجانها
وأشهد فيما يرى النائمون
جحافل يأجوج / مأجوج
تسلب برق الحضارة
تمنح زيف الحضارة
والنبضة المستعارة
والوهجة المستعارة

نبيل عبد المجيد أحمد
أسيوط

عزف على أوتار محروقة

١- هذا زمان الظهورات
فانتظريه نبيا
ورشى البخور على مجمر النار
شيئا فشيئا
وحين يطير الدخان الكثيف
إلى رئتيك
مدى إلى يديك
فلن تجدينى وليا
٢- هذا زمان الظهورات
فانتظريه ملياً
وانتظريه صلاحاً
وانتظريه علياً
فقد يأتى عند الهزيع لأخير
وقد يأتى بعد العشاء الأخير
وقد يأتى بعد انتهاء القضية
٣- هذا زمان الظهورات
فانتظريه صبياً
وطوفى على كل بيت عتيق
وصلّ علىّ
فإنى تعمدت فى ألف نهر
وإنى تعبدت من ألف دهر
وإنى تلقيت ألف وصية
فلا .. لا .. لا
وغداً للوصايا بقية
٤- تأخرت الشمس خمسين عاماً
وألقوا بجثتها فى الخليج
وشدوا عليكم غطاء الظلام
سقوكم من اللبن المتخثر
ضرعاً غليظ القوام
وقصّوا عليكم حكايات قوم
ينامون عند القيام
ويصحون عند الطعام

ويختلفون على نهد أنثى

تبدىّ لهم مثل بيض النظام

فلا تظهروا يا ذكور الخليج

ولا تسهروا يا نساء المحيط

فإن الذى فى عروق العروبة

ماء« وزيت» وبعض المدام

ناموا ولا تضجروا من منام

فقد يأتى ضاربكم فى الصباح

وقد يأتى ضاربكم فى المساء

وقد يأتى قبل انتهاء الكلام

٥- يا عرب الأرض المحتلة

خجل «من أفكارى المختلة

وأفعالى المعتلة

وأهدابى المبتلة

خجل»

من طفل يرتاح إذا ألقى حجراً

فى وجه القتله.

نصر الله لبيب مرزوق

إلى مياوم مغربى

صور بالأبيض والرمادى

هذا الذى ..

يعبر حقول القمح

يدس فى قبه

منجلا أدرد

وباقة سنابل يابسة

هذا الذى ..

يعدو وراء طفولته

يخبئ فى محفظته

كناشا للتناوب

وقارورة شاى بائت

هذه التى..

فى عينيها نوم لذيذ

تلف فى سلتها

خبزا باردا

دلكته البارحة..

بأصابع مضخمة بالحناء

هذا الذى..

يلمع أحذية السلاحف

يسر فى رحم صندوقه

خمرا فاسدا

هذا الذى ..

يلهث خلف عربية

يخفى تحت أسماله المبقعة

علبة نشوق رخيصة

وهذا الذى..

يتكور فى مقهى الكرامة

يدس في جيوب معطفه

طلقات كاتمة للصوت

عبد الله المتقى

شاعر مغربى

عضو هيئة مكائد شعرية

مولد الأنثى

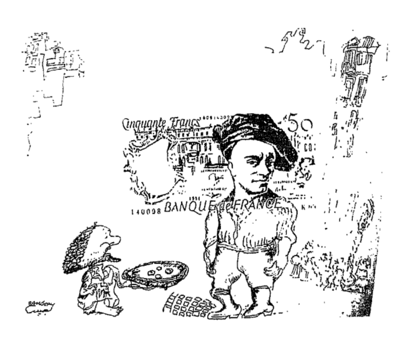
الرجال الذين يمرون على الطريق لن يعبأوا بها، والصبية الذين يمتطون دوابهم ويقودون مواشيهم يقلدون الكبار فى رفع أنوفهم لأعلى بينما هى تغطى وجهها بطرحتها السوداء التى تكاد أن تخنقها رائحة العرق التى تقطن بين خيوطها القوية، ولن تكشف عنه إلا بعد أن تتأكد من إنهم نأوا عنها جميعا .فتعود ترقب نعاجها المتناثرة تحت السماء المغطاة بالضباب ،تتحسس عنقها وصدرها وأقدامها ،وتحاول أن تطرد النمل الذى سيطر عليها ثائرا من جذع شجرة السنط التى تجلس تحتها.

هى تمارس لعبة الحظ بنوى التمر القديمة تلقيها على الأرض لعلها تساندها فى التفاؤل بعودة الولد الصغير ، ولكن النواة التى ترمز له تأتى على الأرض مقلوبة ، فيخيل إليها أنها تحتضر .عندئذ تتساقط الدموع من عينيها ، ثم تجهش بالبكاء المختلط بتعديدها . وعندما تنتهى من ترديد كل ما حفظته أمها تتساءل قائلة:

من يحمل عنك الهموم يا ابنتى فليت أخاك لم يذهب إلى مولد الشيخ نوفل مع أترابه الذين تركوه تائها.

تمسح وجهها بطرف ثوبها الأسود القديم . تعود تلقى بالنوى على الثرى لتستطلع نوع المولود الذى ستنجبه بنتها الماكثة فى الدار والتى اشترط عليها زوجها قائلا: إن لم تنجبى ولداً فى هذه المرة فلن تعودى إلى دارى ، وستعانين ما تعانيه أمك من آلام الضرة وسخرية الجارات.

تظهر الشمس ضعيفة فى منتصف السماء . تعود صامتة بنعاجها إلى الدار . يأتى المخاض إلى بنتها ، فتواصل صرخاتها ،وتقبل النسوة صامتات . يجلسن فى انتظار الخبر من الداية التى لن تكف عن الثرثرة وترديد حكايتها عن العطايا التى تفوز بها من أزواج النسوة اللاتى ينجبن ذكوراً ،فجأة يمزق صياح الطفلة القادمة إلى الحياة آذان الجميع .فتفتح النسوة ثغورهن عن ابتسامات صفراء وهن يتغامزن ثم يغادرن الدار دفعة واحدة خلف الداية التى تحاول الاختفاء قبل أن يتسرب الخبر إلى أبى الطفلة.



هى تطهو الدجاجة فى إناء فخارى قديم على وابور الجاز وتقدمها إلى ابنتها فى حزن شديد .تتأمل الطفلة الملفوفة فى خرقة قماش ممزقة، فتلعن لعبة النوى التى خانتها فى هذه المرة ، وتهمس قائلة: ربما أنها أخطأت فى انقلاب النواة التى تشير إلى موت الولد الصغير.

تجتاحها حالة قلق شديدة . تتذكر أن اليوم هو أول أيام الاحتفال بمولد الشيخ نوفل .تقف فى مكانها تتخيل الولد الصغير ، تحسب السنوات التى مرت بغيره :– لو كان الولد على قيد الحياة لصار فتى . تراه من بعيد تصيح: عبد الشافى أنا أمك أقبل علىّ. ولكنها تستيقظ على صوت الطفلة التى تحضنها أمها فى رفق.

فى مولد الشيخ نوفل هى تخترق زحمة الناس يجرى خلفها رجل ذو شارب أبيض طويل ، يصيح بأعلى صوته : امسكوا المجنونة. تزداد انقباضا كلما نظرت خلفها إليه . يذكرها بكبير العائلة وهو يقول لأبيها: عليك أن تحبس البنت فى الدار حتى لا تجلب لنا عارها.

تقف فجأة وتدفع الرجل فى صدره بيديها فيقع على الأرض ثم تواصل جريها وهى تصرخ : عبد الشافى كبدى ،فجأة يلقى الفتى بنفسه فى حضنها ولكنه ما زال بصره معلقاً بالفتاة التى يعكس وجهها أشعة الشمس المنطلقة من الضباب.

محمود خضرى يس

أدب ونقد

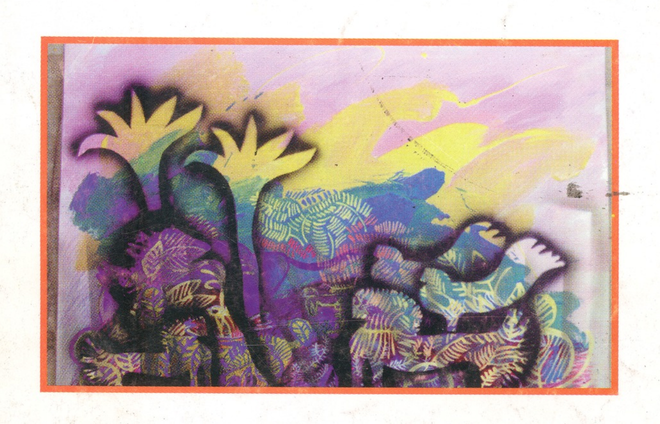
بطاقة فن

● أحمد عبد الكريم

قبل نحو عشرين عاما، وقف الفنان أحمد عبد الكريم بقلعة صلاح الدين الأيوبى وبالتحديد بجوار مسجد محمد على باشا ، ليقدم لنا بعين لها خصوصيتها الفنية رؤيته التشكيلية لمبانى القاهرة الفاطمية والمملوكية ، وكانت أعمال معرضه الأول معماريات وجدانية ، الذى مثل إعادة اكتشاف لإيقاع المعمار الصامت ،وتحريك مجسماته فى مسارات بصرية تتداخل فيها الألوان ، وتحكى داخله الخطوط ، وترقص به الجدران بشخبطات ورسوم ولافتات إعلان وهمسات تدور حول الأضرحة وداخل أذهان الرجال والنساء والأطفال، وعشنا مشاهد مسرحية تشكيلية يتحاور فيها الأبطال ، الزمان والمكان والشخوص ، على مسطح التصوير ، بمفردات يتجاور فيها طرح البحر من خير ، وطرح الأرض من نبات وطرح الزمن من خيل مسرجة تركض فوق صهوة اللون والتاريخ.

بعد غوص لاحق فى التاريخ ، يخرج الفنان أحمد عبد الكريم إلى النيل الخالد ، فيجرى معه إلى مناطق آسرة، تتسع بها معاجم مفرداته التى تخصبها الفلسفات والحكايات ، فيزاوج بين رموز المعمار وأيقوناته ، وصور النيل وتحولاته ، قبل أن يغترب فوق مراكبه الورقية ، مستعيدا فى رحلة الأسود والأبيض رسومه المصرية القديمة والحديثة متخذا من رموز ووجوه النيل والنخيل واخناتون تمائم وتعاويذ ورقى تقيه عذاب الغربة.

الخصوبة والحياة ولحظات الميلاد وطرح الحكايات ، أليست صفات النخيل مثلما هى صفات المرأة ،هكذا تجسد رسوم أحمد عبد الكريم حين يلتف جسدا النخلة والمرأة فى عناق يستمد نسغ حياته من دفء اللون وحميمية الألفة .إنها مرة أخرى عناصر الفنان التى يؤالفها ويولفها معا ليعبر عن رؤيته الأشد خصوصية ،حتى وهو يتناول مواضيع عمرها آلاف السنين :الإنسان والحيوان والطير والجبل والنيل والصحراء . وهو يستغل دراسته الأكاديمية ورؤيته العفوية ليصوغ مرايا هندسية جديدة ، تخرج عن التآلف التقليدى ،والتوازن المكرور ، ليبتدع آلية جديدة فى توزيع عناصر اللوحة بشكلها الذى لا يشبهه سواه.





رقم الايداع ٧٥١٢ / ٩٢ الثمن جنيهان الأمل للطباعة والنشر